جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

قسم التاريخ

عنوان البحث

التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام

منذ فترة الرسالة وحتى أواخر الدولة الأموية

مقدم من الطالبة

سحر يوسف القواسمي

بإشراف الدكتور

جمال جودة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في

قسم التاريخ بكلية الدراسات العليا

نابلس - فلسطين

ذو القعدة ١٤١٩هـ / آذار ١٩٩٩ م

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا
قسم التاريخ

عنوان البحث: التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام

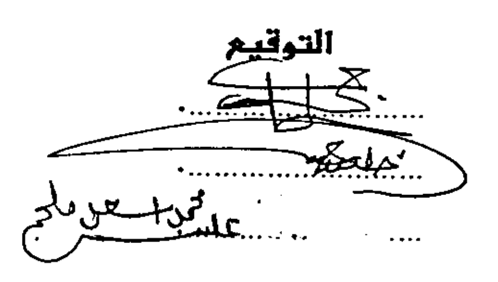
"منذ فترة الرسالة وحتى أواخر الدولة الأموية"

مقدم من الطالبة: سحر يوسف القواسمي

إشراف: الدكتور جمال جودة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 1999/4/27 و أجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:-	التوقيع
الدكتور جمال جودة (رئيسا)	....
الدكتور خليل عثامنة (عضوا)	....
الدكتور عدنان ملحم (عضوا)	....



إهداء

إلى والديّ وإخوتي وأخواتي ...
وإلى كل الذين عرفوني كإنسان وطالبة...
وأمدّوني بالأمل ..و حملوا لي الحب والتقدير ...

شكر وتقدير

لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر ووافر الإمتنان لأساتذتي الكرام وعلى رأسهم أستاذي القدير الدكتور جمال جودة الذي أشرف على هذه الرسالة، ومنحني الكثير من وقته، وقدّم لي النصح والإرشاد والتوجيه، وشملني بالحلم والصبر، وكان له أطيب الأثر في إنجاز هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر والعرفان للدكتور عدنان ملحم الذي تفضل بقراءة هذا البحث وأبدى كثيراً من الملاحظات الهامة التي أفادتني.

وأقدم الشكر إلى كل الذين وقفوا إلى جانبي، وساندوني وشجعوني ولو بكلماتهم.

المختصرات والرموز

أشير للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي :

- **إذا كان للمؤلف كتاب واحد ، يشار إليه بذكر المؤلف والصفحة ، مثل :**

أبو عبيد ، ص٣٤٠ . الأفغاني ، ص١٢٠ . Simon , R., P. 40

إذا كان للمؤلف كتاب واحد من عدة أجزاء يذكر اسم المؤلف ورقم الجـــزء والصفحـــة ، مثل :

ابن سعد ، ج٥ ، ص١٣٢ .

- **في حالة وجود أكثر من كتاب للمؤلف يذكر اسم المؤلف مع الكلمة الأولى من اسم الكتاب ، ويصدق هذا على المقالات كذلك ، مثل :**

ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص ٧٥ .

ابن حجر ، تهذيب ، ج٢ ، ص ٨٤ .

المعايطة ، دواوين ، ص ٤٥ .

Kister , M . J . , Mecca , P. 500 .

- **في حالة تشابه أسماء أو ألقاب المؤلفين يذكر لقب المؤلف ومن ثم اسمه بين قوسين ، ثم الكلمة الأولى من اسم الكتاب ، مثل :**

ابن عبد الحكم (عبد الله) ، سيرة ، ص ١٥ .

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح ، ص ٣٠ .

- **الرمـــوز التاليـــة تعنـــي :**

ت : توفـــي .

ج : جـــزء .

هـــ: هجـــري .

م : مجلد .

ق : قسم .

ع : عـــدد .

ب. ت. : لا إشارة لسنة الطباعة .

ب. م. : لا إشارة إلى مكان النشر .

الخلاصة

التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام
منذ فترة الرسالة وحتى أواخر الدولة الأموية

تناول هذا البحث علاقة التجار ودورهم في دولة الخلافة ، وقد قُسّم إلى خمسة فصول، هي :

الفصل الأول : الأوضاع الاجتماعية والثقافية للتجار :

ظلت غالبية التجار منذ فترة الرسالة حتى فترة الراشدين من العرب ، أما في الفترة الأموية فقد تراجع دور العرب التجاري وظهر مكانهم دور الموالي ، كما مارس كل من النساء والعبيد ، والعبيد المكاتبين التجارة إلى جانب الرجال الأحرار. وكان للتجار علاقات جيدة مع مجتمع العامة والفقراء والفقهاء ورجالات الدولة ، مما أهلهم لأن يكونوا رجال إدارة وسياسة في الدولة . وكان لهم دور هام في الحياة العامة ، وذلك أنهم كانوا على درجة عالية من الثقافة فقد عملوا كوسائل إعلام ، وقاموا بنقل الأخبار والرسائل والمسافرين ، وساعدوا على نشر الإسلام في أقطار لم تصل الفتوحات إليها ، وساهموا في حل مشاكل أقوامهم خاصة المالية منها ، وعملوا كوسطاء بين العامة والدولة .

الفصل الثاني : الأوضاع الاقتصادية للتجار :

يوضح هذا الفصل الإمكانيات المالية للتجار ، واستثمارهم أموالهم في شراء العقارات والأراضي . ولا شك أن ثراءهم انعكس على مستوى معيشتهم ودورهم وملابس وصداق نسائهم . وقد أهّلهم وضعهم الاقتصادي الجيد لان يشّكلوا ما يشبه البنك تلجأ إليه الدولة والعامة على حد سواء للاستقراض منه عند الحاجة .

الفصل الثالث : رجالات الدولة والتجارة :

لقد كان جلّ رجال الدولة الاسلامية وقادتها في النصف الأول من القرن الأول الهجري من التجار ، وفي مقدمتهم الرسول (ص). وقد ساند هؤلاء التجار الدعوة الإسلامية ، وساهموا ببناء الدولة ، وقد دعمت الدولة التجار والتجارة ، وخصتهم بالمنح والعطايا والإقطاعات المختلفة ، واختارت مستشاريها وسفراءها من بينهم ، وتولى كثير منهم أرفع المناصب الإدارية .

الفصل الرابع : التجار ومؤسسات الدولة الاقتصادية :

لقد استفاد الخلفاء ورجال الإدارة التجار وأقرباؤهم ومعارفهم من بيت المـــال ، إمـــا باستقراض الأموال منه والاتجار بها ، أو بشراء صكوك المسجلين بديوان العطاء قبل موعـــد استيفائها بأقل من قيمتها ، أو عن طريق شراء المواد العينيّة التي تصل إليه بأسعار رخيصـــة تتساهل الدولة غالباً فيها مع معارفها . ومع اتّساع الدولـــة الإســـلامية ، انتشـــرت المراكـــز التجارية والأسواق سواء العامة منها أو الخاصة ، ونشطت التجارة بمختلف السّلع ، وعملـــت الدولة على مراقبتها وتنظيمها ، كما أنها فرضت العشور على التجار بنسب مختلفة .

الفصل الخامس : التجار وحركة الجهاد :

قد كان للتجار دور في الفتوحات الإسلامية لأن ذلك كان ينشط الحركة التجارية لـــهم ويفتح أمامهم مجالات كثيرة لزيادة فعالياتهم التجارية . ويلاحظ أن قـــادة الفتـــوح اســـتهدفوا الأسواق والمدن التجارية أثناء فتوحاتهم ، وكان لهذه السياسة أكبر الأثر في أن يكون التجـــار من أهل الحرب أول من يطلب الصلح أو الاستسلام ويسعى له . وقد لعب التجار دوراً بـــارزاً في تجهيز الحملات العسكرية بأموالهم ، وعملـــوا كعيـــون ومخـــبرين للقيـــادة الإســـلامية ، واستمرت مشاركتهم لأغراض التجارة بالطعام والأسلحة والغنائم . وقد حافظ التجـــار غالبـــاً على حيادهم السّياسي ، فتعاملوا مع أهل الحرب والأعداء بالبيع والشراء حتى أثناء المعـــارك ، وسمح لهم بدخول جميع الدول حتى تلك المعادية لدولتهم ، وهو ما أكّدت عليـــه المعـــاهدات المختلفة التي تم عقدها أثناء الفتوحات الإسلامية .

ثبت المحتويات

الموضـــوع	رقم الصفحـة

المقدمة

تركّز معظم الأبحاث والدراسات التاريخية على النواحي السياسية في غالب الأمـر ، دون الاهتمام بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية التي تعمل على تشكيل الأحداث السياسـية . وانطلاقاً من هذا كان اختيار موضوع " التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام " بهدف تتبع العلاقة بين التجار والدولة منذ بداية الدعوة الإسلامية وحتى أواخر الفترة الأمويـة . وعلـى الرغم من عدم اتفاق المؤرخين واختلافهم في تفسير أحداث هذه الفترة من تاريخنا الإسـلامي وحساسية الحديث عنها وتفسيرها ، إلا إنني اخترت هذا الموضوع الذي يحاول إظـهار دور التجار والتجارة في مرحلة التكوين والبناء لدولة الخلافة .

يواجه الباحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي مشكلة هامة ، وهي تنوع مصـادر المعلومات من مؤلفات تاريخية وفقهية وأدبية وجغرافية . ناهيك عن تشتّت المادة وقلتها فـي مصادرنا التاريخية مما يحتاج إلى كثير من الصبر لدراسة شـبه حرفيـة للمصـادر لجمـع المعلومات ذات العلاقة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن عـدم تطـرق المؤرخيـن الحديثين لهذا الموضوع ، إضافة إلى طبيعة الموضوع التي تفرض تناول فترة واسـعة مـن بداية الرسالة وحتى أواخر الدولة الأموية ، كل هذا أوجد مشكلة في وضـع الخطـة وجمـع المادة.

إن دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في صدر الإسلام يقتضي تنوُّع مصـادر المعلومات من مؤلفات تاريخية (كتب التاريخ العام ، كتب الطبقات والتراجم ، وكتب السـير ، وكتب الأنساب ، وكتب الفتوح ، وكتب المعارف العامة وكتب الأوائل)، ومؤلفات أدبية (كتب الأدب ، وكتب المعاجم ، وكتب دواوين الشعر) ، وجغرافية (كتب البلدان والمدن والمعـاجم الجغرافية وكتب الرحلات) ، وكتب فقه (كتب الحديث ، وكتب التفسير ، وكتب الفقـه العـام والخاص) ، وكتب الخراج والأموال . وعلى الرغم من تناول كل صنف من هذه المؤلفـات مواضيع خاصة إلاّ أنها لا تهمل النواحي الأخرى ، فعلى سبيل المثال نلاحظ أن كتب النسـب ما هي إلاّ كتب تاريخ وضعت في إطار النسب ، وهي مليئة بالمعلومات السياسية والاقتصادية والفكرية إضافة إلى الاجتماعية . وانطلاقا من هذا يمكن القول أن مختلف المصـادر أفـادت البحث ـ ولو جزئيا ـ في كل موضوع من مواضيع الرسالة .

حوَت كتب التاريخ معلومات هامة عن التجار وحياتـهم الاقتصاديـة والاجتماعيـة، خاصة الخلفاء والولاة منهم ، ويأتي في مقدمة هذه المصادر التاريخية التي أفادت البحث فـي جميع فصوله : كتاب التاريخ لمحمد بن واضح اليعقوبي (ت٢٩٢هـــ) ، وكتـابيّ المحـبّر

والمنمق لابن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ) ، وكتابيّ عيون الأخبار والمعارف لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، وكتاب تاريخ الأنبياء والرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، وكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت٣٤٥هـ) ، وكتب النسب وعلى رأسها أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ) ، وهناك كتاب أخبار القضاة لوكيع (ت٣٠٦هـ) الذي أفاد البحث بشكل خاص في القضايا المالية للتجار .

أوردت كتب الفتوح معلومات قيّمة حول مساهمات التجار ومشاركتهم في حركات الفتوح ، ومن هذه الكتب : كتاب فتوح الشام المنسوب للواقدي (ت٢٠٧هـ) ، الذي انفرد بمعلومات تشير إلى دور التجار في تجهيز الجيوش ودورهم في عقد معاهدات الصلح مع سكان البلاد المفتوحة. واحتوى كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ) على روايات وفيرة حول مساهمات التجار بفتح مصر وكتابة العهود التي ضمنت حرية التجارة فيها ، ناهيك عن تطرقها لدور مصر التجاري وأهميتها الاقتصادية في دولة الخلافة . وهناك معلومات أخرى قيمة في كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت٢٧٩هـ) ، وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ) .

يجد الباحث معلومات متنوعة في كتب الطبقات والتراجم ، وربما حوت أخباراً نادرة عن التجار لا نجدها في المصادر الأخرى . وقد أفادت هذه المؤلفات البحث في جميع فصوله، وذلك أنها زخرت بروايات مبعثرة هنا وهناك عن حياة التجار الاجتماعية والاقتصادية ومساهماتهم المالية بالدعوة الإسلامية ، أو بإمكاناتهم المالية وإقطاعاتهم ومقادير الأموال التي كانوا ينفقونها في الصالح العام أو كصدقات على أهل الحاجة في مجتمعاتهم . كما أن كتب الطبقات والتراجم تتناول فعاليات التجار وممارساتهم التجارية وخاصة العمال والولاة منهم . ويأتي في مقدمة هذه المؤلفات : كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت٢٢٠هـ) ، وحلية الأولياء للأصبهاني (ت٤٣٠هـ) ، وكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر (ت٥٧١هـ) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (ت٧٤٨هـ) ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) .

إن المصادر الجغرافية لا تقل أهمية عن المصادر الأخرى ، وذلك لأنها تتحدث عن الأمصار والأقاليم وفتحها وأهميتها الاقتصادية ، وتعتبر المصدر الرئيس الذي يتحدث عن المراكز التجارية والأسواق والصادرات والواردات في كل مصر أو إقليم ، ناهيك عن تطرقها للطرق التجارية. ويأتي في مقدمة هذه المؤلفات الجغرافية والتي أفادت البحث : كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت٢٧٢هـ) ، وكتاب البلدان لليعقوبي (ت٢٩٢هـ) ، وكتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والأماكن والمواضع للبكري (ت٤٨٧هـ) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) .

تعرضت كتب الأدب في حديثها عن التجار لكونهم طبقة خاصة من طبقات المجتمع لهم سلوكهم الخاص ، كما تطرقت إلى موقف الدولة من ممارسة عمالها التجارة ، وتحدثت أيضاً عن تجارة الموالي والنساء ، كما أنها تحدثت عن مظاهر حياتهم الاجتماعية ، وانفردت بمعلومات عن الصرف ومهمة وكلاء التجار وغش التجار وتلاعبهم . ومن أهم هذه المصادر التي أفادت الرسالة : كتب الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، والكامل في الأدب للمبرد (ت٢٨٥هـ) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) ، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) . إضافة إلى معاجم اللغة العربية مثل لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ) .

تعتبر المصادر الفقهية (القانونية) المصادر الإسلامية التي تطرقت بشكل مباشر وواسع للأمور الاقتصادية أكثر من غيرها ، فقد تناولت أمور التجارة ، والبيع والشراء وما يرافق ذلك من غش واحتكار وتدليس ، كما أنها تحدثت عن عشور التجارة والزكاة ، وكذلك أمور الحسبة ومراقبة البيع والشراء والتجار ، ناهيك عن تناولها ديوانيّ العطاء والخراج أو بيت المال وعلاقة التجار بهما . وانطلاقاً من هذا فإن هذه المصادر أفادت البحث في الفصل الثالث والرابع والخامس . ومن أهم هذه المصادر كتب الخراج والأموال ، مثل : كتاب الخراج لأبي يوسف (ت١٨٣هـ) ، وكتاب الأموال لأبي عبيد (ت٢٢٤هـ) ، وكتب الصحاح والسنن ، إضافة إلى كتابيّ الموطأ والمدونة الكبرى لمالك بن أنس (ت١٧٩هـ) ، وكتاب المبسوط للسرخسي (ت٤٩٠هـ) ، وكتاب معالم القربة في معالم الحسبة لابن الأخوة القرشي (ت٧٢٩هـ) .

أما كتب السير والمغازي فإنها مليئة بالمعلومات عن دور التجار ومساهماتهم في الدعوة الإسلامية وتموينهم ومشاركتهم في غزوات وسرايا الرسول (ص) ، كما أنها تعرضت إلى موقف عمر بن الخطاب من التجارة ومحاولاته وقف ممارسة العمال ورجال الإدارة للتجارة . وقد أفادت هذه المصادر البحث في الفصل الثالث والرابع والخامس ، ويأتي في مقدمة هذه المؤلفات : كتاب المغازي للواقدي (ت٢٠٧هـ) ، والسيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٨هـ) ، وكتاب سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ت٢٦٨هـ) .

تتحدث المؤلفات العربية الحديثة بشكل ثانوي عن موضوع التجارة في صدر الإسلام، وتطرقت إلى إمكانات التجار المالية والطرق التجارية والصادرات والواردات ، ولم تعتن بعلاقة التجار بالدولة ، وقد أفادت هذه المؤلفات بالتعرف على بعض جوانب الموضوع وبالتعرف على مصادر البحث . كما تطرقت كتب المستشرقين بشكل خاص إلى دور مكة التجاري قبل الإسلام وبروزها كقوة اقتصادية وسياسية في الجزيرة العربية مما أهلها للقيام بالدولة الإسلامية . كما أنها تناولت النشاطات التجارية في دولة الخلافة (أنظر قائمة المراجع

في نهاية هذه الرسالة) . وبالرغم من ذلك إلاّ أنني رجعت في جل النقاط إلى المعلومات الأولية ، ونحن في حقيقة الأمر بأمس الحاجة إلى دراسة مصادرنا الأولية وإعادة النظر فيها وفي مادتها .

هذا وقد قسّم البحث إلى خمسة فصول ، هي :ـ

الفصل الأول : الأوضاع الاجتماعية والثقافية للتجار : يتناول هذا الفصل التعريف بالتجار من الناحية الاجتماعية ، فقد اتضح أن غالبية التجار في فترة الرسالة وفترة الراشدين كانوا من العرب ، وبخاصة من قريش والمدينة والطائف . والملاحظة أنه وبعد حركة الفتوح وانتشار العرب في الأمصار الجديدة ومع بداية الفترة الأموية ، بدأت سيطرة العرب الموالي على التجارة وتراجع دور التجار العرب . هذا وقد ظهر دور العبيد والعبيد المكاتبين في التجارة منذ الفترة الراشدة وازدادت أعدادهم أيام بني أمية ، وقد عمل هؤلاء تجارا لأسيادهم العرب أو الموالي . ومن الملاحظ توجّه النساء للعمل في التجارة مثلهن مثل الرجال . وتبين أن التجار كانوا يشكّلون الطبقة المثقفة والمتعلمة في المجتمع الإسلامي ، وكانوا على معرفة بالأقاليم وسكانها وطرقها وثقافتها ، مما أهلهم لأن يكونوا قادة للفتوح ورجال إدارة وسياسة في دولة الخلافة ، كما أنهم عملوا على تمازج الحضارات والثقافات بين شعوب ورعايا دولة الخلافة . وتطرق الفصل إلى علاقة التجار بمجتمعاتهم بالحديث عن أمور المصاهرة لديهم ، وعلاقاتهم مع العامة وإغداقهم الأموال عن طريق الصدقات على ذوي الحاجة أو إقامة دور الضيافة والولائم ، كما كانت لهم علاقات جيدة مع الفقهاء ورجالات الدولة مما أهلهم لأن يلعبوا دوراً هاماً في الحياة العامة في مجتمع دولة الخلافة .

الفصل الثاني : الأوضاع الاقتصادية للتجار : تطرق هذا الفصل إلى أوضاع التجار الاقتصادية ، وذلك من خلال الحديث عن إمكاناتهم المالية وملكياتهم ، ولم يترك التجار في الغالب باباً إلا عملوا من خلاله على تنمية أموالهم ، واتجهوا إلى شراء العقارات والأراضي كذلك ، حتى أنهم أعطوا قسماً من أموالهم إلى تجار آخرين للعمل بها مضاربة ، ومنهم من لجأ إلى الاتجار بأموال اليتامى أو بالأموال التي أخذوها عن طريق الديون أو الاقتراض بدون فائدة ، أو الأموال التي كان يودعها الناس عندهم بدون فائدة في الغالب . ولا شك أن ثراءهم انعكس على مستوى معيشتهم ، فقد تميزت دورهم بكبرها وجمالها عن غيرها ، وكذلك ملابسهم وصداق نسائهم . وتطرق هذا الفصل إلى موضوع المضاربة والوكالة والاتجار بأموال اليتامى والشركة والقراض ، وذلك لعلاقة هذه القضايا بطرق تنمية التجار لأموالهم .

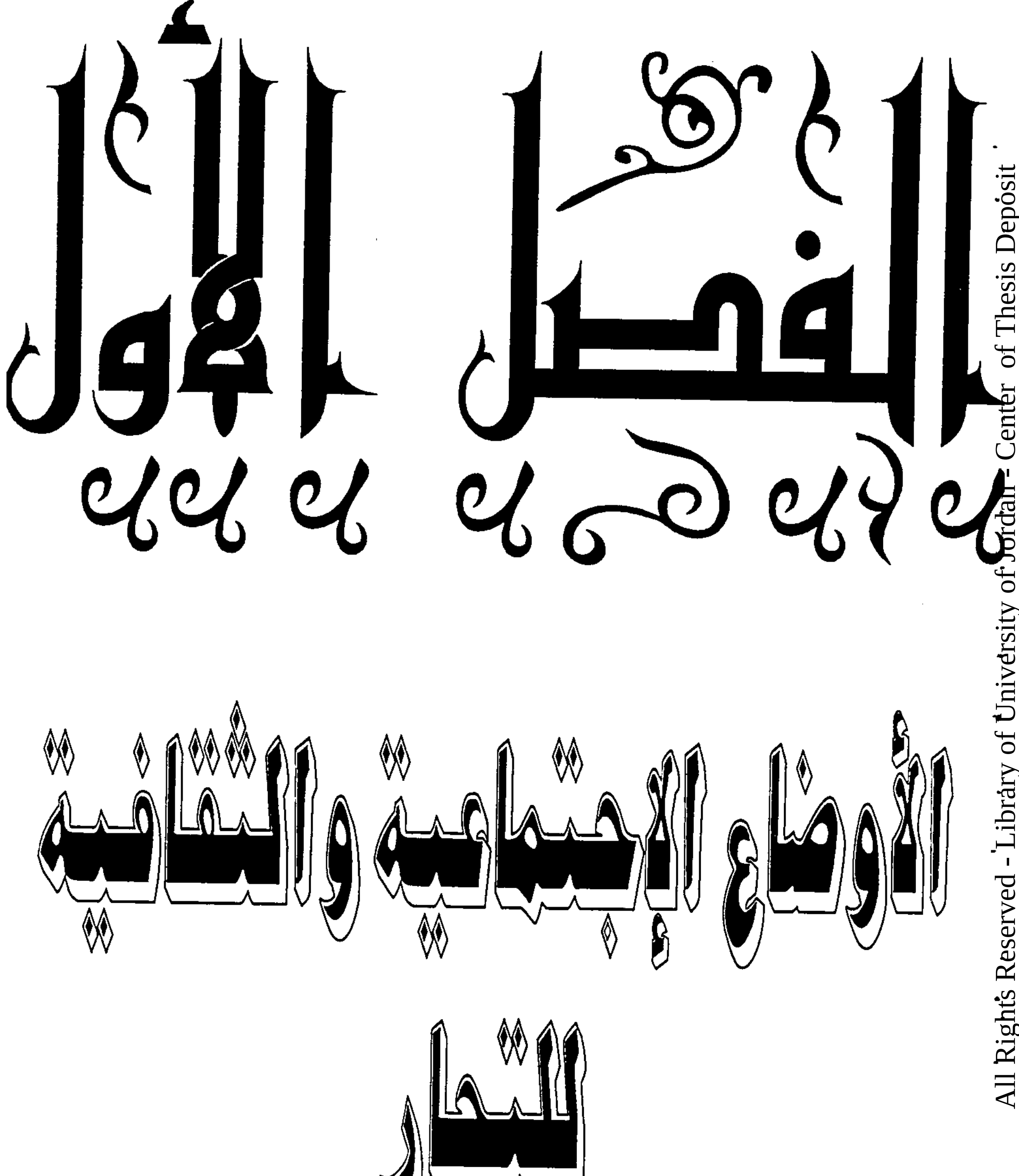
الفصل الثالث : رجالات الدولة والتجارة : تحدث هذا الفصل عن علاقة رجالات الدولة بالتجارة ، فقد تبين أن جل رجالات الدعوة الإسلامية في البداية كانوا تجاراً ويقف في مقدمتهم رسول الله (ص) ، وبعد انتقال الدعوة إلى المدينة استطاع هؤلاء التجار تحويل التجارة من

مكة إلى المدينة . واتضح أن كل قادة الدولة ورجال إداراتها في النصف الأول من القرن الهجري الأول كانوا من التجار ، وقد دعمت الدولة التجار والتجارة . إلا أن ممارسة العمال ورجال الإدارة والخلفاء للتجارة أثّر سلباً على توفر الغذاء للسكان ، مما جعل العلماء ، وبخاصة عمر بن الخطاب ، ينهون ويحذرون من ممارسة رجالات الدولة للتجارة .

الفصل الرابع : التجار ومؤسسات الدولة الاقتصادية : تناول هذا الفصل علاقة التجار ببيت المال وديوان العطاء . لقد استفاد الخلفاء والعمال ورجال الإدارة التجار إضافة إلى معارفهم وأقاربهم من بيت المال إما باستقراضهم الأموال منه والاتجار بها ، أو بشراء صكوك المسجلين بديوان العطاء التي أعطيت لهم من قبل الدولة لتحصيلها في موعد صرف الأعطيات أو أعطيت لهم لصرف أرزاقهم العينية . ناهيك عن نشاط البيع والشراء إلى حين صرف الأعطيات .

ومع اتساع الدولة الإسلامية انتشرت الأسواق والمراكز التجارية المختلفة ، سواء الخاصة منها أو العامة ، ونشطت الحركة التجارية بمختلف السّلع ، وقد اهتمت الدولة فيها بشكل كبير ، فعملت على مراقبتها وتنظيمها ، كما أنها فرضت العشور على التجار بنسب مختلفة .

الفصل الخامس : التجار وحركة الجهاد : يتحدث الفصل عن دور التجار في حركة الفتوح ، فمنذ بدايات الدعوة قام الرسول (ص) بضرب اقتصاد قريش الذي يقوم على التجارة، فوجّه السرايا والغزوات لاعتراض القوافل التجارية لقريش وللقبائل العربية ، وبالمقابل قام التجار المسلمون بتنشيط التجارة والقوافل التجارية المسلمة انطلاقاً من المدينة . وبعد فتح مكة تتابعت الفتوحات الإسلامية بقيادة طبقة التجار العالميين ، الذين كان لهم معرفة وإلمام بأحوال البلدان المجاورة . وقد لعب التجار منذ بداية الدعوة دوراً بارزاً في تجهيز الحملات العسكرية بأموالهم ، كما عملوا عيون ومخبرين للقيادة الإسلامية . واستمرت مشاركة التجار أيام بني أمية في الحملات العسكرية وذلك لأغراض التجارة ، من خلال شرائهم للغنائم الكثيرة بأسعار رخيصة ، ثم نقلها إلى أمصار أخرى بأسعار عالية .


الفصل الأول
الأوضاع الاجتماعية والثقافية
للتجار

١ـ انطلق الإسلام في مكة المكرمة في مجتمع عربي جل اعتماد أفراده على التجارة[1]. وقد شكل المجتمع المكيّ مجموعة من التجار المحليين والعالميين. وبعد انتصار الإسلام في الجزيرة العربية وخارجها بعد الفتوحات وتمصير الأمصار ، استغل المكيون هذه التطورات وأبرزوا دورهم التجاريّ في المجتمع الإسلامي ، ففي المدينة ظهرت طبقة التجار المكيين ، ومنهم : أبو بكر الصديق (ت١١هـ)[2] وولداه عبد الرحمن (ت٥٨هـ)[3] وعبد الله[4]، وأبان بن سعيد بن العاص (ت١٣هـ)[5]، وحاطب بن أبي بلتعة (ت٣٠هـ)[6]، وعثمان بن عفان (ت٣٠هـ)[7]، وعبد الرحمن بن عوف (ت٣٢هـ)[8]، والزّبير بن العوام (ت٣٦هـ)[9]، وطلحة بن عبيد الله التّيمي(ت٣٦هـ)[10]، وعمرو بن

---

(١) عن مكة وتجارتها ، أنظر : البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص ١١ . أبو هلال ، ص ٢٩٨-٢٩٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٩ ، ص ٢٥٦-٢٥٩ ، تهذيب ، ج٣ ، ص ١٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص ١٤٣-١٤٥ . الصفدي ، ج١٦ ، ص ٢٨٤ . ابن كثير ، ج٢ ، ص ٢٢٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص ١٣٠ ، ج٣ ، ص ١٨١-١٩٠ . Kister , Some , P.61-93 . Feldbauer , P.45-54 .

(٢) أبو عبيد ، ص٣٤٠ . ابن سعد ، ج٣ ، ص١٨٤-١٨٥ . ابن قتيبة ، عيون ، م١ ، ج٣ ، ص٣١٦ . البلاذري ، ج٩ ، ص٤١١ ، ج١٠ ، ص٦٢ ، ص١٠٤ . ابن رستة ، ص٢١٥ . الطبري ، ج٣ ، ص٤٣٢ ، ص٦١٦ . أبو هلال ، ص٩٩ . السرخسي ، ج٣٠ ، ص١٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٢ ، ص١٦١ ، ج٣٠ ، ص٥ ، ص٣٢١ ، تهذيب ، ج٦ ، ص٢٤٢ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٢٥٧-٢٥٨ ، المنتظم ، ج٤ ، ص١٢٧ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٣٦ . الكامل ، ج٢ ، ص٢٩١ . المزي ، ص٣١ ، ص١٣٤ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٣١ ، ج٥ ، ص٥٩٩ ، ص٦١٦ .

(٣) الأصفهاني ، ج١٧ ، ص٢٧٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٠٠ . ابن كثير ، ج٨ ، ص٩٠ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٤٠٤ .

(٤) الأصفهاني ، ج١٨ ، ص٨ .

(٥) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٦ ، ص ١٢٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص٣٦ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٣٤٠ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص١٤ .

(٦) مالك ، الموطأ ، ص٢٧٩ ، البلاذري ، أنساب ، ج٩ ، ص٤٢٧ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٤٣ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٨٤ .

(٧) مالك ، الموطأ ، ص٢٨٣ . ابن سعد ، ج٣ ، ص٦٠ . ابن رستة ، ص٢١٥ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠١ . السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٤٨ .

(٨) مالك ، المدونة ، ج٤ ، ص٣٠٦ . ابن سعد ، ج٣ ، ص١٢٥ ، ص١٣٢ . البخاري ، ج٣ ، ص٦٩ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣١ . الأصفهاني ، ج١ ، ص٩٨-٩٩ . السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٥٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٢ ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٣ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ . الكامل ، ج٣ ، ص٢٢٨ . الذهبي ، سير ، ج٣ ، ص٩١ . المزي ، ج١٧ ، ص٣٢٧ . ابن كثير ، ج٦ ، ص١٦٦ ، ج٧ ، ص١٦٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٥٠٢ .

(٩) البخاري ، ج٥ ، ص٧٧ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص١٣٢ ، المنتظم ، ج٣ ، ص٥٧ . ابن كثير ، ج٣ ، ص١٨٦ .

(١٠) ابن سعد ، ج٣ ، ص٣١٥ . يحيى بن سعيد ، ج٢ ، ص٢٠٧ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١١٦ . ابن رسته ، ص٢١٥ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٥ . النويري ، ج٢٠ ، ص٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٦٦ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٧٦-٧٧ ، الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٢٥ . ابن كثير ، ج٧ ، ص٢٤٧ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٢٢٩ .

حريث بن عمرو(ت٨٥هـ)[1]، والمسور بن مخرمة بن نوفل(ت٧٤هـ)[2]، ولقيط أبو العاص ابن الربيع بن عبد شمس[3]، وزيد بن حارثة (ت٤٥ هـ)[4]، وعمر بن الخطاب(ت٢٣هـ)[5]، وأولاده: عبد الله(ت ٧٣ هـ)[6]، وعبيد الله(ت ٤٠ هـ)[7]، وعاصم(ت ٧٠ هـ)[8].

وفي الوقت ذاته استمر في مكة دور التجار المكيين ، مثل : ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (ت٢٣هـ)[9]، وأبو سفيان بن حرب (ت٣٢هـ)[10]، وصفوان بن أمية (ت٣٦هـ)[11]، وحكيم بن حزام بن خويلد (ت٥٤هـ)[12]، وحويطب بن عبد العزى(ت٥٤هـ)[13] ، وعبد الله بن عامر بن كريز المخزومي (ت٥٧هـ)[14] ، وسعيد بن

---

(1) مالك المدونة ، ج١ ، ص٢٩١ . أبو عبيد ، ص٣٢٢ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٢١٧ ، فتوح ،ص٤٢٧-٤٢٨ . الدينوري ، ص١٣٨ . الطبري ، ج٤ ، ص١١٦-١١٧ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٦٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٧٦ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٩٧-٩٨ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١١١-١١٢ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٧ .

(2) السرخسي ، ج١٤ ، ص٦٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٣ .

(3) مالك ، المدونة ، ج٢ ، ص٣٠٠ . ابن هشام ، ص٦٥٧-٦٥٨ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٨٧ ، ج٨ ، ص٣٣ . البلاذري ،أنساب ، ج١ ، ص٣٧٧ ، ص٣٩٧ . الطبري ، ج٢ ، ص٤٦٧ ، ص٤٧٠-٤٧٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٢٣٧ . الكامل ، ج٢ ، ص٩٤-٩٥ . النويري ، ج٣ ، ص٢٣٩ .

(4) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٥٦٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٢٦١ . النويري ، ج١٧ ، ص٢١٠ .

(5) أبو عبيد ، ص٣٤١-٣٤٤ . ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٠٨ ، ص٣٧٨ . ابن قتيبة ، عيون ، م١ ، ج٣ ، ص٣٥٦ .البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣١٥ . السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ ، ج٣٠ ، ص٢٤٨ . النويري ، ج١٩ ، ص٣٣٧ . المتقي الهندي ، ج١٢ ، ص٦٥٧ .

(6) أبو عبيد ، ص٣٣١ . الدارمي ، ج٢ ، ص٢٥٩ . أبو داود ، ج٣ ، ص٦٥١ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٥٦ . السرخسي ،ج١٤ ، ص٣ ، ج٢٢ ، ص١٨ . ابن الجوزي ، ج٤ ، ص٢١٤ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٧٥ . المتقي الهندي ، ج١٢ ، ص٦٥٨-٦٥٩ .

(7) السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٧٥ .

(8) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٧٧ . أبو عبيد ، ص٢٩٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٠٩ .

(9) الطبري ، ج٢ ، ص١٣٩ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٦ .

(10) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص١١ . ابن رسته ، ص٢١٥ . أبو هلال ، ص٢٩٨-٢٩٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٩ ، ص٢٥٦-٢٥٩ ، تهذيب ، ج٣ ، ص١٢١ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٢٨٤ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص١٨٩-١٩٠ .

(11) ابن اسحق ، ص٣١٦ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٣٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٧٤ . الطبري ، ج٢ ، ص٤٩٢-٤٩٣ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢١٠ . البكري ، ج٣ ، ص١٠١٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص١٦٠ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص١٧٥ . الكامل ، ج٢ ، ص١٠١ .

(12) مالك ، الموطأ ، ص٢٦٩ . ابن أبي الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٦٦ . السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١٠٢ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٤١٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٧٢ . المتقي الهندي ، ج٤ ،ص١٧٦ .

(13) ابن سعد ، ج٢ ، ص٣٦ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٥٦ ، ج٨ ، ص٦٩ .

(14) ابن سعد ، ج٥ ، ص٤٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ص٢٩ ، ص٢٦٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٨٧ . ابن خلدون ، ج٣ ، ص٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٦١ .

العاص (ت٥٨هـ)[١]، والعباس بن عبد المطلب (ت٣٢ هـ)[٢]، وابنه عبيد الله[٣]، وعبد الله ابن ربيعة[٤].

وظهر إلى جانب التجار المكيين تجار من المدينة المنورة ، فتشير المصادر إلى بروز تجار من الأنصار مثل: أبو طلحة الأنصاري (ت٣٤هـ) ، الذي كان من أكثر أهل المدينة مالاً[٥]، وزيد بن الأرقم الأنصاري أعظم الصحابة تجارة[٦]، وأبو معقل الأنصاري[٧]، وقيس بن سعد بن عبادة الخزرجي (ت٦٠هـ)[٨].

وظهر من الطائف مجموعة من التجار الكبار ، مثل : الحكم بن أبي العاص بن بشير الثقفي[٩]، وأخوه عثمان[١٠]، والحارث بن كلده الثقفي[١١]، ونافع بن النضر بن الحارث بن كلده الثقفي وأخوه نفيع أبو بكره[١٢]، والمغيرة بن شعبة (ت٥٠هـ)[١٣].

اقتصرت الممارسات التجارية في الغالب في الفترة الراشدة على التجار العرب ، وخاصة القرشيين منهم ، وقد شكل هؤلاء طبقة اجتماعية ثرية ، مما وجه أنظار الخلافة لخطورة الدور السياسي الذي يمكن أن يلعبوه ، وقد انتبه عمر بن الخطاب لذلك ، فقام بمنعهم من الانسياح في الأمصار الأخرى خارج الحجاز[١٤]، بينما سمح لهم عثمان بن عفان بذلك ، مما ساعدهم في تنمية أموالهم وظهور دورهم الاقتصادي والسياسي في الأمصار ، مما شكل كلّه إرهاصات لإثارة الفتنة في أيام عثمان بن

---

[١] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٣٠ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٣٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٧ .

[٢] ابن اسحق ، ص٣٠٧ . البلاذري ، أنساب ، ج٣ ، ص٣ . الطبري ، ج١ ، ص٣١٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٨ ، ص٣١٣ ، تهذيب ، ج٢ ، ص٤٦١ ، ج٧ ، ص٢٣٤ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٨٢-٨٣ .

[٣] ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٣٨ ، تهذيب ، ج٧ ، ص١٩ .

[٤] الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٨٩ . ابن سعد ، ج٨ ، ص٣٠٠-٣٠١ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٩٨-٢٩٩ . الأصفهاني ، ج١ ، ص٧٤ . ابن قدامة ، ص٦٧ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٤٥٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٢٣٢ .

[٥] الدارمي ، ج١ ، ص٣٩٠ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٨٠ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٥٨ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٦٣ .

[٦] البخاري ، صحيح ، ج٣ ، ص٧٣ ، ج٥ ، ص٨٩ . المزي ، ج١٤ ، ص٧٨ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٩٥ .

[٧] ابن قدامة ، ص٣٤٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٣٠٢ .

[٨] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣١٦-٣١٧ ، ص٣١٨ . المزي ، ج٢٤ ، ص٤٣ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١٠٠ .

[٩] اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٥٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص٣٥ .

[١٠] أبو عبيد ، ص١٣٥-١٣٦ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٣٧٥ .

[١١] الدينوري ، ص١١٧ .

[١٢] البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٨٦ ، فتوح ، ص٥٤٢ .

[١٣] البلاذري ، أنساب ، ج١٣ ، ص٣٤٣ .
- سعيد الأفغاني ، ص١١٧ .

[١٤] الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٣٩٧-٣٩٨ .
- عدنان ملحم ، ص٩٧-٩٨ .

عفان[1].

ظهرت إلى جانب طبقة التجار العرب طبقة **التجار الموالي**، وكان عددهم قليلا في العصر الراشدي، وتورد المصادر بعضهم، مثل: أبو رافع مولى الرسول (ص)[2]، وذكوان مولى عمر بن الخطاب[3]، وبديل بن مريم[4] ووردان الرومي (ت٥٣هـ) موليا عمرو بن العاص[5]، وعامر جميل مولى مراد[6].

وقد ازداد عدد الموالي في العصر الأموي بعد استقرار الفتح العربي، وانتشار الإسلام بين سكان البلاد المفتوحة، وتحرير كثير من الأسرى والعبيد، وبدأت تظهر فعالياتهم في الحياة العامة[7]، وبدأوا بالسيطرة على التجارة في الأمصار الجديدة أمام توجه العرب إلى امتلاك الأراضي والتسجيل في دواوين العطاء.

وتورد المصادر معلومات عن مشاهير وسراة التجار الموالي، ففي الكوفة ظهر: زاذان أبو عمر (ت٨٢هـ) مولى كندة[8]، وعبده بن أبي لبابة أبو القاسم وشريكه الحسن بن الحر الحكم النخعي (ت١٣٣هـ)، كلاهما مولى لبني أسد بني غاضرة[9]، وأبو حنيفة النعمان ابن ثابت (ت١٥٠هـ) مولى من رهط حمزة الزيات[10]، وإسماعيل بن زكريا (ت١٧٣هـ)

---

(1) النويري، ج١٩، ص٥٠٦.

_ صالح العلي، ص٢١٤. نبيلة حسن، ص١٢٨. أحمد بدر، ص٣٧٥.

(2) المتقي الهندي، ج٤، ص١٣٦، ص١٨٦.

(3) ابن عساكر، تهذيب، ج٥، ص٢٥٣. ابن حجر، الإصابة، ج١، ص٤٩١.

(4) ابن عساكر، تاريخ، ج١١، ص٦٩، تهذيب، ج٣، ص٣٥٧. ابن الأثير، أسد، ج٣، ص٣٩١. الديار البكري، ج٢، ص١٤٦.

(5) ابن سعد، ج٧، ص٥١١. ابن عبد الحكم (عبد الرحمن)، فتوح مصر، ص١١٤. البلاذري، فتوح، ص٣٠٤. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٤.

(6) ابن عساكر، تاريخ، ج٢٦، ص١٣٦، تهذيب، ج٧، ص٢٠٦.

(7) جمال جودة، الفصل الثالث والرابع.

(8) ابن سعد، ج٦، ص١٧٩. ابن عساكر، تاريخ، ج٨١، ص٢٨٨. ابن الجوزي، صفة، ج٣، ص٥٩، المنتظم، ج٦، ص٢٥٢.

(9) ابن عساكر، تاريخ، ج١٣، ص٥٨، تهذيب، ج٤، ص١٦٣-١٦٤. المزي، ج١٨، ص٥٤٣-٥٤٥. الذهبي، سير، ج٥، ص٢٢٩.

(10) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٩٥. الخطيب البغدادي، ج١٣، ص٣٦١-٣٦٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٢٩. المزي، ج٢٩، ص٤٢٢. الذهبي، تذكرة، ج١، ص١٦٨، سير، ج٦، ص٣٩٤. ابن حجر، تهذيب، ج١٠، ص٤٤٩.

مولى أسد بن خزيمة[١]، ومحمد بن سوقة الغنوي مولى بجيلة[٢]، وحمزة بن حبيب بن عمارة مولى آل عكرمة[٣]، وأبو دكين مولى مراد[٤]. وفي البصرة ورد ذكر: سيرين[٥]، وولده محمد ابن سيرين (ت١١٠هـ) موليا أنس بن مالك[٦]، ويونس بن عبيد (ت١٣٤هـ) مولى عبد قيس[٧]، وهشام الدستوائي (ت١٥٢هـ) مولى ربيعة[٨]، وخالد بن مهران (ت١٤١هـ) مولى بني مجاشع[٩]، وسعيد بن الحزور مولى خالد القسري[١٠]، وموسى السلاماني مولى حضرموت[١١]، ومحمد بن جعفر مولى هذيل[١٢].

وظهر في الأمصار الأخرى مجموعة من التجار الموالي ، ففي دمشق ورد ذكر : أبو عبد رب الدمشقي (ت١١٠هـ) مولى بني غيلان[١٤]، زريق بن حيان (ت١٠٠هـ) مولى بني فزارة[١٣]. وفي مصر ظهر: الليث بن سعد (ت١٧٥هـ) مولى قيس[١٥]، واسحق بن

---

[١] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٧٣ .

[٢] المزي ، ج٢٤ ، ص٣٣٥ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٩ ، ص٢١٠ .

[٣] ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٥٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٨٨ . ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٠ ، ص٢٩٠ .الصفدي ، ج١٣ ، ص١٧٣ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٣ ، ص٢٣ .

[٤] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٤٢ .

[٥] المزي ، ج٢٤ ، ص٣٣٥ . الذهبي ، سير ، ج٤ ، ص٦٠٦ . اليافعي ، ج١ ، ص٢٣٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص١١٩ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٢٨ .

[٦] ابن سعد ، ج٧ ، ص١٩٩ ، ص٢٠٢ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٤٢ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٦٦ . الخطيب البغدادي ،ج٥ ، ص٣٣٦ . ابن الجوزي ، ج٣ ، ص٤٤٤ . الذهبي ، سير ، ج٤ ، ص٦١٦ ، ص٦٢٠ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٩ ، ص٢١٧ .

[٧] الجاحظ ، رسائل أدبية ، ص٢٤٢ . الأصفهاني ، ج٣ ، ص١٥-١٦ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٠٨ ، المنتظم ، ج٨، ص٢٦ . المزي ، ج٣٢ ، ص٥٢٢ ، ص٥٢٨ . ابن حجر ، تهذيب ، ج١١ ، ص٤٤٤ .

[٨] ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٥٥ . الذهبي ، سير ، ج٧ ، ص١٤٩. ابن حجر ، تهذيب ، ج١١، ص٤٣. ابن العماد الحنبلي ، ج٢، ص٢٤٥.

[٩] ابن سعد ، ج٧ ، ص٢٦٠ . الذهبي ، سير ، ج٦ ، ص١٩٢ .

[١٠] ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢ ، ص٣٦٩ ، تهذيب ، ج٤ ، ص١٢٥ .

[١١] ابن عبد ربه ، ج٦ ، ص٩٦ .

[١٢] الذهبي ، سير ، ج٩ ، ص١٠٠ .

[١٣] أبو عبيد ، ص٥١٦ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص١٤٠ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٢٤ . المزي ، ج٩ ،ص١٨١ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٣ ، ص٢٧٤ . المقريزي ، ج٢ ، ص١٢٢ .

[١٤] ابن الجوزي ، صفة ، ج٤ ، ص٢٢٠ . المزي ، ج٣٤ ، ص٣٧ .

[١٥] الأصبهاني ، ج٧ ، ص٣٢٢ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٤ ، ص٣١٣ .

قيس مولى الحواري بن زياد العتكي[1]. ومن موالي مكة هناك عبد الله بن كثير الداري المكي مولى عمرو بن علقمة الكناني[2]. ومن موالي المدينة : ذكوان بن عبد الله أبو صالح السمّان الزيات (ت١٠١هـ) مولى أم المؤمنين جويرية بنت الأعمش[3]، وسائب خاثر بن يسار مولى بني ليث الذي لزم عبد الله بن جعفر وعرف به[4]. ومن أشهر التجار الموالي بواسط : الوضاح بن عبد الله اليشكري (ت١٧٥هـ) مولى يزيد بن عطاء الواسطي[5].

من الجدير ذكره ، أن هؤلاء الموالي لعبوا دوراً نشطاً في التجارة العالمية ، وكان معظمهم من أغنى أهل الأمصار. واعتماداً على ذلك يمكن الاستنتاج أن الموالي سيطروا على التجارة في الفترة الأموية ، وأخذوا يشكّلون طبقة مميزة داخل المجتمع العربي المسلم ، حتى أن أحد الشعراء العرب لفت نظره سيطرتهم على التجارة والأسواق في العراق فعبّر عن ذلك بقوله :

تأملت أسواق العراق فلم أجد دكاكينها إلا عليها المواليا[6]

وقد استفاد الموالي من صلة ولائهم مع العرب ، فقاموا بتحسين أوضاعهم الاقتصادية والتجارية في الدولة عن طريق تسهيل عملياتهم التجارية ، وبيع بضاعتهم لقبيلة مواليهم ، أو اعتماد مواليهم العرب في البيع والشراء عليهم[7].

ومن الموالي من كان مقرّباً من الدولة ، فقد تولى ذكوان مولى عمر بن الخطاب عشور الكوفة[8]. وكان وردان الرومي مولى عمرو بن العاص بمنزلة صاحب شرطته بمصر، وقد ولاّه خراجها كما كان له فيها سوق يعرف باسمه[9]، وكان سائب خاثر مولى بني ليث ـ بائع الطعام بالمدينة ـ ملازماً لعبد الله بن جعفر وقد عرف به[10]. وطلب مولى لفاختة بنت قرظة من معاوية بن أبي سفيان منشوراً لإخلاء سوق البصرة لبيع بضاعته أولاً ، فكتب له بذلك[11].

---

[1] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٨ ، ص٢٧٣ ، تهذيب ، ج٢ ، ص٤٥٣ .

[2] ابن حجر ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٦٧ .

[3] الذهبي ، تذكرة ، ج١ ، ص٨٩ ، سير ، ج٥ ، ص٣٧ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٢١٩ . الزبيدي ، ج١ ، ص٥٤٧ .

[4] الأصفهاني ، ج٨ ، ص٣٢٢-٣٢٣ . النويري ، ج١ ، ص٢٤٤ .

[5] ابن حجر ، تهذيب ، ج١١ ، ص١٦ .

[6] الجاحظ ، رسائل ج٢ ، ص٢٥١ .
- جمال جوده ، ص١١٤ .

[7] جمال جوده ، ص١١٣ ، ص١١٦ .

[8] ابن عساكر ، تهذيب ، ج٥ ، ص٢٥٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٤٩١ .

[9] ابن سعد ، ج٧ ، ص٥١١ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١١٤ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٨٧ . البلاذري ، فتوح ، ص٣٠٤ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٨٤ .

[10] الأصفهاني ، ج٨ ، ص٣٢٣ . النويري ، ج٤ ، ص٢٤٤ .

[11] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٢٣٩ .

وتوليّ ميمون بن مهران (ت١١٧هـ) خراج الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، كما تولى بيت المال لمحمد بن مروان[١]. وكان المولى رباح بن عبيدة الباهلي ـ تاجر الثياب ـ ملازماً لعمر ابن عبد العزيز ، وكان يتولى شراء الثياب له قبل وبعد الخلافة[٢]. وكان أبو كثير مولى أسلم مقرباً إلى والي مصر عبد العزيز بن مروان ، فكان يرسل معه الأموال إلى عمر بن عبد العزيز، ويخصّه بتسهيلات جمركية ، حيث كانت توضع عنه العشور كلما دخل مصر بتجارته[٣].

شاع استخدام **العبيد في التجارة** ، حيث أذن السيد لعبده بالتجارة له في ماله ، وأطلق عليه "العبد المجيز"[٤]. وكان هناك من يحثّ على شراء العبيد للتجارة ، فيُقال : "اشتروا العبيد فانه ربً عبد قسم له من الرزق ما لم يُقسم لسيده"[٥].

وقد حرص التجار والعامة على استخدام العبيد والغلمان لتشغيل أموالهم ، فقد كان للعباس بن عبد المطلب عشرون عبداً يعملون له بالتجارة[٦]، وكان عند عثمان بن أبي العاص غلماناً يتاجرون له بالخمر[٧]، كما كان لحاطب بن أبي بلتعة عبيدٌ يتاجرون له هو الآخر[٨]. وكان عند عبد الله بن أبي ربيعة عبيد من الحبشة يقومون له بجميع المهن[٩]. ويبين أحد العبيد فعالياته التجارية بقوله : "كنت غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم ، وكنت أتلقى الغنم بظهر الحرة ، وكانوا تجاراً أعالج لهم التجارة في ذلك"[١٠].

واستمر استخدام العبيد في التجارة في العصر الأموي ، فقد كان لحسان بن أبي سنان،

---

(١) ابن سعد ، ج٧ ، ص٤٧٨ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٤٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص١٨٤ .

(٢) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٤٣٤ . الأصبهاني ، ج٥ ، ص٣٢٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٢٦٣ .

(٣) البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص٢٠٧ .

(٤) الزبيدي ، ج٤ ، ص٢١ .

(٥) ابن سعد ، ج٧ ، ص٦٥ .

– محمد سعيد طالب ، ص١٨٨ .

(٦) ابن اسحق ، ص٣٠٧ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٢٣٤ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٨٢-٨٣ .

(٧) الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٣٧٥ .

(٨) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٣ .

(٩) الأصفهاني ، ج١ ، ص٧٥ .

(١٠) المصدر السابق ، ص٥٢ .

أحد تجار البصرة ، غلام يقيم بالأهواز يوافيه بأخبار البضائع[١]، واعتمد عبد الله بن شوذب الخراساني في معيشته على غلمان يتاجرون له في السوق[٢]. كما عمل العبيد بالتجارة لصالح أسيادهم في بلاد أخرى[٣]، وفي الغزوات وجبهات القتال[٤]. لقد استخدم التجار العبيد للاتجار بأموالهم في نفس الأمصار أو خارجها بهدف البيع والشراء ، كما عملوا بمثابة وكلاء لأسيادهم في مواطن أخرى .

لم يقتصر استخدام العبيد المجيزين على التجار فقط ، بل استخدمهم الخلفاء والقادة والعمال لنفس الغرض ، وذلك لانشغالهم بأمور الدولة ، ورغبة منهم في استمرارهم بممارسة التجارة ، فيذكر أن أبا بكر الصديق كان له غلام يعمل له في تجارة القماش أثناء خلافته[٥]. وكان لأبي موسى الأشعري ، أثناء ولايته على الكوفة ، غلام يبيع له العلف ، مما دعا أهلها إلى شكواه لعمر بن الخطاب بسبب ذلك[٦]. وكان للمغيرة بن شعبة والي البصرة(٤١-٥٠هـ) غلام تاجر يؤدي له خراجاً مائة درهم عن كل شهر[٧]. وقيل أن عمر بن عبد العزيز كان له غلام يعمل على بغل[٨]. وحظي هؤلاء العبيد ، أو الغلمان التجار للخلفاء أو للقادة ، بكثير من التسهيلات ، مما درَّ عليهم وعلى مستخدميهم الأرباح الطائلة .

واستخدمت النساء اللواتي يتعاملن بالتجارة العبيد لنفس الأغراض التجارية ، حيث أرسلت خديجة بنت خويلد غلامها ميسرة للخروج في تجارتها[٩]، ويروى عن امرأة تاجرة في البحرين كان غلمانها يديرون لها تجارتها أيام المروانيين الأول[١٠]. وهكذا ساعد العبيد أو الموالي المرأة المسلمة على إدارة تجارتها ، لا سيما في مجتمع تسوده المفاهيم الإسلامية والنظرة التقليدية للمرأة .

---

[١] ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٣٧ ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٥٢ .

[٢] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٩ ، ص١٦٦ ، ص١٧١.

[٣] الأصبهاني ، ج٨ ، ص١٩٢ .

ـ صالح العلي ، ص٧١ .

[٤] مالك ، المدونة ، ج٥ ، ص٢٤٣ . السرخسي ، ج١١ ، ص١٩٣ ، ص١٩٦.

[٥] ابن عبد ربه ، ج٢ ، ص٤٥٦ .

[٦] ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٦.

[٧] ابن أعثم ، ج٢ ، ص٨٣ .

[٨] الأصبهاني ، ج٥ ، ص٢٦٠ .

[٩] ابن اسحق ، ص٨١ . ابن هشام ، ص١٨٧-١٨٨ . ابن سعد ، ج١ ، ص١٣١ ، ص١٨ . الطبري ، ج٢ ، ص١٨١ . المسعودي ، التنبيه ، ص١٩٨ ، مروج ، ج١ ، ص٥٦٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣ ، ص١٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص٢٧٤ . ابن الأثير ، ج١ ، ص١٦ ، ج٥ ، ص٤٥٣ . الذهبي ، سير ، ج١٢ ، ص١١٤ . الصفدي ، ج١ ، ص٥٨ .

[١٠] الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٥ .

ومن الملفت للنظر أن الدولة قد أقرّت كثيراً من التسهيلات وقدّمت للعبيد كثيراً من الامتيازات في أعمالهم التجارية ، فيذكر مالك بن أنس ما يشعر بذلك عندما قال : "لا يؤخذ من عبيد المسلمين إذا تجروا أو مكاتبيهم زكاة"، وقد أقر كل من عبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز . وسعيد بن جبير. وسعيد بن المسيب (ت٩٤هـ) ذلك[1]. ومن الملاحظ والمثير للاهتمام أن العبد قد أعفي من دفع العشور سواء كان يتاجر بماله أو بمال سيده[2]، ويقول السرخسي (ت٤٩٠هـ) : "إذا مرّ العبد بمال مولاه يتجر به لم يؤخذ منه العشر إلا أن يكون المولى حاضراً"[3]. وبناء على ذلك فقد كان إعفاء العبيد من العشور أو الضرائب عاملاً مساعداً في زيادة اقتناء المسلمين للعبيد ، أو استخدامهم للتجارة لهم ، الأمر الذي ساهم في خلق فئة التجار المكاتبين فيما بعد خاصة في العصر الأموي وزيادة النشاط التجاري . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الإسلام قدّم هذا كله للرفع من مستوى العبيد اقتصادياً وبالتالي اجتماعياً ، وفي هذا ما يشعرنا بتسهيل فرص تحرير أنفسهم كذلك .

أشارت الروايات إلى وجود طبقة **تجار من العبيد المكاتبين** ، وقد اتجه كثير منهم إلى تحرير أنفسهم عن طريق عقد المكاتبة ، الذي كانوا يؤدون فيه مبلغاً من المال لأسيادهم من خلال عملهم بالتجارة ، وينضمّون إلى طبقة التجار الأحرار (الموالي) ، وتورد المصادر أمثلة كثيرة على ذلك ، فروي عن أحد موالي عمر بن الخطاب قوله : "سألت عمر المكاتبة ، قال: كم تعرض ؟ قلت : مائة أوقية ... وكاتبني عليها ... فسألته أن يأذن لي إلى العراق ، قال : أما إذا كاتبتك ، فانطلق حيث شئت"[4]. وكان في البصرة غلام لعبد الله بن عامر بن كريز (ت٥٧هـ) سأل مولاه المكاتبة ، فطلب منه مائة ألف ، فتوجه المولى إلى رجل آخر ، وقال له: "إن لي مالاً وأنا أكره مولاي ، فاشترني وكاتبني على ما بدا لك". فاشتراه بعشرة آلاف ، وكاتبه على خمسين ألفا[5].

وهناك الكثير من الموالي التجار الذين كاتبوا أسيادهم على مبالغ كبيرة[6]، من بينهم أبو دكين الكوفي مولى الجمليين الذي كاتب سيده على مائة ألف ، وقد قام هذا المولى بإقراض أحدهم فيما بعد سبعمائة ألف إلى العطاء[7]. ومن الموالي من كانت مكاتبته سبعين ألفا ، مثل :

---

(1) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٢٤٩ ، ص٢٧٩ .

(2) المصدر السابق ، ص٢٤٩ ، ص٢٥٩ . أبو عبيد ، ص٥٣٠ .

(3) السرخسي ، ج٢ ، ص٢٠١ .

(4) المتقي الهندي ، ج١٢ ، ص٦٤٥ .

(5) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٤٦ .

(6) صالح العلي ، ص١٨٠ .

(7) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٤٢ .

راشد مولى عبد الرحمن بن بديل الخزاعي[١]، وسفيان مولى قرظة بن كعب الأنصاري. وقد كاتب بزوان أبو الفضل بن بزوان مولى بني البكاء على خمسين ألفاً ، وبنفس قيمة هذا المبلغ كانت مكاتبة كل من غزوان مولى البراء بن أبي عقيل ، وأبو سعيد مولى خالد بن عرفطة[٢].

ورغم ذلك فإن هناك تجار كانوا يرفضون مكاتبة مواليهم ، فعندما أراد سيرين-والد محمد بن سيرين ـ من مولاه أنس بن مالك مكاتبته فإنه رفض معّللاً ذلك بقوله : "أردت أن تموت فأرثك"، فشكاه سيرين إلى عمر بن الخطاب الذي أمر مولاه بمكاتبته ، فكاتبه على أربعين ألفا[٣]. ويبيّن هذا تدخل دولة الإسلام في أمور المكاتبة ، وتعاطفها مع الموالي التجار ، ناهيك عن تقديمها لهم التّسهيلات الجمركية لمساعدتهم ، كما قدمت هذا للعبيد غير المكاتبين ـ كما ذكر سابقاً ـ فيذكر أن مكاتبة تدعى أم قيس قالت :"مررت على مسروق بالسلسلة (قرب الكوفة) ومعي ستون ثوراً تحمل الجبن والجوز ، فقال: ما أنتِ ؟ فقالت : مكاتبة ... قال: خلّوا سبيلها ، ليس على مال مكاتب أو مملوك زكاة"[٤]. ولعل هذا يفسر ارتفاع مبالغ مكاتبتهم .

مارست **النساء التجارة** قبل الإسلام مثلهن مثل الرجال ، وأكبر دليل على ذلك خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، فيذكر ابن اسحق (ت١٥١هـ) وغيره من المصادر عنها: "كانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إيّاه بشيء تجعله لهم منه"[٥]، وكانت لها أخت تعمل في تجارة الأدم[٦]. وأشارت الروايات التي وصفت سوق عكاظ وغيره من الأسواق إلى مشاركة النساء في البيع والشراء في هذه الأسواق ، فيذكر أن امرأة من بني تيم بن ثعلبة تدعى ذات النِّحْيَيْن كانت من تجار السمن

---

[١] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٤١ .

[٢] المصدر السابق ، ص٣٤١-٣٤٢ .

[٣] ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٤٤ . المزي ، ج٢٤ ، ص٣٣٥ . الذهبي ، سير ، ج٤ ، ص٦٠٦ . اليافعي ، ج١ ، ص٢٣٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص١١٩ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٢٨ .

[٤] ابن سعد ، ج٨ ، ص٤٩٦ . أبو يوسف ، ص١٣٧ .

[٥] ابن اسحق ، ص٨١ . ابن هشام ، ص١٨٧-١٨٨ . ابن سعد ، ج١ ، ص١٣١ ، ج٨ ، ص١٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٩٧-٩٨ . الطبري ، ج٢ ، ص٢٨١ . المسعودي ، التنبيه ، ص١٩٧ ، مروج ، ج١ ، ص٥٦٨ . البكري ، ج٢ ، ص٤١٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣ ، ص١٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص٢٧٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٧١-٧٣ ، المنتظم ، ج٢ ، ص٣١٣-٣١٤ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢١١ . ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص١٦ ، ص٤٣٥ ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٤-٢٥ . ابن العبري ، ص٩٤ . النويري ، ج١٦ ، ص٩٦ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص١١٤ . الصفدي ، ج١ ، ص٥٨ . ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٩٤ . ابن بطوطة ، ص١٢٩ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥ . الديار البكري ، ج١ ، ص٢٦٣ .

[٦] ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٩٥ .

والمأكولات الأخرى[١]، وهنـــاك تاجرة سمن أخرى هي عبلة بنت عبيـــد بن خالـــد[٢]، وورد ذكر سلمى بنت حُريملة ـ والدة عمرو بن العاص ـ أنها كانت تبيع العباء[٣].

ولما جاء الإسلام لم يقف عائقاً أمام ممارسة المرأة للتجارة ، فأجاز الشركة فيهـــا بيـن النساء والرجال ، وكذلك شراكة النساء بعضهن البعض[٤]. وأوضح كثير من العلمـــاء أنـــه لا يجوز للرجل أن يمنع زوجته من ممارسة التجارة[٥]. وانطلاقا من هذا ، كانت النساء يرجعـــن إلى الرسول (ص) للاستفسار منه عن رأي الشرع في بعض الأمور التي تلتبس عليـــهن فـــي البيع والشراء ، فقد جاءت إحدى النساء التاجرات ، وهي قيلة الأنمارية ، إلى الرســـول (ص) لتسأله عن موقفه من الأسعار[٦].

تزخر المصادر بأخبار كثيرة عن النساء التاجرات ، مثـــل : عائشـــة زوج الرســـول (ص) والتي كانت تتاجر في أموال الآخرين ، ومنها أمـــوال اليتـــامى التـــي كـــانت وصيّـــة عليهم[٧]. وهناك مليكة أم السائب بن الأقرع الثقفية ، التي كانت تبيـــع العطـــر فـــي المدينـــة المنورة ، حتى أنها كانت تبيع الرسول (ص) وزوجاته منه[٨]. وورد ذكر أسماء بنت المســـور ابن مخرمة التي اعتبرت من تاجرات العطور الشهيرات في المدينة المنورة ، وكـــانت تبيـــع بضاعتها وتحصّل الثمن بعد توزيع الأعطيات ، وقد كان ابنها عبد الله بن ربيعة ، يرسل لـــها العطور من اليمن[٩]. وتتحدث الأخبار عن الحولاء العطارة التي كانت تدورعلى بيـــوت أهـــل المدينة المنورة لبيع العطر[١٠]. وورد ذكر امرأة تاجرة ، ذات صيت كبير في اليمامة، كـــانت تتاجر وتدير تجارتها عن طريق أولادها وعبيدها ، وكان بيتها ملتقى لجميـــع التجـــار الذيـــن وردون اليمامة من مختلف الأمصار[١١]. وورد ذكر إحدى النساء التي أعطت زوجها أربعـــة

---

[١] ابن قدامة ، ص٣٢٣ . الصفدي ، ج٣ ، ص٤٢٦ .

[٢] الأصفهاني ، ج١ ، ص١٩٩ ، ج١٣ ، ص٢٧٢ .

[٣] اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٦٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص١١٦ . المزي ، ج٢٢ ، ص٨٢ .

[٤] مالك ، المدونة ، ج٥ ،ص٧٠ .

[٥] المصدر السابق ، ص٢٢٢ .

[٦] ابن سعد ، ج٨ ، ص٣١١-٣١٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٥٣٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٣٩٣ .

[٧] السرخسي ، ج٢٢ ، ص٨ .

[٨] ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٥٤٨-٥٤٩ .

[٩] الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٨٩ . ابن سعد ، ج٨ ، ص٣٠٠-٣٠١ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٩٨-٢٩٩ . الأصفهاني ، ج١ ، ص٧٤ . ابن قدامة ، ص٦٧ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٤٥٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٢٣٢ .

[١٠] الخطيب البغدادي ، ج٨ ، ص٣٣٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٤٣٢ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٢٧٨ .

[١١] الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٥ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٤ ، ص٧٧ .

آلافِ دينارٍ ليتاجر لها بها(١). ومن التاجرات والتجار من كان يوظف النساء في غزل الأقمشة، فيرد ذكر سفيان الثوري الذي كان لديه عدة نساء يعملن له بالمغزل في مكة(٢).

واستفادت النساء من بيت المال والاقتراض منه لأمور التجارة ، فيذكر عن هند بنت عتبة ـ زوجة أبي سفيان ـ عام ٢٣هـ ، ما نصّه : "إن هنداً ابنة عتبة قامت إلى عمر بن الخطاب فاستقرضته من بيت المال أربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها ، فأقرضها ، فخرجت فيها إلى بلاد كلب ، فاشترت وباعت"(٣). ويذكر ابن سعد أن إحدى التاجرات مرّت على العشار مسروق بن الأجدع في موضع تعشير التجار بالقرب من الكوفة ، وكان معها ستون ثوراً تحمل الجبن واللوز ، وكانت من النساء المكاتبات فلم يعشرها ، ولم يأخذ منها الضريبة لأنها امرأة مكاتبة(٤).

ويبدو أنه كان للنساء أسواق خاصة بهن كسوق الغزل والكتان وغير ذلك(٥)، ويفسر هذا استعمال عمر بن الخطاب الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس على إحدى أسواق المدينة(٦).

لم يعترف المجتمع القبلي بعضوية الشخص فيه إلا من خلال انتمائه القبلي ، ولما دخل غير العرب في الإسلام انتسب هؤلاء بدورهم إلى القبائل العربية ، وأصبحوا أفراداً فيها ، وأطلق عليهم لفظ "الموالي" تمييزاً لهم عن أفراد القبيلة من العرب ، وأصبحوا عرباً برابطة (نسب) الولاء ، بينما ربطت العرب داخل القبيلة الواحدة رابطة (نسب) الدم(٧). وعندما شكل الموالي غالبية مجتمع التجار أيام بني أمية نسب هؤلاء غالباً إلى البضاعة التي كانوا يتاجرون فيها ، أو المهنة التي كانوا يزاولونها . وأصبحت هذه المهن أو الحرف تنسب لهم ، وتحول كثير منها مع مرور الوقت إلى أسماء عائلات عربية ، وقد لقب سعد بن نائل مولى عمار بن ياسر بالقرظي نسبة إلى تجارة القرظ التي كان يزاولها(٨)، وكان ذكوان ابن عبد الله (ت١٠١هـ) يتاجر بالسمن والزيت بالكوفة ، فأطلق عليه أبو صالح السمان

---

(١) المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٨٢٨ .

(٢) الأصبهاني ، ج٧ ، ص٦٣ .

(٣) الطبري ، ج٤ ، ص٢٢١ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٣٣ .

(٤) أبو يوسف ، ص١٣٧ . ابن سعد ، ج٨ ، ص٤٩٦ .

(٥) ابن الأخوة ، ص٨٢ .

(٦) المزي ، ج٣٥ ، ص٢٠٧ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٣٤١ .
ــ أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ونظمه ، ص١٧٣ .

(٧) جمال جودة ، ص٥٧ .

(٨) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٣ ، ص٤٧٤ . الصفدي ، ج١٥ ، ص١٥٨ .

ذكوان بن عبد الله[1]، وكذلك حمزه بن حبيب بن عمارة الزيات الذي كان تاجرا بالزيت[2]، ومحمد بن جعفر الكرابيسي الذي كان تاجرا بالطيالسة والكرابيس[3]، وعثمان بن سليمان البتي الذي كان يبيع ثيابا تسمى البتوت[4]، وحفص بن سليمان البزاز الذي كان تاجرا بالبز[5]، والشاعر أبو العتاهية الملقب بالجرار . لأنه كان يشتري ويبيع الجرار[6]، وابن مقرن الصيرفي الذي عمل صرافا عند أبي العباس السفاح[7]، وهشام بن أبي عبد الله الدستوائي ، الذي كان يبيع الثياب الدستوائية التي تجلب من دستوا[8].

ويلاحظ أن هناك تجار نسبوا إلى البلاد التي يتاجرون إليها ، مثل : حذيفة بن جابر العبسي (ت٣٦هـ) الذي لقب باليمان ، فكان إذا قدم المدينة قيل : "قد جاء اليماني" ، وذلك لشهرته في تجارته مع اليمن[9]. وإبراهيم بن اسحق ، من الكوفة ، والذي لقب بالصيني بسبب تجارته مع الصين[10]. وإسماعيل بن مسلم المكي الذي كان لا ينتمي إلى مكة إنما لتجارته إليها[11]. والحسن بن عمر بن شقيق بن أسماء البلخي ، وهو بصري يتاجر إلى بلخ[12]. ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن البرقي الذي نسب إلى برقة في إفريقيا نسبة لتجارته إليها[13]. وعبد الله بن كثير الداري الذي كان يجلب العطر إلى المدينة من سوق دارين بالبحرين[14]. وعيسى أبو جعفر الرازي التميمي ، وهو من البصرة لكنه نسب إلى الري مكان

---

(1) المزي ، ج٨ ، ص٥١٣ . الذهبي ، تذكرة ، ج١ ، ص٩٨ ، سير ، ص٣٧ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٣١٩ . الزبيدي ، ج١ ، ص٥٤٧ .

(2) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٢٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٨٨ . ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٠ ، ص٢٩٠ .الصفدي ، ج١٣ ، ص١٧٣ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٣ ، ص٢٧ .

(3) الذهبي ، سير ، ج٩ ، ص١٠٠ .

(4) الزبيدي ، ج١ ، ص٥٢٣ .

(5) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج٧ ، ص٢١٦ .

(6) الزبيدي ، ج٣ ، ص٩٧ .

(7) ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص٧٤ .

(8) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٥٥ . الذهبي ، سير ، ج٧ ، ص١٤٩ . ابن حجر ، تهذيب ، ج١ ، ص٤٣ . ابن العماد الحنبلي ، ج٢ ، ص٢٤٥ .

(9) البلاذري ، فتوح ، ص٤٣٠ .

(10) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٤٠ .

(11) يحيى بن آدم ، ج٤ ، ص٨٢ .

(12) المزي ، ج٦ ، ص٢٧٨ .

(13) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٨٩ .

(14) ابن حجر ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٦٧ .

تجارته[1]. وانتسب أحد تجار الخُمر والمقانع إلى المكان الذي كان يجلس فيه للبيع أو الشراء ، وهو اسماعيل بن عبد الرحمن السّدّي (ت١٢٧هـ) الذي كان يبيع في سُدَّة الكوفة[2].

ويلاحظ أن معظم هؤلاء التجار هم من الموالي الذين ازداد عددهم في العصر الأموي، وبالمقابل لم نجد من تجار قريش أو العرب من انتسب إلى تجارته ، لأن في نسبه العربي ما يغنيه عن ذلك . وأمام هذا يمكن الملاحظة أن النظام الإسلامي عمل على تعريب طبقة التجار الموالي ، وبدأ بإبراز أسماء عائلات وأسر ترجع إلى المهن والبضائع ، أو المواد التجارية ، وهذا النمط والتطوّر ظهر لدى جميع الشعوب ، سواء العرب أو غيرهم .

واعتماداً على ما سبق ، يمكن القول أن طبقة التجار كانت مكونة في بداية الإسلام وحتى أواخر الفترة الراشدة من العرب ، ولما انتشر العرب في الأمصار المفتوحة ، وتقلد التجار العرب أمور الإدارة والسياسة ، واتجهوا لامتلاك الأراضي والتسجيل في دواوين العطاء والتفرغ للجهاد ، بدأ بالظهور التجار الموالي المسلمون سواء الأحرار منهم أو العبيد ، وقد أصبحوا يشكلون المجتمع التجاري في الدولة الأموية ، ولا ننس أن هؤلاء كانوا يعتبرون عرباً بالولاء من الناحية الاجتماعية ، ناهيك عن ممارسة النساء المسلمات للتجارة إلى جانب الرجال .

٢- **ارتبطت التجارة بعدة علوم ومعارف** وفي مقدمتها القراءة والكتابة ، وذلك لحاجة التجار للتعليم أكثر من غيرهم ، خاصةً أنهم كانوا يكثرون التنقل بين البلدان[3]. فيذكر أن تجار قريش تعلموا الكتابة من الحيرة ونقلوها الى مكة[4]، ومن هؤلاء أبو سفيان بن حرب الذي تعلم الخط في فترة مبكرة ، وقد صحبه بعض التجار ليتعلموها منه[5]. وقد ازدادت حاجة التجار لتعلم الكتابة مع انتشار البيع بالصكوك ، خاصةً صكوك الاستقراض[6]. كما إن عمل التجار وسفرهم إلى بلاد غير بلادهم فرض عليهم معرفتهم باللغات الأخرى[7].

وفي بداية الدعوة الإسلامية أجاد معظم التجار القراءة والكتابة ، خاصةً المهاجرون المكيون منهم ، مما دفع الرسول (ص) للاستعانة بهم في كتابة معظم معاملات دولته الناشئة ، فقد كان الزبير بن العوام وجهم بن سعد يكتبان له أموال الصدقة ، واستخدم حذيفة بن اليمان

---

(١) المزي ، ج٣٣ ، ص١٩٣ . ابن حجر ، تهذيب ، ج١٢ ، ص٥٦ .

(٢) الجوهري ، ج٢ ، ص٤٨٦ . ياقوت ، معجم الأدباء ، ج٧ ، ص١٤ .

(٣) أحمد عورات وآخرون ، ص٣٩ .

(٤) سعيد الأفغاني ، ص١١٤ .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص١٥٩-١٦٠ .

(٦) الجاحظ ، رسائل أدبية ، ص٢٠٩ .

(٧) أحمد عورات وآخرون ، ص٣٩ .

(ت٣٦هـ) لكتابة خرص النخل ، كما كان المغيرة بن شعبة (ت٥٠هـ) والحصين بن نمير يكتبان له المداينات والمعاملات الأخرى[١]، وإن استعراض أسماء كتاب الوحي الذين استخدمهم الرسول (ص) يوضح أن أغلبهم كانوا من التجار ، حتى أن بعضهم كان يجيد أكثر من عشر لغات مثل زيد بن ثابت[٢].

وكان الحساب من العلوم الهامة التي ألمّ بها التجار ، خاصة الصيارفة ، فيذكر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) "إن صناعة الصرف تجمع بين الكتابة والحساب والمعرفة بأصناف الأموال ولا تجد بداً من ملّة السلطان"[٣].

وساهم التجار في تطوير علم الجغرافيا ، إذ أن هدف الرحلات الأولى كان تجارياً[٤]، لذا فلا عجب أن يكون للتجار ، وهم الجغرافيون الأوائل ، معرفة واسعة بالطرق والسكان ، وقد ساعد إلمام أبي بكر الصديق بذلك هجرة الرسول (ص) من مكة إلى المدينة[٥]. كما أن معرفة عمرو بن العاص (ت٤٣هـ) السابقة لمصر جعلته يتوجه إليها ويقود فتحها[٦]، فقد قال لعمر بن الخطاب : "إنيّ عالم بمصر وبطرقها وهي أقل شيء منعة وأكثر أموالا"[٧]. كما كانت معرفته لأهل فلسطين ومسالكها عاملاً في اختيارها مكاناً لإقامته ، والتحريض فيها على عثمان بن عفان بعدما عزله عن مصر[٨].

وأجاد التجار كذلك علم السكان وسلوكهم ، فيذكر أن الخليفة أبا بكر الصديق عندما وجّه قائده زيد بن حارثه إلى الشام ، قدم له وصفاً دقيقاً لفئات سكانها ، كما بيّن له أسلوب التعامل مع كل فئة ، حيث قال له : "وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم ... وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ... وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف ..."[٩]. ومن التجار من كان له معرفة ببعض نساء البلدان الأخرى وبأسمائهن ، فيذكر أن عبد الرحمن بن

---

(١) النويري ، ج١٨ ، ص٢٣٦ . القلقشندي ، ج١ ، ص٩١ .

(٢) النويري ، ج١٨ ، ص٢٣٦ . القلقشندي ، ج١ ، ص٩٢ .

(٣) الجاحظ ، رسائل أدبية ، ص٢٠٩ .

(٤) أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ونظمه ، ص٣٠٩ .

(٥) ابن سعد ، ج١ ، ص٢٣٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٠ ، ص٩٤ . ابن خلكان ، ج٣ ، ص٦٩ .

(٦) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٥٣ ، المقريزي ، ج١ ، ص١٥٨-١٥٩ .
_ عدنان ملحم ، ص١٦٦-١٦٧ .

(٧) الكندي ، ص٣٠ .

(٨) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ق٤ ، ص٥٦٥ ، فتوح ، ص٣١٣ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص١٢١ .

(٩) الطبري ، ج٣ ، ص٢٢٦-٢٢٧ . مالك ، المدونة ، ج٢ ، ص٧ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص١٢٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٠ .

أبي بكر طلب من عمر بن الخطاب أن يهب إليه ليلى بنت الجودي إذا تم سبيها أثناء فتح الشام ، وهي حسناء سورية كان عبد الرحمن قد فتن بجمالها أثناء تجارته إلى الشام[١].

ويلاحظ أن بعض قادة الفتح الإسلامي استفاد من معارف التجار، فقد سأل عمرو بن العاص عند توجهه إلى إيلياء عدي بن عامر ، الذي كان له معرفة واسعة بمسالك ومساكن الشام ، عمّن وراءه ، فقال له : "المتنصرة وجنودهم مثل النمل ..."[٢] ، وقال محرز بن حريش ، الذي كان يتاجر مع الحيرة ، لخالد بن الوليد عندما أراد المسير إلى اليمن : "اجعل كوكب الصبح على يمينك ..."[٣].

وقد أهلّت معارف التجار وعلومهم في كافة المجالات ، خاصة القرشيون منهم كأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وأبي سفيان بن حرب ، وولده معاوية، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ؛ لأن يكونوا أهل العقد والحل في الإسلام[٤].

ساهمت التجارة في نشر العلوم والمعارف وتبادلها بين الأمم من خلال اقتباس التجار للكثير من نظم البيع والشراء بينهم ، وهو أمر جعل القرشيين بالذات أكثر العرب ثقافةً وتهذيباً ، وهم الذين كوّنوا نواة الدولة الإسلامية فيما بعد في المدينة.

عمل التجار على نقل الأخبار من خلال تنقلهم بين المدن المختلفة ، فتشير المصادر إلى أنه "كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط "[٥]. كما كان هؤلاء يقومون بدورهم بنقل أخبار المدينة إلى الشام[٦]. وكان الناس يتوجهون إلى التجار الذين ينزلون بلادهم لسؤالهم عن الأخبار المختلفة ، فيذكر أن أحدهم سأل أبا سفيان بن حرب ــ عندما كان في تجارة له خارج مكة ــ عن حال الناس في مكة ، فذكر له عمّن تزوج فيها[٧]. وكان الشاعر عمر بن أبي ربيعة "يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم"[٨]. وعندما قتل الحسين بالكوفة ، توجه الناس للتجار الذين كانوا يمتارون من

---

[١] الأصفهاني، ج١٧،ص٢٧٤.ابن الجوزي،المنتظم، ج٥،ص٣٠٠. ابن كثير، البداية، ج٨ ،ص٩٠.ابن حجر ،الإصابة، ج٤ ،ص٤٠٤ .

[٢] الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٨ .

[٣] الديار البكري ، ج٢ ، ص٣٣٠ .

[٤] سعيد الأفغاني ، ص١١٧ .

[٥] الواقدي ، المغازي ، ج٣، ص٩٩٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٤،تهذيب ، ج١ ،ص١١٠. الديار البكري، ج٢،ص١٢٢ .

[٦] الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٧ .

ــ سعيد الأفغاني ، ص٢٣ .

[٧] الأصفهاني ، ج٩ ، ص٥٢ .

[٨] المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠١ .

الكوفة للتحقق من هذا النبأ[١].

ونقل التجار خبر نبوة الرسول (ص) إلى كافة الأقطار ، خاصة إلى الشام[٢]. وكان سلمان الفارسي ممن تسامع بذلك فقدم إلى الرسول (ص)[٣]، وكذلك التاجر المجوسي (ماناهيه) الذي خرج من مرو إلى المدينة لرؤية الرسول (ص)[٤]، والتاجر المسعر بن سوادة، الذي جاء من الشام لذلك[٥]. ولتقصي أخبار نبوة الرسول (ص) بشكل أوسع استدعى هرقل – ملك الروم – أبا سفيان بن حرب أثناء تجارته إلى الشام ليسأله عن الأمر[٦]، كما سأل أحد الرهبان طلحة بن عبيد الله حول نفس الموضوع عند حضوره إلى سوق بصرى[٧]. وبالتالي كان التجار وسيلة الإعلام الأولى التي يتم من خلالها نقل أخبار نبوة الرسول (ص) إلى كافة الأنحاء . كما أنهم لعبوا دوراً غير مباشر في قدوم كثير من المهتمين بأمر النبوة إلى المدينة فيما بعد .

وكانت الأسواق غالباً مراكز للتبادل الإعلامي ، لذا حرص الرسول (ص) على نشر دعوته فيها ، حيث كان يطوف في سوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي مجاز لمدة عشر سنوات يدعو الناس فيها لدعوته[٨].

وساهمت التجارة والرحلات التجارية في نشر الإسلام ، فيذكر أن نصرانياً أسلم عند قدومه إلى المدينة بتجارته من الشام[٩]، وأسلم كذلك مجوسي جاء مرة بتجارته إلى المدينة

---

(١) الطبري ، ج٥ ، ص٣٨٧ .

(٢) ابن عساكر ،تاريخ،ج٦،ص١٢٨. ابن الأثير ، أسد ، ج١ ،ص٣٦ . ابن كثير ،ج٥ ، ص٣٤٠ .ابن حجر،الإصابة ،ج١،ص١٤ .

(٣) ابن اسحق ، ص٨٨-٩٠ . ابن سعد ، ج٤ ، ص٧٦-٧٧ . الأصبهاني ، ج١ ، ص١٩٤ . الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص١٦٦-١٦٨ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٩٢ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٥٢٥-٥٢٩ ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢١ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٢٨٦ .

(٤) ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٢٨٥ .

(٥) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٠ ، ص٤١٢ .

(٦) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١١٦ . الطبري ، ج٢ ، ص٦٤٧ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٩١ ، تهذيب ، ج١ ، ص١٤٠ ، ج٦ ، ص٣٩٣ . النويري ، ج١٦ ، ص١٥٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٢٧٦-٢٧٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٤٤ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٦٣ .

(٧) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢١٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٦٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢ ، ص٣٤٠ . ابن كثير ،ج٣ ، ص٢٩ .

(٨) يحيى بن آدم ، ج٢ ، ص١٦٣ ، ص٢٣٨ . البكري ، معجم ، ج٣ ، ص٩٦٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١٠٢،تهذيب ، ج٤ ، ص٤١٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص١١٨ ، المنتظم ، ج٢ ، ص٣٥٦ ، ج٣ ، ص١٦، ج٥ ، ص٢٧٢ . ابن قدامة ص٢٧ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٣٤ ، ج٥ ، ص٥٩ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٣٦١-٣٦٢ . النويري، ج١٦، ص٣٠٢ . المزي ، ج٧ ، ص١٧٦ .

(٩) ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص١٠٤ .

وغير اسمه من (ماناهيه) إلى محمد[1]. والتقى التجار برهبان أهـــل البــلاد التــي نزلوهــا بتجارتهم، مثل طلحة بن عبيد الله الذي التقى في سوق بصرى الشام براهـــب وصــف لــه الرسول (ص) وسأله عن ظهوره[2]، وقد حصل الشيء نفسه مع أبان بن سعيد بـــن العــاص الأموي[3]. وكـــان سليط بن سميع العامري يهتم بالحديث مع رهبان الصين أثنــــاء تجارتــه إليها[4]. ولاننسى أن انتشـــار الإسلام في جنوب آسيا لم يكن عن طريق الفتوح ، بل كان عن طريـــق الدعـــوة الإسلاميــــة التي حملها التجار المسلمون إلى هناك[5].

واستغل تجار آخرون تنقلهم بالتجارة لسماع الأحاديث التي رويت على لسان الرســول (ص) كالتاجر المغيرة بن زياد البجلي الموصلي الذي كان يتاجر إلى الشام وأذربيجـــان[6]. ويذكر أن بعض التجار قد تأثروا بأهل البلاد الأخرى كالتاجر الدمشقي أبو عبـــد رب ، أو عبيدة بن المهاجر ، الذي سمع أثناء تجارته إلى أذربيجان دعوة للتزهد ، فتصدق بماله بعـــد عودته إلى بلده ، وقد كان أكثر أهل دمشق مالاً[7]، وهكذا فعل أيضاً التاجر شقيق البلخـــي ، بعد تأثره من كلام زاهد أثناء تجارته لأرض الترك[8].

وحرص التجار على النزول في بيوت قريبة من بيوت تجار أهل البلاد التي ينزلونها، وأقاموا علاقات حسنة معهم[9]. وساهم هذا في التبادل الثقافي والحضاري بين ســكان البـــلاد المختلفة ، ويبرز ذلك بقول إياس بن معاوية ، قاضي البصرة في نهاية القرن الـــهجري الأول (ت١٢٢هـــ) : "التاجر الفقيه أفقه من الفقيه الذي ليس بتاجر"[10].

ومن الملاحظ أن رحلة التاجر إلى الأقطار الأخرى لــم تقتصـــر علـــى المعـــاملات التجارية وحدها فحسب ، بل تعدتها إلى الاجتماع بأهل البلد وكبارها ورهبانـــــها ومناقشـــة الكثير من الأمور خارج نطاق التجارة ، لا سيما المواضيع الفكرية والعقائدية ، وقد انعكـــس هذا كله على التجار ، فجعلهم من أكثر الناس ثقافـــــةً ومعرفـــة بالحضـــارات الأخـــرى

---

(1) ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٣٨٥ .

(2) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢١٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٦٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢ ، ص٣٤٠ ، ج٥ ، ص١١٢ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٩ .

(3) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٦ ، ص١٢٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص٣٦ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٣٤٠ . ابن حجر ، الإصابـــة ، ج١ ، ص١٤ .

(4) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٢ ، ص٩٢ .

(5) Schacht and Bosworth , P. ١٤٦-١٩١

(6) المزي ، ج٢٨ ، ص٣٦٢ .

(7) ابن الجوزي ، صفة ، ج٤ ، ص٢٢٠ . المزي ، ج٣٤ ، ص٣٧ .

(8) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص٣٢٩-٣٣٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٧٠ .

(9) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ، ص٢٨٧ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٣٤٢-٣٤٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢١٦-٢١٧ .

(10) وكيع ، ج١ ، ص٣٥٠ . المزي ، ج٣ ، ص٤٣٣ .

والأخبار، والأفكار العالمية ، ومما لا شك فيه أن أغلب التجار كان متقناً لعدة لغات . وهذه المعارف وغيرها كانت تؤهل التاجر ليكون من المقربين للدولة ومن مستشاريها .

إلى جانب دور التجار الإعلامي والحضاري ، فقد كان لهم دور في مجال المواصلات، حيث شكلت القوافل التجارية وسائط نقل لعامة الناس ، واستفاد التجار من ذلك بأخذ مقابل مادي أو أجرة من المسافرين معهم ، فالمسلمون الأوائل مثلاً ، هاجروا من مكة إلى الحبشة على متن سفينة تجارية ، وذلك مقابل نصف دينار لكل شخص[1]. وعندما أراد سلمان الفارسي السفر من أصبهان إلى الشام ، انتظر قدوم تجار من الشام ، واتفق معهم على ذلك ، وعندما أراد السفر إلى المدينة اتفق مع قوم من تجار كلب على نقله مقابل بقر وغنم[2]. ويروى أنه انتقل مع تجار المدينة إلى الشام اثنان تنصّرا بعد أن دخلا الإسلام[3]. وبالتالي فقد شكل التجار وسيلة النقل الأولى في الدولة ، سواء النقل البري أو البحري ، ويرجع ذلك لخروج التجار على شكل قوافل جماعية مما يخفف من أخطار الطريق ، إلى جانب معرفتهم الجيدة بالطرق والمسالك .

وعمل التجار كرجال بريد ، فيذكر أن طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام نقلا أثناء عودتهما من مكة الى الشام رسالة أهل المدينة إلى الرسول (ص) والتي استبطئوا فيها هجرتهم إليه[4]. وحَمَّل أبو سفيان بن حرب بعد عودته من معركة أحد تجاراً من عبد قيس متوجهين نحو المدينة للحيرة رسالة شفوية إلى الرسول (ص) ، مقابل أن يُحمِّل لهم إبلهم في اليوم التالي بعكاظ[5]. وعندما أراد ملك قبيلة غسان بالشام أن يرسل كتاباً إلى أحدهم في المدينة ، فإنه أرسله مع تاجر نبطي[6]. هذا وقد أرسل الرسول (ص) رسائله إلى ملوك المناطق المجاورة مع تجار ، مثل دحية الكلبي الذي حمل رسالة الرسول (ص) إلى ملك الروم بالشام ، حيث كان يتاجر إليها[7]. وقبل غزوة تبوك ، دسَّ الروم بعض

---

(1) ابن سعد ، ج1 ، ص٢٠٤ . الطبري ، ج٢ ، ص٣٢٩ . النويري ، ج١٦ ، ص٢٣٢ . الديار البكري ، ج١ ، ص٢٨٩ .

(2) ابن اسحق ، ص٨٨-٩٠ . ابن هشام ، ق١ ، ص٢١٥ . ابن سعد ، ج٤ ، ص٧٦-٧٧ . الأصبهاني ، ج١ ، ص١٩٤ . الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص١٦٦-١٦٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٥٢٥ ، ص٥٢٩ ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢١ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٩٢ . النويري ، ج١٦ ، ص١٣٠ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٢٨٦ .

(3) ابن قدامة ، ص٢٠٠ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٣٤٠ .

(4) ابن سعد ، ج٣ ، ص٣١٥ . البخاري ، ج٥ ، ص٧٧ . ابن عساكر ، تاريخ ، ص٢٥ ، ص٦٦ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٧٧ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص١٣٢ ، المنتظم ، ج٣ ، ص٥٧ . ابن كثير ، ج٣ ، ص١٨٦ .

(5) الطبري ، ج٢ ، ص٥٣٦ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٥٠ .

(6) الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص١٠٥١ . البخاري ، ج٦ ، ص٦-٧ . النويري ، ج١٧ ، ص٣٦٥ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٢٥ .

(7) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٧ ، ص٢٠٦ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥٧ .

التجار الأنباط كي يذيعوا بين المسلمين الأخبار حول حجم جيوش الروم الكبيرة ، وحول مدى قوة هرقل وعدته[1].

وعليه فقد شكل التجار نواة البريد الأولى في كافة الأنحاء ، سواء من خلال حملهم ونقلهم الرسائل الشفوية أو الكتابية أو الطرود ، وذلك مقابل أجر معين في أغلب الأحيان . ولم يتم الاستغناء عن خدمات التجار البريدية حتى بعد تنظيم ديوان البريد ، خاصة في نقل الرسائل بين الجماعات المتحاربة ، وهذا يؤكد الحياد السياسي للتجار ومسالمتهم ، مما يتيح لهم إمكانية الوصول إلى ما لا يصل إليه رسل وبريد الدولة .

ويذكر أن التجار قد استغلوا بريد المسلمين لنقل البضائع من خلاله وذلك دون علم الدولة ، إذ يروى أن أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب بعثت إلى ملكة الروم بطيب ودسَّتْهُ إلى البريد ، فأوصله لها ، فأهدت لها ملكة الروم عقداً فاخراً ، لكن عثمان بن عفان استنكر استخدام البريد ، وجمع الناس وسألهم في ذلك ، ثم أمر برد العقد إلى بيت المال ، وردّ على أم كلثوم قدر نفقتها لقوله : "الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم"[2].

وقد استمر استخدام البريد لحمل البضائع ، لكن عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) نهى عن ذلك ، واشترط أن لا يُحمل على البريد إلا حاجة المسلمين ، وكتب مرة إلى أحد عماله ليشتري له عسلاً ، فحمله له على البريد ، فأمر ببيعه وجعل ثمنه في بيت المال[3].

٣ـ عمل التجار على توطيد **علاقتهم بأقوامهم** ومساعدتهم بالمتاع والمال ، ومن هؤلاء : أبو بكر الصديق[4]، وحكيم بن حزام[5]، وعثمان بن عفان[6]، وسعيد بن العاص[7]، وعبد الرحمن بن عوف[8]، وطلحة بن عبيد الله التيمي[9]، الذي وصل مرة أحدهم بثلاثمائة

---

(1) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٤ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١٠ . الديار البكري ، ج٢ ، ص١٢٢ .

(2) الطبري ، ج٤ ، ص٢٦٠ .

(3) الأصبهاني ، ج٥ ، ص٤٩٣-٤٩٤ .

(4) ابن اسحق ، ص١٤٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٠ ، ص٣٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٩ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٩ .

(5) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥، ص١٠٢-١٠٣ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٤١٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٧٢. المزي ، ج٧، ص١٧٥، ص١٧٦-١٧٧ .

(6) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٦١ . ابن أبي الحديد ، ج١ ، ص٩٩ ، ج٣ ، ص٣٤-٣٥ .

(7) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢١ ، ص١١٢ ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٤٤ .

(8) ابن سعد،ج٣،ص١٣٢-١٣٣،ج٨ ،ص٢١١.الترمذي ،ج٥،ص٣١٢.البكري،ج٤ ،ص١١٤٥.ابن الجوزي،المنتظم،ج٥، ص٣٤.

(9) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٥ ، ص١٠٢ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٥ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٣ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٤٧٧ .

ألف[1]، وزوج إماء بني تيم ، وسدّد ديونهم[2]. وفعل الحسن بن عمارة الشيء نفسه ، وسدّد مرة عن أحدهم سبعمائة ألف درهم[3]. وقام خالد القسري هو الآخر بتسديد ديون قومه[4].

وكانت هناك أشكالاً أخرى **لتقرب التجار من الناس** ، كإقامة الولائم ، كما فعل عبيد الله بن العباس[5]، وسعيد بن العاص[6]، وعبد الله بن جعفر[7]. وراعى أبو حنيفة النعمان ابن ثابت أصدقاءه عند البيع[8]، وقسم التاجر المولى الحسن بن الحرّ زكاة أمواله بين أهله[9]. وهناك من التجار الخلفاء أو الولاة من منح سوقاً بأكمله إلى أقاربه ، مثل : عثمان بن عفان الذي أقطع سوق المدينة للحارث بن الحكم فجعل يتحكم به[10]، وعبد الله بن عامر بن كريز الذي وهب سوق البصرة إلى أهله فلا خراج عليهم فيه[11]. وشكلت هذه التسهيلات الممنوحة لذوي وأقرباء التجار حماية لهم . ومحاولة منهم لكسب ودّ قبائلهم وضمان ولائهم .

شاع في **مجتمع التجار مصاهرتهم لبعضهم البعض** ، واعتبر زواج الرسول (ص) من خديجة بنت خويلد أشهر زواج في المجتمع التجاري في صدر الإسلام[12]. وقد أراحه هذا الزواج من عناء الخروج بالتجارة بنفسه[13]، وأدى ارتباطه بهذه التاجره لعزوفه عن الزواج بامرأة أخرى في حياتها ، مع أن ذلك أمر غير مألوف للأغنياء العرب[14].

---

(1) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٩٩ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

(2) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٢ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٥ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٣ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٤٧٧ .

(3) الخطيب البغدادي ، ج٧ ، ص٣٤٦ . المزي ، ج٦ ، ص٢٧٤ .

(4) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص٤٠ ، تهذيب ، ص٤٠٤ .

(5) البلاذري ، أنساب ، ج٣ ، ص٥٦ (كان له جزرة تعرف باسمه ، وكان ينحر ويطعم الناس) .

(6) الأصفهاني ، ج١٧ ، ص١٥٥ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٤٤ .

(7) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ، ص٢٧٩ . ابن كثير ، ج٩ ، ص٣٣ .

(8) الخطيب البغدادي ، ج١٣ ، ص٣٦٢ .

(9) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٣ ، ص٥٧ .

(10) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٣٧.ابن عبد ربه،ج٤ ،ص٢٨٣ .أبو هلال ،ص١٣١.الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ . حول المزيد من أعطيات عثمان بن عفان ، أنظر : عدنان ملحم ، ص٩٧ ، ص١٠٥ .

(11) ابن حبيب ، المنمق ، ص١٥٠ .

(12) ابن اسحق ، ص٨١ . ابن هشام ، ق١ ، ص١٨٧-١٨٨ . ابن سعد ، ج١ ، ص١٣١ ، ج٨ ، ص٦ . البلاذري ،أنساب،ج١، ص٩٧-٩٨ . المسعودي ، تنبيه ، ص١٩٧ ، مروج ، ج١ ، ص٥٦٨ . الطبري ، ج٢ ، ص٢٨١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣ ، ص١٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص٢٧٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٢ ، ص٧١-٧٣ . ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص١٦ ، ج٥ ، ص٤٣٥ . النويري ، ج١٦ ، ص٩٧ . الصفدي ، ج١ ، ص٥٨ .

(13) نبيلة حسن محمد ، ص٦٧ .

(14) ول ديورانت ، ج١٣ ، ص٢٢ .

وتشير المصادر إلى الكثير من علاقات المصاهرة بين التجار ، منـــها : زواج أبــو سفيان بن حرب من التاجرة المشهورة آنذاك هند بنت عتبة[1]، وزواج أسماء بنت أبي بكـــر من الزبير بن العوام[2]. وزواج أختها أم كلثوم من طلحة بن عبيد الله[3]. وكذلك زواج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم بمصعـــب بـــن الزبـــير[4]. وزواج آمنة بنت أبي سفيان بحويطب بن عبد العزى ، ثم زواجها بصفوان بـــن أميـــة مـــن بعده[5]. وهناك ثلاث بنات أخريات لأبي سفيان تزوجهن المغيرة بن شعبة ، والـــذي تـــزوج أيضاً ابنة سعد بن أبي وقاص[6]. وتزوجت أم عمرو بنت عثمان بن عفان سعيد بن العـــاص ابن أبي أُحَيحَة[7]. كما تزوجت ابنة لأبي هريرة (ت٥٨هـ) سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ)[8].

وبرزت علاقات المصاهرة بين رجال الدولة وبين مجتمع التجار ، فقد كـــان معظـــم أصهار الرسول (ص) تجاراً ، فقد تزوج حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب[9]، وكانت ابنتـــه زينب متزوجة من أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى ، أكبر تجار قريش[10]، وقد تـــزوج عثمان بن عفان ابنتي الرسول (ص) رقية وأم كلثـــوم[11]، وزوج الرسول (ص) عمـــر بـــن الخطاب حفيدته أم كلثوم بنـــت فاطمـــة[12].

وقد صاهر أبو بكر الصديق قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (ت٦٠هـ) وزوجـــه أخته قريبة بنت أبي قحافة[13]، كمـــا زوج أختـــه الأخـــرى للأشـــعث بـــن قيـــس الكنـــدي (ت٤٠هـ)[14]. وطلب الرسول (ص) من عبد الرحمن بن عوف أن يتزوج تمـــاضر بنـــت

---

(1) الطبري ، ج١ ، ص٢٢١ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٣٣ .

(2) ابن حبيب ، المحبر ، ص٥٤ ، ص١٠٠ . النويري ، ج١٩ ، ص١٤٢-١٤٣ .

(3) ابن حبيب ، المحبر ، ص٥٤ ، ص١٠٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٩٩ . النويري ، ج١٩ ، ص١٤٣ .

(4) الصفدي ، ج١٦ ، ص٦٠٠ .

(5) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ق٤ ، ص٦ .

(6) المصدر السابق ، ج١١ ، ص٣٤٥ .

(7) أبو هلال ، ص١٣٠ .

(8) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٣٧ .

(9) ابن هشام ، ق٢ ، ص٦٢٥ . ابن سعد ، ج٨ ، ص٩٩ . البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٤٥ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٢٨٤ .

(10) مالك ، المدونة ، ج٢ ، ص٣٠٠ . ابن هشام ، ق١ ، ص٦٥٢ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٨٧ ،ج٨ ، ص٣٣ . أبو داود ، ج٣ ، ص١٤٠-١٤١ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٩٧ . الطبري ، ج٢ ، ص٤٦٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٩٤ . النويري ، ج٣ ، ص٢٣٩ ، ج١٧ ، ص٥٨ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٣١ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٣١٠-٣٣٢ .

(11) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٤٨٥ .

(12) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٢ ، ص٤١١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٣٧ .

(13) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣١٨ . المزي ، ج٢٤ ، ص٤٣ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١٠٠ .

(14) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٣ ، ص٧٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٥١ .

الأصبغ بن عمرو رئيس دومة الجندل ، فكان أول قرشي يتزوج كلبية[١]. وزوج عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم للحجاج بن يوسف الثقفي (ت٨١هـ)[٢].

حرص التجار على إقامة علاقات جيدة مع العامة ، خاصة الفقراء منهم ، فقد كان العباس بن عبد المطلب يبذل ماله في النوائب[٣]. وكانت تبرعات وصدقات حكيم بن حزام تصل إلى أكثر من مائة ألف درهم[٤]. ومن التجار من كان يشتري الأكسية ويوزعها على الأرامل ، مثل : أبو بكر الصديق[٥]، وعبد الرحمن بن عوف[٦]. وكانت تبرّعات عبد الله بن عمر تصل في المجلس الواحد إلى ثلاثين ألفاً[٧]. وتشير المصادر إلى كثير من الأمثلة حول تبرعات طلحة بن عبيد الله التّيمي وقسمته أمواله بين المهاجرين والأنصار ، حيث يذكر أنه قسم مرة سبعمائة ألف درهم أتته من حضرموت[٨]، وقسم كذلك في مرة أخرى أربعمائة ألف درهم[٩]، كما تصدق بخمسمائة ألف أتته من العراق[١٠]، وسبعمائة ألف أخرى ثمن أرض له باعها لعثمان بن عفان[١١]، وبخمسة عشر ألفاً ثمن ضيعة أخرى له[١٢]. وفي إحدى المرات حبستهقسمته لمائة ألف أعدّها للتصدق بها عن الذهاب إلى المسجد[١٣].

---

(١) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٧٨ . وكيع ، ج١ ، ص١١٧ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤-٥ . النويري ، ج١٧ ، ص٢٠٩ ، ج١٩ ، ص٤٥٠ . المتقي الهندي ، ج١٠ ، ص٥٩٣ .

(٢) ابن عبد ربه ، ج٢ ، ص٧١-٧٢ .

(٣) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٢٣٢ .

(٤) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١٢٠. ابن الأثير،أسد،ج٢،ص٤١ . ابن كثير ،ج٨،ص٦٩.ابن حجر،الإصابة، ج١، ص٣٤٩ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٩٠ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٦١٤-٦١٥ .

(٦) من أمثلة تبرعاته وتصدقه على قومه أنه :

_ تصدق مرة بسبعمائة راحلة حاءته من الشام . أنظر : ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٢ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ . اليافعي ، ج١ ، ص٨٦ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١٦٤ .

_ وتصدق أيضاً بمائة راحلة محملة بالبضائع حاءته من مصر . أنظر : السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٥٤ . الأصبهاني ، ج١ ،ص٩٨ .

_ وتصدق بأربعين ألف دينار .أنظر :ابن سعد،ج٣،ص١٣٢-١٣٣.الأصبهاني،ج١،ص٩٨-٩٩.ابن الجوزي،صفة،ج١، ٣٥٣،المنتظم،ج٥،ص٣٤. المزي،ج١٧، ص٤٢٧.الذهبي،سير،ج١،ص٨١. اليافعي،ج١،ص٨٦.ابن حجر،تهذيب،ج٦،ص٢٤٥. الديار البكري،ج٢،ص٥٦.ابن العماد الحنبلي ،ج١، ص١٩٤.

(٧) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٣٩ . ابن الجوزي ، صفة ،ج١ ، ص٥٧٠-٥٧١ . ابن كثير،ج٨ ، ص١٣٧ ،ج٩ ،ص٥ .

(٨) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٩٩ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٠ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٠-٣١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

(٩) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٠ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٠ ، المنتظم ، ج٥ ، ص١١٣ . الزبيدي ، ج٥ ، ص٧١ .

(١٠) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٢ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٥ .

(١١) ابن سعد ، ج٣ ،ص٢٢٠-٢٢١ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠١ ،تهذيب ،ج٧ ،ص٨٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٠ .

(١٢) المبرد ، ج١ ، ص١٤٩ .

(١٣) ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٠ .

استمر تقرب التجار في العصر الأموي من العامة بشكل ملحوظ ، رغم أن معظم التجار كانوا من الموالي ، وقد كان عبد الله بن جعفر يطلب من معاوية بن أبي سفيان المال والصلات لتوزيعها بين العامة تألفاً لهم[1]، وكان التاجر حبيب بن محمد أبو محمد العجمي يكسو الأرامل والفقراء ويتصدق عليهم[2]، والشيء نفسه كان يقوم به التاجر حسان بن سنان الذي كان يقول : "لولا المساكين لما اتجرت"[3]. وقد تصدق التاجران الحسن بن الحر النخعي وشريكه عبده بن لبابه بأربعين ألف على أهل مكة[4]. وكان التاجر مورق بن المشمرخ العجلي في العراق يلقى الأخ فيعطيه خمسمائة أو أربعمائة أو ثلاثمائة[5]. ومن التجار من كانت تصل تبرعاتهم إلى مئات الآلاف كالتاجر محمد بن سوقه الغنوي الذي تبرع لأهل مكة بأكثر من مائة وعشرين ألف درهم[6]، والتاجر عبد الله بن المبارك الذي كان يتصدق سنوياً على الفقراء بمائة ألف درهم وأكثر[7].

ويذكر أن التجار قاموا كذلك بتسديد الديون عن العامة ، فقد قضى طلحة بن عبيد الله عن أحدهم ثلاثين ألف درهم[8]، كما سدّد التاجر الحسن بن عمارة عن أحد أصدقائه سبعمائة درهم[9]، ويروى أن التاجر عبد الله بن المبارك كان يقضي عن الناس ديونهم[10]. وتشير الروايات إلى أن العامة كانت تستقرض الأموال بضمان تجار معروفين ، فقد قام عبد الله ابن العباس بتسديد ديون صراف بلغت تسعمائة دينار وذلك بعد أن سأل هذا الصراف غرماءه عن كفيل يرضوه ويقبلوه ليكفله ، فأشاروا عليه بعبد الله[11]. وكان العامة في البصرة

---

(1) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٨٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ، ص٢٦٤-٢٦٥ .
(2) الأصبهاني ، ج٦ ، ص١٥٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢ ، ص٥١٧ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٣٥ .
(3) الأصبهاني ، ج٣ ، ص١١٦ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٤٠ .
(4) المزي ، ج١٨ ، ص٥٤٤-٥٤٥ . الذهبي ، سير ، ج٥ ، ص٢٢٩ .
(5) ابن سعد ، ج٧ ، ص٢١٥-٢١٦ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٣٦ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٢١٥ .
(6) ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص١١٦ . المزي ، ج٢٤ ، ص٣٣٥ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٩ ، ص٢١٠.
(7) ابن حجر ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٨٥ . ابن العماد الحنبلي ، ج٢ ، ص٣٦١ .
(8) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢١ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٥ .
(9) الخطيب البغدادي ، ج٧ ، ص٣٤٦ . المزي ، ج٦ ، ص٢٧٤ .
(10) الخطيب البغدادي ، ج١٠ ، ص١٥٩ .
(11) ابن حبيب ، المنمق ، ص١٤٦ .

يستقرضون بضمان التاجر حبيب بن محمد أبو محمد العجمي[1]، ومنهم من كان يوكله بشراء العقارات له ، حيث دفع إليه أحدهم مرة عشرة آلاف درهم ليشتري له بها داراً بالبصرة[2].

ووصلت ثقة العامة بالتجار إلى درجة أنهم كانوا يودعون أموالهم عندهم لحفظها لهم ، لكن الملاحظ أن الزبير بن العوام مثلاً ، كان يقوم بتحويل هذه الودائع والأموال لقروض ، حيث يقول لهم : "لكنه سلف ، فإني أخشى عليه الضَّيعة"[3]، وذلك ليتيح لنفسه التجارة بهذه الأموال لحسابه عندما تكون قروضاً . وقد وجد عند أبي حنيفة بعد وفاته ودائع للعامة بقيمة خمسين ألفاً[4].

استغل التجار أموال الناس لإنماء تجارتهم مما عاد عليهم بنفع مادي كبير ، لا سيما أن العلماء أقروا أن لا زكاة على الدين لحين سداده[5]. وهذا أمر يفسر تحويل التجار الودائع إلى ديون على أنفسهم واستغلالها بالتجارة من جهة ، والتهرب من دفع الزكاة من جهة أخرى.

من ناحية ثانية ، فقد لوحظ أن بعض التجار قاموا بدور الوسطاء بين العامة والدولة ، فقد طلب الناس مرة من عبد الرحمن بن عوف أن يكلم لهم عمر بن الخطاب بأن يلين لهم فإنه أخافهم ، ففعل[6]. وعندما كثرت عطايا الخليفة عثمان بن عفان لأقاربه ، فإنه توجه عدد من الناس والصحابة إلى عبد الرحمن بن عوف وشكوا إليه أمر عثمان[7].

واعتماداً على ما سبق يمكن القول أن التجار عملوا على مساعدة أهل الحاجة في المجتمع اقتصادياً ، مما ترك لهم سمعة طيبة وأثراً حسناً لدى الفقراء ، أي أن التجار تضامنوا اجتماعياً واقتصادياً مع طبقات المجتمع الدنيا الأقل منهم منزلةً من الناحية الاجتماعية .

كانت **علاقة التجار مع الفقهاء** مشابهة لعلاقاتهم مع العامة ، فيذكر أن أحد القراء الفقراء التجأ مرة إلى سعيد بن العاص ، فوصله بمال جزيل[8]. ويروى أن عبد الله بن جعفر اشترى جارية لفقيه في الحجاز وأهداها له بعد أن رآها هذا الفقيه ولم يملك ثمنها[9].

---

[1] الأصبهاني ، ج٦ ، ص١٥٠ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٤ ، ص٣٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣١٦ .

[2] الأصبهاني ، ج٦ ، ص١٥٠ -١٥٢ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢، ص٥٤ .

[3] ابن سعد ، ج٣ ، ص١٠٩ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٣٢٤ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٤٢٨ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٧٠ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٨ . النويري ، ج٢٠ ، ص٩٧-٩٨ . المزي ، ج٩ ، ص٣٢٢ . الديار البكري ، ج١ ، ص١٧٢ .

[4] الخطيب البغدادي ، ج١٣ ، ص٣٥٩ . الصفدي ، ج١٣ ، ص١٤٧ .

[5] أبو عبيد ، ص٥٣٥ . مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٢٥٤ ، ص٢٥٩ ، ص٢٦٨ ، ص٢٩٠ .

[6] الطبري ، ج٤ ، ص٢٠٧ . المتقي الهندي ، ج١٢ ، ص٦٤٩ .

[7] ابن أعثم ، ج٢ ، ص١٥١ .

[8] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٩٧ . ابن كثير ، ج٨ ، ص٨٥ .

[9] ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٢٩٧ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ، ص٢٨٦ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٤٤١ .

واشترى أبو حنيفة النعمان الأمتعة ليصرف من ثمنها على الفقهاء والشيوخ[1]. وكان التجار يتدخلون لحل النزاعات التي ربما تحصل بين العلماء ، فيذكر عن التاجر الكوفي الحسن بن الحر أنه دعى مجموعة من القراء إلى بيته ، وحل خلافا وقع بينهم[2].

وظهر في دولة الخلافة تجار فقهاء رووا كثيرا من الأحاديث ، وخاصة تلك المتعلقة بالبيع والشراء ، ومن أشهرهم : عبيد الله بن العباس[3]، وعبد الله بن عمر[4]، وحكيم بن حزام، الذين رووا أحاديث الزكاة والمكوس والبيع والصرف[5]. واشتهر كل من الصحابي البراء بن عازب(ت٧١هـ)[6]، والصحابي زيد بن الأرقم[7]، ومحمد بن سيرين برواية أحاديث الصرف والإفتاء بها[8]. وكان الصحابي صخر الغامدي يبكر في تجارته وينفرد برواية حديث عن الرسول (ص) حول ذلك[9]. ويرجع إلى قيس بن أبي غرزة الكناني[10] وسمرة بن جندب الفزاري ورباح بن عبيده رواية الأحاديث المتعلقة بزكاة التجارة[11]. وكان معمر ابن عبد الله بن نافع[12]، وسعيد بن المسيب (ت٩٤هـ) ـ أفقه أهل الحجاز ـ يحتكران ويرويان الأحاديث حول المواد المسموح باحتكارها[13].

---

(1) الخطيب البغدادي ، ج١٣ ، ص٣٦١ .

(2) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٣ ، ص٥٦ ، تهذيب ، ج٤ ، ص١٦٣ .

(3) ابن حجر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٢٠ .

(4) أنظر هذه الأحاديث في : أبو عبيد ، ص٥٢١ ، ص٦٣٣ ، ص٦٨١ . الدارمي ، ج٢ ، ص٢٥٩ . البخاري ، ج٣ ، ص٨٧ . أبو داود ، ج٢ ، ص٢٩٧ ، ج٣ ، ص٦٥١ ، ص٧٦٥ . ابن قتيبة ، عيون ، ج٣ ، ص٢٥٢ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٥٦ . السرخسي ، ج١٤ ، ص٣ . المزي ، ج١٩ ، ص١٩٩-٢٠٠ . ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص١٥٠ .

(5) أبو داود ، ج٣ ، ص٧٦٩ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٥١ . وكيع ، ج١ ، ص٣١٨ . المتقي الهندي ، ج٢ ، ص٣٥١ ، ج٤ ، ص١٤٣ ، ص١٥٧ .

(6) البخاري ، ج٣ ، ص٧٣ ، ج٥ ، ص٨٩ . المزي ، ج١٤ ، ص٧٨ .

(7) البخاري ، ج٣ ، ص٧٣ ، ج٥ ، ص٨٩ . المزي ، ج١٤ ، ص٧٨ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٩١ .

(8) الأصبهاني ، ج٩ ، ص٥٣ .

(9) الدارمي ، ج٢ ، ص٢١٤ . أبو داود ، ج٣ ، ص٨٠ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٤٣ . الخطيب البغدادي ، ج٥ ، ص٢٤٠ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص١٨١ .

(10) أبو داود ، ج٣ ، ص٦٢١ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٤١ . الأصبهاني ، ج٧ ، ص١٢٦ . الخطيب البغدادي ، ج٥ ، ص٧٥ ، ص٢٠٤ ، ج٧ ، ص٢٨٧ . السرخسي ، ج١٥ ، ص١١٥ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٢٢٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٢٥٧ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٤٧ .

(11) أبو عبيدة ، ص٦٨١ .

(12) ابن سعد ، ج٤ ، ص١٣٩ . أبو داود ، ج٣ ، ص٧٢٨-٧٢٩ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٦٩ .

(13) ابن سعد ، ج٤ ، ص١٣٩ . الدارمي ، ج٢ ، ص٢٤٩ . الجاحظ ، رسائل أدبية ، ص٢٤٢ . أبو داود ، ج٣ ، ص٧٢٨ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٣٧ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٦٩ . ابن كثير ، ج٩ ، ص١٠٠ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٤ ، ص٨٦ .

واشتغل بالتجارة أشخاص عدوا من رواة الأحاديث وثقاتهم ، مثل : أبو هريرة (ت٥٨هـ)(١)، وحذيفة بن اليمان (ت٣٦هـ)(٢)، وعمرو بن حريث بن عمر (ت٨٥هـ)(٣)، والقاسم بن مخيمرة الهمذاني (ت١٠٠هـ)(٤)، وميمون بن شبيب الربعي(٥)، وحسان بن سنان البصري(٦)، والحسن بن عمارة(٧)، وحمزة بن حبيب بن عمارة(٨)، وذكوان بن عبد الله الزيات(٩)، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت(١٠)، وإبراهيم بن أدهم بن منصور البلخي(١١)، وحماد ابن سلمة بن دينار(١٢)، وعاصم بن سليمان الأحول(١٣)، وسفيان بن سعيد الثوري(١٤)، وعبد الله بن المبارك(١٥). ويونس بن عبيد بن دينار (ت١٣٤هـ)(١٦).

وقد كان هؤلاء التجار العلماء أقرب إلى الواقع بأفكارهم وفتاويهم من العلماء غير التجار ، وهذا يتضح من قول إياس بن معاوية : "التاجر الفقيه أفقه من الفقيه الذي ليس بتاجر"(١٧). لكن كان هناك خلاف ما بين التجار العلماء وبين العلماء غير التجار حول العمل بالتجارة والنظرة إلى المال . فقد كان التجار العلماء يروون الأحاديث التي تشجع الكسب ، ومن هذه الأحاديث : "الأسواق موائد الله في الأرض فمن أتاها أصاب منها"(١٨)، وحديث : "ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده"(١٩)، وحديث : "من قتل دون ماله فهو

---

(١) ابن العماد الحنبلي ، ج١ ، ص٢٦١ . روي عنه أكثر من خمسة آلاف حديث .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢ ، ص٢٨٦ ، تهذيب ، ج٤ ، ص١٠٥ .

(٣) ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٩٧-٩٨ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٥٢ . الذهبي ، تذكرة ، ج١ ، ص١١٢ ، سير ، ج٥ ، ص٢٠٢ .

(٥) ابن حجر ، تهذيب ، ج١ ، ص٣٨٩ .

(٦) ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٤٠ .

(٧) الخطيب البغدادي ، ج٧ ، ص٣٤٦ . المزي ، ج٦ ، ص١٧٤ .

(٨) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٥٢٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٨٨ . الصفدي ، ج١٣ ، ص١٧٣ .

(٩) المزي ، ج٨ ، ص٥٣١ . الذهبي ، تذكرة ، ج١ ، ص٨٩ ، سير ، ج٥ ، ص٣٧ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٢١٩ . الزبيدي ، ج١ ، ص٥٤٧ .

(١٠) الخطيب البغدادي ، ج١٣ ، ص٣٦١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٢٩ .

(١١) الأصفهاني ، ج٨ ، ص٣٤٤ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٦ ، ص٣٠١ . الزركلي ، ج١ ، ص٣١ .

(١٢) الزركلي ، ج٢ ، ص٢٧٢ .

(١٣) ابن سعد ، ج٧ ، ص٢٥٦ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٥ ، ص٤٣ .

(١٤) المزي ، ج١١ ، ص١٦٩ . الذهبي ، سير ، ج٧ ، ص٢٣٠ ، ص٢٣٦ .

(١٥) المزي ، ج١٦ ، ص١٨ . ابن العماد الحنبلي ، ج٢ ، ص٣٦١ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٨٥ .

(١٦) الجاحظ ، رسائل أدبية ، ص٢٤٢ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٠٨ . الذهبي ، سير ، ج٦ ، ص٢٨٨ . ابن حجر ، تهذيب ، ج١١ ، ص٤٤٢ .

(١٧) وكيع ، ج١ ، ص٣٥٠ . المزي ، ج٣ ، ص٤٣٣ .

(١٨) ابن قتيبة ، عيون ، ج١ ، ص٢٥٠ .

(١٩) البخاري ، ج٣ ، ص٧٥ . ابن قتيبة ، عيون ، ج١ ، ص٢٥٠ .

شهيد"، الذي رواه كبار التجار كعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عامر بن كريز[١]، وطلحة ابن عبيد الله[٢]، وسعيد بن زيد بن عمرو[٣]. وقال سفيان الثوري (ت١٦١هـ) ، الذي لقب أمير المؤمنين في الحديث : "إن المال ترس المؤمن"[٤]، واعتقد أن الكسب أفضل من صلاة الجماعة مع الفقر[٥].

واختلف الأمر لدى العلماء غير التجار ، إذ قال أحدهم : "السوق مكثرة للمال مذهبة للدين"[٦]. وذهب كثير منهم إلى احتقار أمر التجارة والدعوة للزهد من خلال رواية الأحاديث الكثيرة التي نسبت إلى الرسول (ص) ، ومنها : "إن الشياطين تغدو براياتها إلى الأسواق فيدخلون مع أول داخل ويخرجون مع آخر خارج"[٧]، وحديث : "من غدا إلى صلاة الصبح أعطي ربع الإيمان ، ومن غدا إلى السوق أعطي راية إبليس"[٨]، وحديث: "بعثت مرغمة ومرحمة ولم أبعث تاجرا ولا زراعا وإن شر هذه الأمة التجار والزراعون إلا من شح دينه"[٩]، وحديث : "لا يدخل الجنة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا يمنة ويسرة"[١٠].

وتدخل بعض هؤلاء العلماء بأمور التجار ، فيروى عن مشادة حدثت ما بين معاوية ابن أبي سفيان ، والي الشام لعمر بن الخطاب ، وما بين عبادة بن الصامت الذي عاب على معاوية بيع إناء فضة بأكثر من الوزن ، فروى أحاديثا عن الصرف تدعم موقفه ، فأرسل إليه معاوية وشكك بأحاديثه ، وقال له:"ما بال أقوام يحدثون عن الرسول عليه السلام أحاديث ، قد صحبناه ورأيناه فما سمعنا منه"[١١]،وهناك حادثة مماثلة حدثت ما بين معاوية وأبي الدراء[١٢].

وقد وجدت محاولات من قبل بعض العلماء لاستقطاب التجار لدعوتهم ، فقد كان أبو

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ ، ص٢٩ ، ص٢٤٨ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٦١ .

(٢) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٧٢ .

(٣) مالك ، المدونة ، ج٢ ، ص٤ .

(٤) الأصبهاني ، ج٦ ، ص٣٨١ . المزي ، ج١١ ، ص١٦٨ .

(٥) الأصبهاني ، ج٧ ، ص١٦-١٧ . (قال شعيب بن حرب لسفيان : ما تقول في رجل قصار إذا كسب درهما كان فيه ما يقوته ويقوت عياله و لم يدرك الصلاة في جماعة . وإذا كسب أربعة دوانيق أدرك الصلاة في جماعة و لم يكن فيه ما يقوته ويقوت عياله . أيها أفضل . قال : يكسب الدرهم ويصلي وحده) .

(٦) الأصبهاني ، ج٢ ، ص٣٨٥ .

(٧) المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٢٠ .

(٨) المزي ، ج١٩ ، ص٢٧٨ .

(٩) ابن قتيبة ، عيون ، ج١ ، ص٢٤٩ . الماوردي ، ص٤٤ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٤ ، ص٣٠٢ .

(١٠) الأصبهاني ، ج١ ، ص١٥٣ .

(١١) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص١٩٨-١٩٩ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٧-٢٩٨ . ابن قدامة ، ص١٩٠ .

(١٢) مالك ، الموطأ ، ص٢٩٠ .

ذر الغفاري يروي للتجار في أسواق الشام أحاديثا تخوفهم من كنز المال ومن الحساب في الآخرة وتنتقد سياسة معاوية بن أبي سفيان المالية ، فأرسل معاوية للخليفة عثمان بن عفان ليستقدمه[1]. وعاب مرة أحد العلماء عمل سفيان بن عيينه في السوق بقوله : "ما كنت أحب أن ألقاك في هذا الموضع" ، فرد عليه ابن عيينة :

خذ بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري[2]

وتأثر بعض التجار بأحاديث العلماء التي تنهى عن العمل بالتجارة ، فتركوها وتزهدوا، ومن هؤلاء : أبو الدرداء الذي قال: "زاولت التجارة والعبادة فلم تجتمعا فاخترت العبادة وتركت التجارة"[3]، وشقيق بن إبراهيم البلخي الذي تزهد وتصدق بجميع ماله[4]، وأبو معن البصري[5]، وحبيب بن محمد أبو محمد العجمي[6].

لقد أنيط إلى سادة حلف الفضول حل ومقاضاة الخلافات التجارية قبل الإسلام[7]، ومع بداية الدعوة الإسلامية أصبح الرسول (ص) المرجع الأول لحل النزاعات التجارية المختلفة خاصة بعد هجرته إلى المدينة ، وتورد المصادر أمثلة كثيرة حول قضايا مختلفة أحيلت إلى الرسول (ص) للحكم فيها من قبل المسلمين واليهود[8] والنصارى أيضا[9]، باعتبار أنها وقعت ضمن محيط الدولة الإسلامية ومع المسلمين .

بعد توسع الدولة الإسلامية أحيلت معظم القضايا إلى القضاة المنتشرين في كافة الأقطار الإسلامية،ودار أغلبها حول الغش ، والإفلاس ، والمضاربه ، والمماطلة بالدفع[10]. وفي حالة رفض أي طرف حكم القاضي كان يتم رفع القضية والشكوى إلى الوالي[11]، أما

---

(1) الطبري ، ج٤ ، ص٢٨٤ . أبو هلال ، ص١٣٢ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٩ .
_ عدنان ملحم ، ص١٢٧-١٢٨ .

(2) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٨ ، ص١١٦ ، تهذيب ، ج٢ ، ص٤١١-٤١٢ .

(3) يحيى بن معين ، ج١ ، ص٣٣٠ ، ج٢ ، ص١٥١ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٢٠٩ ، ج٨ ، ص٢١٠ . ابن الجوزي ،المنتظم ، ج٥ ، ص١٧ . الذهبي ، تذكرة ، ج١ ، ص٢٥ ، سير ، ج٢ ، ص٣٣٨ . ابن حجر ، ج٣ ، ص٤٥ .

(4) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص٣٢٩-٣٣٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٧٠ .

(5) المزي ، ج٣٤ ، ص٣١٢ .

(6) ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ .

(7) ابن حبيب ، المنمق ، ص٢١٨ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٤ . المسعودي ، مروج ، م١ ، ص١٦٥ . أبو هلال ، ص٣٧ ، ص٤٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢ ، ص٣٠٨-٣٠٩ . النويري ، ج٦ ، ص٢٦٦ . ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٩١-٢٩٢ .

(8) أنظر أمثلة على هذه القضايا بالتفصيل في : ابن حجر ، الإصابة ، ج٢٠ ، ص٢٩٥ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٨٤٢ .

(9) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١١ ، ص٦٩-٧١ ، تهذيب ، ج٣ ، ص٣٥٧-٣٥٨ . ابن الأثير ، ج٣ ، ص٣٩٠-٣٩١ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص١٠٤ . الديار البكري ، ج٢ ، ص١٤٦ .

(10) أنظر أمثلة متنوعة حول ذلك في : وكيع ، ج١ ، ص١٨٦ ، ص٣٣١ ، ص٣٤٣ ، ج٢ ، ص٨٢ ، ص٢٠٠-٣٢١ ، ص٣٤٣ ، ص٣٥٠ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص٣٠٨ . ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٥ ، ص١٣٦ .

(11) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٢١٦ .

إذا حدث خلاف بين القاضي والوالي بشأن أمور البيــع ، فكان الأمر يُحال إلى الخليفة ، وهذا ما فعله عبادة بن الصامت ، قاضي فلسطين ، عندما توجه إلى الخليفة عمر بن الخطاب يشكو له بيع معاوية بن أبي سفيان ، والي الشام ، آنية فضة بأكثر من وزنها ، فما كان من عمر إلاّ أن أعاد عبادة إلى عمله ، وكتب إلى معاوية : "لا إمرة لك على عبادة"[١]. وتورد المصـــادر حادثة مشابهة حول خلاف حصل بين معاويـــة وأبي الدرداء ، قاضي دمشق ، حول البيع[٢].

ورفعت بعض قضايا البيع والشراء إلى الخليفة مباشرة ، فكان ينظر فيـــها بنفســه ، كقضية بيع عبد أُحيلت إلى عمر بن عبد العزيز[٣]، وقضية بيع سبي رفعها ذميون لهشام بـــن عبد الملك[٤]. وأحياناً كان الخليفة يدفعها إلى تاجر ليقضي بها حسب علمه[٥]، كما فعل عمـــر ابن الخطاب عندما طلب من طلحة بن عبيد الله النظر في قضية تاجرين ماطلا دفع ثمن سبي للدولة[٦]. وهناك قضايا كان يرفعها العامة إلى العلماء للقيام بإعطاء رأيهم فيها ولمســـاعدتهم على حلّها[٧]. وكانت الدولة تقوم بالتدخل في بعض القضايا التي تحال إليها ، مثـــل قضايـــا الإفلاس ، أو مماطلة المديونين في سداد الدين[٨]، أو في حالة حصول القتل بين الأطراف[٩].

وقد شكل التجار ملجأ لكثير من الناس لحل ما يعترضهم من مشاكل دون الرجوع إلى القضاة أو الدولة ، فيذكر أنه لما كسد على تاجر سكر بالمدينة تجارته ، دلّه الناس على التاجر عبد الله بن جعفر ، فقام هذا بشراء السكر ووهبه إلى النـــاس[١٠]. وحـــدث أن التجـــأ أحـــد الصيارفـــة إلى عبيد الله بن عباس ليكفله عند غرمائه ويضمنه ، فقام بتسديد ديونه عنـــه[١١]. واختصم رجلان في بيع جارية إلى عمرو بن حريث ، فقام بحل هذا الخصام بينهما[١٢]، وشكا رجل إلى التاجر الحسن بن عمارة مماطلة صديق للحسن بدفع مبلغ سبعمائه درهم ، فســـددها الحسن عنه[١٣].

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص١٩٨-١٩٩ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٧-٢٩٨ . ابن قدامة ، ص١٩٠ .

(٢) مالك ، الموطأ ، ص٢٩٠ .

(٣) المصدر السابق ، المدونة ، ج٤ ، ص٣٤٩ .

(٤) أبو عبيد ، ص١٦٩ .

(٥) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٥ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٤٠ .

(٦) أبو داود ، ج٣ ، ص٧٧٩ .

(٧) حول هذه الإجراءات أنظر:مالك،المدونة،ج ٥،ص٣٣٢.ابن قدامة ،ص١٣٨.ابن كثير ،ج٥،ص١٠٢.المتقي الهندي،ج٥،ص١٩١.

(٨) ياقوت ، البلدان ، ج١٥ ، ص١٣٦ .

(٩) البلاذري ، فتوح ، ص٤٤٠ .

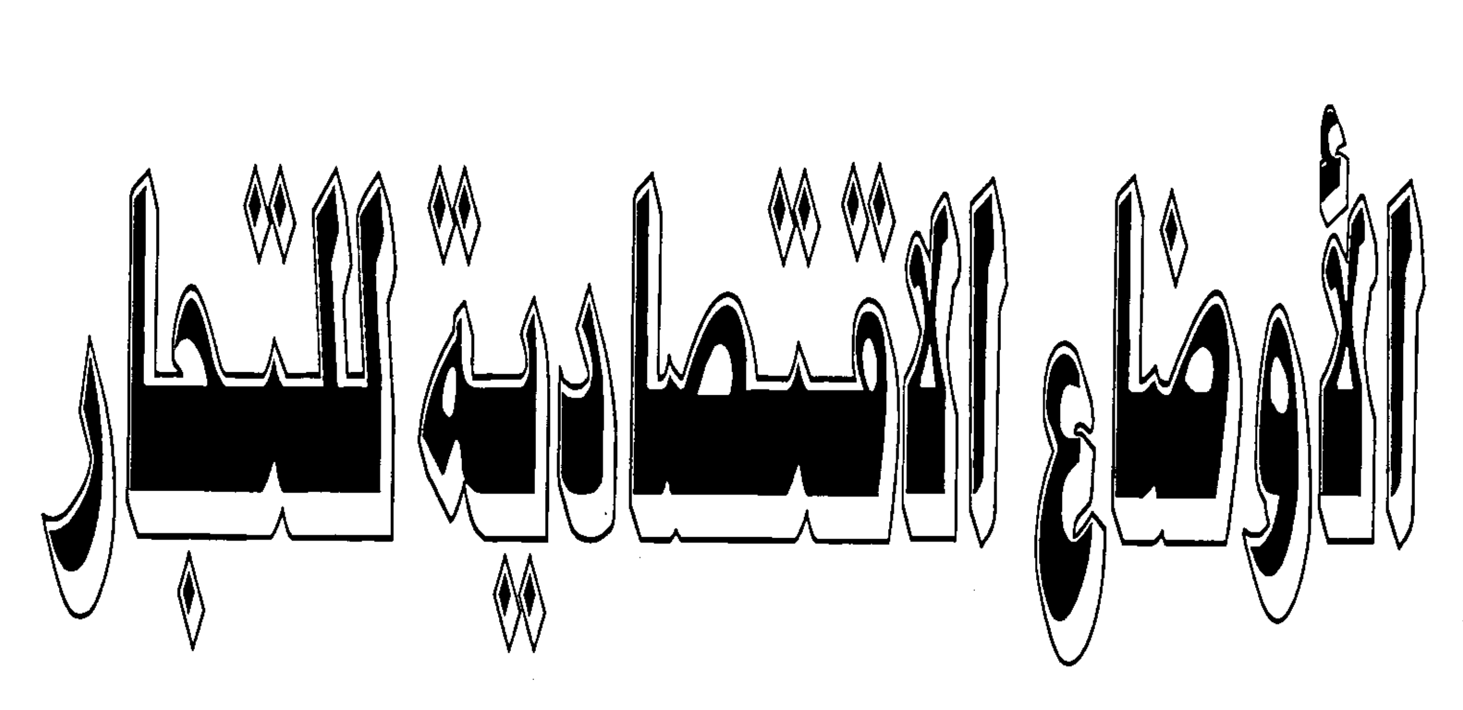
(١٠) الأصفهاني ، ج١٢ ، ص٢٢٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ،ص٢٨٣-٢٨٤ ،تهذيب ،ج٧ ،ص٣٤١ .ابن كثير،ج٩،ص٣٣ .

(١١) ابن حبيب ، المحبر ، ص١٤٦ .

(١٢) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٢١٨ .

(١٣) الخطيب البغدادي ، ج٧ ، ص٣٤٦ . المزي ، ج٦ ، ص٢٧٤ .

الفصل الثاني



١ـ كان لظهور الإسلام في مجتمع تجاري أثر واضح في موقف الإسلام المشجع للتجارة ، ويظهر ذلك من تأكيد الأحاديث النبوية على أن تسعة أعشار الرزق في التجارة ، وعُشر فيما تبقى من الأعمال[١]. وأمر الرسول (ص) من شكا إليه الفقر العمل بالتجارة[٢]، وروي عنه (ص) قوله : "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه"[٣]. ودعا الخليفة عمر بن الخطاب ابنه عاصم للعمل بالتجارة بعدما زوّجه ، حيث قال له : "إني مُعينك بثمن مالي بالغابة فأجدده فبِعْه ، ثم ائت رجلاً من تجار قومك فقم إلى جنبه ، فإذا اشترى شيئاً فاستشركه ثم استنفق وأنفق على أهلك"[٤].

اعتبر العمل في التجارة من أفضل الوجوه التي يتم بها تنمية الأموال والإمكانيات المالية للناس عامة وللتجار خاصة . فذكر عن قريش أنها كانت تربح للدينار ديناراً[٥]. وقيل إن عمر بن الخطاب أعطى أحد التجار مالاً عنده ليتيم ليتاجر به بقيمة عشرة آلاف ، فعاد إليه بعد سنه بمائة ألف[٦] ، ويروى أن ابنه عبد الله اشترى بضاعة من العراق بأربعين ألفاً ، فباعها في الحجاز بأربعمائة ألف[٧].

وفي إحدى السنوات التي اشترى فيها تجار المدينة أيام عثمان بن عفان صكوك طعام الجار ، يذكر أن حكيم بن حزام (ت٥٤هـ) ربح بها مائة ألف درهم[٨]. ولم تقتصر هذه الظواهر على الحجاز فقط ، ففي الكوفة مثلا اشترى عمرو بن حريث (ت٨٥هـ) سفطي جوهر من الغنائم التي غنمت من معركة نهاوند سنة٢١هـ ، بقيمة ألفي ألف درهم وباعها بضعف الثّمن ، أي بأربعة آلاف ألف ، وكانت سبباً في جعله أغنى أغنياء الكوفة[٩].

شكل التجار الطبقة الغنية في المجتمع الإسلامي ، وهكذا لما تفرغ أبو بكر الصديق

---

(١) يحيى بن معين ، ج٤ ، ص٤٩ . ابن فارس ، ج٣ ، ص١٣١ . الجوهري ، ج٦ ، ص٢٣٧٢ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٣٠ .

(٢) أبو داود ، ج٢ ، ص٢٩٣ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٤٥ .

(٣) البخاري ، ج٣ ، ص٧٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١١٠ . المتقي الهندي ، ج٦ ، ص٤٩٧ .

(٤) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٧٧ . أنظر : أبو عبيد ، ص٢٩٦ ، ص٢٩٧ .

(٥) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢٠٠ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٣٧ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣١٢ . الديار البكري ، ج١ ، ص٤١٩ .

(٦) أبو عبيد ، ص٥٤٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص٣٥ .

(٧) أبو عبيد ، ص٣٣١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢١٤ .

(٨) مالك ، الموطأ ، ص٢٦٩ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٦٦ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٦٧ .

(٩) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٢٩١ . أبو عبيد ، ص٣٢٢ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٢١٧ ، فتوح ، ص٤٢٧-٤٢٨ . الدينوري ، ص١٣٨ . الطبري ، ج٤ ، ص١١٦-١١٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٧٦ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١١١-١١٢ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٧ .

للخلافة ، طالب بزيادة راتبه السنوي[1]، والبالغ مقداره ستة آلاف درهم[2]، وقيل ألفي وخمسمائة درهم ، وقال : "زيدوني ، فإن لي عيالاً وقد شغلتموني عن التجارة "[3]. وقد عبّر عن هذا أحد رجال الحديث للتاجر الأشعث بن ربيع السمان حين قال له : "لزمت أنت السوق فأفلحت ، ولزمت أنا الحديث فأفلست"[4].

وكان للدعوة الإسلامية أثر كبير في زيادة النشاطات التجارية ، فزادت الفتوحات الإسلامية من حجم التبادل التجاري بفتح الحدود بين مناطق العالم القديم ، كما زادت الغنائم والأعطيات من دخل الفرد[5] والطلب على مختلف البضائع ، إضافة إلى أن الفتوحات ، وتكوين دولة الخلافة ، سهلت السيطرة على طرق التجارة العالمية وأزالت الحدود والحواجز الجمركية بين الدول[6]، مما ساعد على زيادة النشاط التجاري . وقد تمثل ذلك في تنمية رؤوس الأموال لدى التجار وتكوين الثروات الطائلة ، ويظهر ذلك من خلال صفقاتهم التجارية وإمكانياتهم المالية وتركاتهم ، خاصة الولاة والعمال منهم . فتورد المصادر أن عبد الرحمن بن عوف الزهري (ت٣٢هـ) عندما هاجر إلى المدينة كان مُعدما ، فقال : "دلّوني على السوق" ، فتاجر وأصبح من كبار التجار[7]، وأخذ يدير قوافل تجارية خاصة به ، وبلغ عدد إحدى قوافله القادمة من الشام والمحملة بالطعام سبعمائة راحلة[8]، كما عُدّت قافلة أخرى قدمت من مصر بمائة راحلة[9]. وهذا يفسّر كثرة صدقاته ، فقد تصدق يوم تبوك بمائتي

---

(1) ابن سعد ، ج٣ ، ص ١٨٤-١٨٥ ، ص١٨٦ . أبو عبيد ، ص٣٤٠ . الطبري ، ج٣ ، ص٤٣٢ ، ص٦١٦ . أبو هلال،ص٩٩ . السرخسي ، ج٣ ، ص١٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٠ ، ص٣٢١ . ابن الجوزي ، صفة ، ج ، ص٢٥٧-٢٥٨ ، المنتظم ، ج٤ ، ص٧١-٧٢ ، ص١٢٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٩١ . ابن خلكان ، ج٣ ، ص٦٥ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٥٩٩ ، ص٦١٦ .

(2) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٨٦ . الطبري ، ج٣ ، ص٣٣٢ . ابن عساكر ، ج٣٠ ، ص٣٢٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ،ص٧٣ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٩١ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٦١١ .

(3) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٨٥ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٧٠ . ابن عساكر ، ج٣٠ ، ص٣٢٢ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٦٠٣ .

(4) الذهبي ، سير ، ج٧ ، ص٢٢٥ .

(5) أنظر : الباب الثاني من الفصل الخامس ، التجار وحركة الفتوح .

(6) ول ديورانت ، ج١٣ ، ص١٠٩ . أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ونظمه ، ص٣٠٩ . نبيلة حسن محمد ، ص٣٩ .

(7) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٢٥ . البخاري ، ج٣ ، ص٦٨-٦٩ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ،ص٣١ . ابن الجوزي ،المنتظم ،ج ٥ ، ص٣٣ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٥ ، الكامل ، ج٣ ، ص٢٢٨ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٩١ .

(8) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٢ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ . اليافعي ، ج١ ، ص٨٦ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١٦٤ .

(9) السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٥٤ . الأصبهاني ، حلية ، ج١ ، ص٩٩ .

أوقية[1]، وحمل في سبيل الله على خمسمائة فرس[2]، وقيل ألف وخمسمائة راحلة[3]، وقيل أنه أعتق ثلاثين ألف بيت[4]، وعند وفاته أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله[5]، وبحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف[6]. ويظهر من خلال تركته مدى ثروته الكبيرة ، حيث ترك بعد وفاته ذهباً قُطّع بالفؤوس[7]، وألف بعير ، ومائة فرس ، وثلاثمائة شاة كذلك[8]. وقد تم تقسيم تركته على ستة عشر سهماً بلغت قيمة الواحد منها ثمانمائة ألف دينار[9]، وكانت حصة الواحدة من نسائه الأربع ثمانين ألفاً وأكثر[10]، وقيل مائة ألف[11].

ومن أشهر الأغنياء التجار كذلك ، طلحة بن عبيد الله التّيمي (ت٣٦هـ) الذي كانت غلّته اليومية من إحدى ضياعه في العراق تتراوح ما بين ألف إلى ألفي واق [12]، ويغلّ حوالي عشرة آلاف دينار في مناطق أخرى[13]. وقد جاءه مرةً سبعمائة ألف درهم من حضرموت[14]، وخمسمائة ألف درهم من العراق[15]. وقد تصدق بأموال كثيرة ، فيذكر أنه

---

[1] الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩١ . المتقي الهندي ، ج١٠ ، ص٥٦٣ .

[2] الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٣ . المزي ، ج١٧ ، ص٣٢٧ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٨١ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٣ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٦٥ .

[3] الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٣ .

[4] البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٩ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٤ .

[5] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٧ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٩٠ .

[6] الترمذي ، ج٥ ، ص٣١٣ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٨٥ .

[7] ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٦ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٥ ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٤ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٤ .

[8] ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٦ . اليعقوبي ، مشاكلة الناس ، ص١٣ . المسعودي ، مروج ، م١ ، ص٦٢٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٧ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٩٢ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٤ . ابن خلدون ، ج١ ، ص١٧١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٦٥ .

[9] الديار البكري ، ج٢ ، ص٦٥ .

[10] ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٩ . المسعودي ، مروج ، م١ ، ص٦٢٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٧ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٤ . ابن خلدون ، ج١ ، ص١٧١ .

[11] الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٩٠ .

[12] ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢٠ . المسعودي ، مروج ، م١ ، ص٦٢٤ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٦١ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٣ . ابن خلدون ، ج١ ، ص١٧١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٧٩ .
- صالح العلي ، ص٢٩١ .

[13] ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٢ ، تهذيب ، ج٥٧ ، ص٨٤ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٢-٣٣ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٤٧٧ .
- صالح العلي ، ص٢٩١ .

[14] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٩٩ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٠ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٠-٣١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

[15] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٢ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٥ .

تصدق مرة بأربعمائة ألف[1]، ومرة أخرى بمائة ألف[2]. وقيل أنه اشترى بئر ذو قرد وتصدق به[3]، كما أنه وصل أعرابيا بثلاثمائة ألف[4]. وكانت تركته بعد وفاته كبيرة جداً ، حيث تـرك من العين حوالي ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار[5]، وتذكر المصادر أنه تـرك كذلك ثلاثمائة بهار* من الذهب والفضة ، هذا إلى جانب عقاراته وأمواله التي قُوّمت بحوالـي ثلاثين ألف ألف درهم[6].

وبلغ ثراء الزبير بن العوام (ت٣٦هـ) حجماً كبيراً ، فقد كان له ألف مملوك يـؤدون له الخراج[7]، وكان له غلات تأتيه من أطراف المدينة[8]. وقد قُدّرت أملاكه بعد وفاته بحوالي خمسين مليون درهم ، حيث أصابت كل واحدة من نسائه الأربع أكثر من ألف ألف درهـم[9]. وكان حكيم بن حزام (ت٥٤هـ) على قدر مشابه من الثراء ، حيث بلغ ربحه بإحدى الصفقات التجارية مائة ألف[10]، وأقرض الزبير بن العوام مائة ألف دينار[11]. كما أنه عرض على عبد الله بن الزبير بن العوام (ت٧٣هـ) أن يساهم بتسديد نصف ديون والـده التـي خلّفهـا

---

[1] ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢٠ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١١٧ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٠ . ابن الجـوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٠ ، المنتظم ، ج٥ ، ص١١٣ . الزبيدي ، ج٥ ، ص٧١ .

[2] ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٤ .

[3] البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١١٩ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨١ . ياقوت ، معجـم البلـدان ، ج٤ ، ص٣٢١ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٤٧٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٢٢٩ . الزبيدي ، ج٥ ، ص٧١ .

[4] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٩٩ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

[5] ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢٢ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١٣٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٢٠ ، تهذيـب ، ج٧ ، ص٨٥ ، ص٩٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١١٤ . المزي ، ج١٣ ، ص٤٢٣ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٣٠ . الديـار البكري ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

* البهار : شيء يوزن به وهو ثلثمائة رطل أو أربعمائة أو ستمائة . الفيروز أبادي ، ج١ ، ص٣٩٢ .

[6] ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢٢ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١٣٥ . اليعقوبي ، مشاكلة الناس ، ص١٣ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٣٢٢ . ابن عساكر ، ج٢٥، ص١٢٠ . المزي ، ج١٣ ، ص٤٢٣ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

وذكر أنها كانت ثمانين ألف ألف . ابن الجوزي ، ج٥ ، ص١١٤ .

[7] الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص١٩٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٦ . ابن الأثير ، أسـد ، ج٢ ، ص١٩٨ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٥٦ . الصفدي ، ج١٤ ، ص١٨٢-١٨٣ . ابن كثير ، ج٧ ، ص٣٥١ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٣ ، ص٣١٩ .

[8] ابن سعد ، ج٣ ، ص١١٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٤٢٨ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٧٠ .

[9] ابن سعد ، ج٣ ، ص١٠٩ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٣٢٤ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩١ . ابن عساكر ، تهذيب ،ج٥ ،ص٣٧٠ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٨ . المزي ، ج٩ ، ص٣٢٢ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٣٤٥ . الديار البكـري ، ج١ ، ص١٧٣ . ابن العماد الحنبلي ، ج١ ، ص٢٠٨ .

[10] مالـك ، الموطأ ، ص٢٦٩ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٦٦ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٦٧ .

[11] ابن كثير ، ج٨ ، ص٦٩ .

- للاطلاع على طبيعة الروايات التاريخية التي تتناول ثراء الصحابة ، أنظر : عدنان ملحم ،ص١٠٣-١٠٦ ، برهان الدين دلـو ، ص٦٩-٧٣ .

بعد وفاته[1]، والتي بلغت أكثر من ألفي ألف درهم[2]، وقيل ألف ألف درهم[3]. وكان للعباس ابن عبد المطلب في مكة عشرون عبداً يتاجرون له[4]، وعند وفاته أعتق سبعين مملوكاً[5].

واعتبر عبد الله بن عمر بن الخطاب من التجار الأغنياء ، حيث اشترى بضائعاً من غنائم العراق بأربعين ألفاً وباعها بأربعمائة ألف[6]. وجاءه مرة اثنان وعشرون ألف دينار ففرقها في مجلسه[7]. وما مات حتى أعتق ألف رقبه[8]. وعُدّ عمرو بن حريث (ت٨٥هـ) أغنى أهل الكوفة ، حيث اشترى مرة سفطي جواهر زمن عمر بن الخطاب بعطاء المقاتلة ، أي بألفي ألف ، وباعها بأربعة آلاف ألف[9].

وبلغ قرض عبد الله بن جعفر (ت٨٠هـ) للزبير بن العوام (ت٣٦هـ) ألف ألف درهم[10]، وقد منحه الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ) ألفي ألف بسبب سخائه[11]، وأوصى به ابنه يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ) فضاعف له العطاء إلى أربعة آلاف ألف[12].

حافظت طبقة التجار في العصر الأموي على ثرائها رغم الاختلاف الذي طرأ على تركيبه التجار الاجتماعية بعدما طغى عليها التجار الموالي ، وأصبحوا من أكثر الناس ثراء، وتورد المصادر أمثلة كثيرة على ذلك : فيذكر أن اثنين من الموالي التجار ، هما الحسن بن الحر النخعي (ت١٣٣هـ) وعبدة بن لبابة (ت في القرن الثاني هـ) ، قد قدما مكة

---

[1] ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١٢٢ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٧١ . المزي ، ج٧ ، ص١٨٧-١٨٨ .

[2] الأصبهاني ، ج١ ، ص٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٤٣١ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٨ . المزي ، ج٩ ، ص٣٢٢. الصفدي ، ج١٤ ، ص١٨٤ . الديار البكري ، ج١ ، ص١٧٢ . ابن العماد الحنبلي ، ج١ ، ص٢٠٨ .

[3] ابن سعد ، ج٣ ، ص١٠٩ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٣٢٤ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١٢٢ ، ج١٨ ، ص٤٢٧ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٧٠ .

[4] ابن إسحق ، ص٣٠٧ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٢٣٤ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٨٢-٨٣ .

[5] ابن سعد ، ج٤ ، ص٣٠ .

[6] السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٧٥ .

[7] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٣٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٥٧٠-٥٧١ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١٣٧ ، ج٩ ، ص ٥ .

[8] ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٥٧١ . ابن كثير ، ج٩ ، ص٥ .

[9] مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٢٩١ . أبو عبيد ، ص٣٢٢ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٢١٧ ، فتوح ، ص٤٢٧-٤٢٨ . الدينوري ، ص١٣٨ . الطبري ، ج٤ ، ص١١٦-١١٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٧٦ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١١١-١١٢ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٧ .

[10] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ، ص٢٧٣ . تهذيب ، ج٧ ، ص٣٣٥ .

[11] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٨٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ، ص٢٦٣ ، تهذيب ، ج٧ ،ص٣٣٠ . ابن كثير،ج ٨، ص١٣٧ ، ج٩ ، ص٣٣ .

[12] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٢٨٩ . ابن عبد ربه ، ج٢ ، ص٧٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ،ص٢٨٥ .ابن كثير ، ج٩ ، ص٣٣ .

بتجارة لهما بقيمة أربعين ألف درهم[1]. وكاد المولى محمد بن سيرين (ت١١٠هـ) أن يربح ثمانين ألف درهم ، وقيل أربعون ألف درهم ، في صفقه واحدة[2]، وقدّرت تركته بعد وفاته بثلاثمائة ألف[3]، وقيل سبعون ألف درهم[4]. وكان دخل المولى الليث بن سعد (ت١٧٥هـ) ثمانين ألف دينار ، وقد كان يستغل في كل سنة خمسين ألف دينار بالتجارة[5]. وتاجر مولى يدعى يسار بن محدوج إلى الصين لأحد الأغنياء مضاربة ، فعاد إليه بسبعمائة ألف[6]. وأقرض المولى أبو دكين أحد الناس مرة سبعمائة ألف إلى العطاء[7]. وكان المولى أبو عبد رب الدمشقي (ت١١٠هـ) من أكثر أهل دمشق مالاً[8]، وقد اشترى مرة سبعمائة كساء فرقها في الجيش[9]. أما المولى عبد الله بن المبارك بن واضح ، فقد كان رأس ماله حوالي أربعمائة ألف يتاجر فيها ، وكان ربحه السنوي يزيد عن مائة ألف[10].

ضمت طبقة الأثرياء إلى جانب التجار ، الخلفاء وعمال الدولة وولاتها ممن كانوا في الأصل تجاراً واستمروا بممارسة التجارة ، أو ممن مارسوا التجارة خلال عملهم في أجهزة الدولة المختلفة ، فكان ذلك سبباً في ثراء الكثير منهم وزيادة أموالهم . وكان من عمال الدولة التجار الخليفة عمر بن الخطاب ، الذي كان قد ساهم بالدعوة من قبل وتبرع بنصف ماله[11]، وبعد توليه الخلافة استمر بالاقتراض والعمل بالتجارة[12]، وقد كان له عدة عقارات[13]. أما الخليفة عثمان بن عفان ، فقد استلف أثناء خلافته عدة مرات من بيت المال[14]، وسيطر على الكثير من المرافق الاقتصادية في الدولة كالتجارة البحرية ، وكان

---

(١) المزي ، ج١٨ ، ص٥٤٥ . الذهبي ، سير ، ج٥ ، ص٢٢٩ .

(٢) ابن سعد ، ج٧ ، ص١٩٩ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٦٦ . الخطيب البغدادي ، ج٥ ، ص٣٣٦ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٢٤٤ . الذهبي ، سير ، ج٤ ، ص٦١٦ .

(٣) ابن سعد ، ج٧ ، ص٢٠٥ .

(٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٤٣ .

(٥) الأصبهاني ، ج٧ ، ص٣٢٢ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٤ ، ص٣١٣ .

(٦) وكيع ، ج٢ ، ص٨٢ .

(٧) ابن حبيب ، المحبر، ص٣٤٢ .

(٨) ابن الجوزي ، صفة ، ج٤ ، ص٢٢٠ . المزي ، ج٣٤ ، ص٣٧ .

(٩) ابن الجوزي ، صفة ، ج٤ ، ص٢٢٠ .

(١٠) ابن كثير ، ج١٠ ، ص١٧٧ .

(١١) الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٠ ، ص٦٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٢١٨ . اليافعي ، ج١، ص٦٨ .

(١٢) ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٠٨ . أبو عبيد ، ص٣٤١-٣٤٤ . ابن قتيبة ، عيون ، م١ ، ج٣ ، ص٣٥٦ . المتقي الهندي ، ج١٢ ، ص٦٥٧ .

(١٣) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٧٧ . أبو عبيد ، ص٢٩٦ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٢٧ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٩٤ .

(١٤) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٤٨-٥٤٩ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

"يحمي الشرف لإبله وكانت ألف بعير"[1]. وخلف عند وفاته ضياعاً كثيرة تتراوح قيمتها ما بين مائة إلى مائتي ألف دينار[2]. وترك كذلك مائة وخمسين ألف دينار[3]، وقيل ثلاثون مليون درهم[4]، كما ترك الكثير من الخيل والإبل . وألف بعير[5].

وكانت ثروة الخليفة معاوية بن أبي سفيان كبيرة جداً بسبب استمراره بالعمل بالتجارة، سواء أثناء ولايته الشام في العهد الراشدي[6]، أو بعد توليه الخلافة في العهد الأموي[7]. وتحكم الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) بالأسواق والأسعار ، بحيث كانت تباع غلاته فيها أولاً[8].

تشير المصادر إلى الكثير من عمال الدولة الذين كوّنوا ثروة كبيرة أثناء عملهم بالتجارة ، ومن هؤلاء : معاذ بن جبل الذي أرسله الرسول (ص) إلى اليمن على صدقاتهم لكي يُجبِّره وذلك بعد إفلاسه ، فعمل هناك بالتجارة ، وكون ثروة انتبه لها عمر بن الخطاب ، فطلب من أبي بكر الصديق مُقاسمته إيّاها لكنه رفض[9]، فاتبع عمر سياسة مقاسمة الأموال بعد توليه الخلافة لِما رآه من مظاهر الثّراء الفاحش الذي ظهر على عماله خاصة التجار منهم[10]، ومن بينهم سعد بن أبي وقاص (ت٥٦هـ) عامله على الصدقات[11]، والذي كان يرسل خمسة آلاف درهم زكاة ماله له[12]، وقد ترك بعد وفاته مائتي وخمسين ألف درهم[13].

---

(1) ابن أبي الحديد ، ج٣ ، ص٣٩ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

(2) ابن سعد ، ج٣ ، ص٧٧ . المسعودي ، مروج ، م١ ، ص٦٢٤ .

(3) المسعودي ، مروج ، م١ ، ص٦٢٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٧٢ .

(4) ابن سعد ، ج٣ ، ص٧٧ .

(5) المصدر السابق . المسعودي ، مروج ، م١ ، ص٦٢٤ .

(6) أبو هلال ، ص١٣٠ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٧-٢٩٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص١٩٨-١٩٩ . ابن قدامة ، ص١٩٠ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص١٠ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٩ .

(7) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص١٣٠ .

(8) الطبري ، ج٧ ، ص١٥٤ . ابن الأثير ، ج٤ ، ص٢٣٦ . النويري ، ج٢١ ، ص٢٥٣ .

(9) أبو داود ، ج٣ ، ص٤٢٨ . ابن قدامة ، ص١٣٧ . ابن كثير ، ج٥ ، ص١٠٢ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٥٩٢ .

(10) بعث أحد الشعراء إلى عمر بقصيدة طويلة يشكو له بها ترف عماله . منها :

نؤوب إذا آبوا ونغزوا إذا غزوا	فأنى لهم وَفْر ولسنا أولي وَفْرِ
إذا التاجر الداري جاء بفارة	من المسك راحت في مفارقهم تجري

ابن منظور ، ج٤ ، ص٤٠٦ . ابن عبد الحكم ، (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٧ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٨٦ ، فتوح ، ص٥٤١ -٥٤٢ . أبو هلال ، ص١١٧ . ابن أبي الحديد ، ج١ ، ص١٧٤-١٧٥ .

(11) ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٤ . ابن قدامة ، ص٢٤٢ .

(12) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٠ ، ص٣٦٣ ، تهذيب ، ج٦ ، ص١١٠ .

(13) البلاذري ، ج١٠ ، ص٢٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٠ ، ص٣٦٣ ، تهذيب ، ج٦ ، ص١١٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٨٢ .

وقاسم كذلك عامله على مصر عمرو بن العاص (ت٤٣هـ) بعدما كتب له : "وعهدي بك قبل ذلك أنه لا مال لك"[1]. وقد كانت غلة عمرو بن العاص مائتي ألف دينار[2]، وقد ترك بعد وفاته سبعمائة رقبة بعير مملوءة ذهباً[3]، وترك من العين خمسة وعشرين وثلاثمائة ألف دينار، وترك من الورق ألف ألف درهم[4]، وعقارات بلغ ثمن إحداها ثلاثة آلاف ألف[5].

وقاسم عمر بن الخطاب عامله على البحرين أبا هريرة (ت٥٩هـ) لما علم أنه بنى داراً كبيرة وابتاع أفراساً بألف وستمائة دينار وتملك آلاف الدراهم[6]، وقد كان قبل ولايته بلا خُفّين[7]. وقاسم كذلك عامله على كنانه عتبه بن أبي سفيان (ت٤٤هـ) عندما سأله عمر عن ماله فأجاب : "خرجت معي بمال فتجرت فيه"[8]. ومن العمال الآخرين الذين كوّنوا ثروة كبيرة من خلال تجارتهم سعيد بن العاص (ت٥٩هـ) ، الذي تولى الكوفة لعثمان بن عفان وتولى المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، وقد كانت له عقارات وثروة كبيرة[9]. وهناك أيضاً عبد الله بن عامر بن كريز (ت٥٩هـ) ، الذي تولى البصرة لعثمان بن عفان ولمعاوية ابن أبي سفيان ، والذي بلغ حد ثرائه أنه قام بدعم أصحاب الجمل بأمواله[10].

استمر ظهور الثراء على عمال بني أمية التجار ، ومن بينهم : زياد بن أبيه والي البصرة (٤٥-٥٣هـ) لمعاوية بن أبي سفيان ، والذي أرسل بستين ألفاً ليتاجر له بها[11]. والحجاج بن يوسف الثقفي والي الكوفة والبصرة (٧٣-٨١هـ)[12]. ومحمد بن يوسف (ت٩١هـ) والي اليمن للوليد بن عبد الملك ، والذي أصاب مائة وخمسين ألف دينار من

---

[1] ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٦٩ ، فتوح ، ص٣٠٧-٣٠٨ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٦-٤٧ . أبو هلال ، ص١١٨-١١٩ .

[2] الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

[3] المسعودي ، مروج ، م٢ ، ص٢١ .

[4] الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

[5] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢١ ، ص١٤٠-١٤١ .

[6] ابن سعد ، ج٤ ، ص٣٣٥-٣٣٦ . أبو عبيد ، ص٣٤٣ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٨ . البلاذري ، فتوح ، ص١١٢ ، ص١١٣ ، ص١١٤ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٤ ، ص٤٤٦ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٢٩٥ ، ج٤، ص٢١٠ ، تهذيب ، ج١٢ ، ص٢٦٧ .

[7] البلاذري ، ج١٠ ، ص٣٦٨ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٥ .

[8] البلاذري ، ج١٠ ، ص٣٣٢ .

[9] ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٤٦-١٤٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٩٧-٢٩٨ . بيعت بعض عقاراته بعد موته بثلاثة آلاف ألف .

[10] ابن سعد ، ج٥ ، ص٤٩ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٥٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٦٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٠٦.

[11] ابن قتيبة ، عيون ، ج١ ، ص١٧٥ .

[12] أبو هلال ، ص٩٣ .

خلال تجارته أثناء ولايته[1]. وكان عمال الخليفة هشام بن عبد الملك من أغنى العمال ، فقد بلغت غلة واليه على المشرق خالد بن عبد الله القسري (١٠٥-١٢٠هـ) عشرين ألف ألف[2]، وكانت غلة ابنه يزيد بن خالد (ت١٢٧هـ) أكثر من عشرة آلاف ألف[3]، وكان لعامله على العراق يوسف بن عمر الثقفي (١٢١-١٢٦هـ) سوق باسمه خاص به[4].

٢- استثمر التجار أموالهم في شراء الضياع والعقارات والأسواق والدور في مختلف الأمصار ، فتذكر المصادر أن الزبير بن العوام ، وعبد الله بن جعفر امتلكا ضيعة بالقرب من المدينة[5]، وكان للزبير مكان يعرف بالغابة اشتراه بمائة وسبعين ألفاً[6]، وقد بيع بعد وفاته بحوالي ألفي ألف[7]، وكان لابنه عبد الله كثير من الأراضي والضياع في المدينة وخارجها[8].

وتوزعت ضياع وأراضي طلحة بن عبيد الله في أمصار عديدة ، أشهرها ضيعة النشاستج بالقرب من الكوفة[9]، وقد اشترى منه عثمان بن عفان إحدى أراضيه بسبعمائة ألف[10]، وعرض عليه ثلاثمائة ألف ثمناً لأرض أخرى[11]، وامتلك عثمان بن عفان أراضي قُدّر ثمنها ما بين مائة إلى مائتي ألف دينار[12]. وباع عبد الرحمن بن عوف إحدى أراضيه بأربعين ألف دينار[13]، وذكرت المصادر أنه كان هناك قرية بالشام لأبي سفيان (ت٣٢هـ)

---

(1) المبرد ، ج١ ، ص٣٠٥ .

(2) الطبري ، ج٧ ، ص١٥٢ . ابن الجوزي ، ج٧ ، ص٢٠٠ .

(3) البلاذري ، أنساب ، ج٩ ، ص٩٤ . الطبري ، ج٧ ، ص١٤٧ . الأصفهاني ، ج٢٢ ، ص٣٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص٢٣٦ . النويري ، ج٢١ ، ص٤٥٢ .

(4) البلاذري ، فتوح ، ص٣٩٥ .

(5) البلاذري ، أنساب ، ج٣ ، ص٥٦ .

(6) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٠٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٤٣١ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٨٢ .

(7) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٠٩ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٣٢٤ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٤٣١ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٨٢ .

(8) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٥ .

(9) أبو عبيد ، ص٣٥١-٣٥٢ . الطبري ، ج٤ ، ص٢٨٠ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٨٥ .

(10) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠١ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٤ .

(11) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢٠-٢٢١ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٩٩ ،ص١٠١،تهذيب،ج ٧ ، ص٨٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤ .

(12) ابن سعد ، ج٤ ، ص٧٧ . المسعودي ، مروج ، م١ ، ص٦٢٤ .

(13) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٢-١٣٣ ، ج٨ ، ص٢١١ . الترمذي ، ج٥ ، ص٣١٢ . البكري ، ج٤ ، ص١١٤٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٤ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٦ ، ص٢٤٥ .

صارت لأبنائه من بعده[1]. وذكر أن ضياع عمرو بن العاص (ت٤٣هـ) قدرت بثلاثة آلاف ألف ، وكانت تدر مائتي ألف دينار سنوياً ، ومن أشهرها ضيعة الوهط بالطائف التي قيل أنها كانت تشتمل على مليون عمود كرم[2]. وذكرت المصادر أنه كان هناك ضياع وأموال بالطائف والبصرة لعبد الله بن عامر[3].

وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان (ت٤١-٦٠هـ) مولعاً بشراء الضياع والعقارات، حتى أنه اشترى بعض بيوت أمهات المؤمنين ، كبيت خديجة بنت خويلد[4]، وبيت صفية[5]، وبيت عائشة[6]، كما أنه اشترى أرضاً من قيس بن سعد (ت٦٠هـ) بتسعين ألفاً[7]. واشترى كذلك عدة ضياع من اليهود ، لا سيما في الطائف[8]. وكان لأحد التجار في العهد الأموي – وهو شقيق بن إبراهيم الأزدي – ثلاثمائة قرية[9].

لم يقتصر نشاط التجار على شراء الضياع والعقارات ، بل تعدّى ذلك إلى امتلاكهم أسواقاً خاصة بهم ، وقد ازداد ذلك في العصر الأموي بشكل كبير. ومن أمثلة هذه الأسواق: سوق البصرة الذي اشتراه عبد الله بن عامر ووهبه لأهله[10]، وسوق وردان بفسطاط مصر الخاص بوردان الرومي (ت٥٣هـ) مولى عمرو بن العاص وصاحب شرطته[11]، وسوق الصياقلة بدمشق لسفيان بن الأبرد بن أُمامة[12]، وسوق أسد بالكوفة لواليها أسد بن عبد الله القسري (ت١٢٠هـ)[13]، وسوق يوسف بالحيرة الخاص بيوسف بن عمر بن محمد والي

---

(1) المبرد ، ج١ ، ص١٤٩ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٧٢ ، ج٥ ، ص٣٠٠ . ابن عبد الحق ، ج٣ ، ص١٣٨٦ .

(2) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢١ ، ص١٤٠-١٤١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٩٢ .
– إبراهيم حركات ، السياسة والمجتمع في عهد الراشدين ، ص٣٠٠ .

(3) ابن سعد ، ج٥ ، ص٤٩ . الطبري ، ج٥ ، ص١٧٠ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٤٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٩ ، ص٢٦٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٨٧ . ابن خلدون ، ج٣ ، ص٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٦١ .
– صالح العلي ، ص٢٦٦ .

(4) الطبري ، ج٢ ، ص٢٨٢ .

(5) الديار البكري ، ج١ ، ص٣٤٧ . إشتراه بمائة وثمانين ألف درهم .

(6) الأصبهاني ، ج٢ ، ص٤٩ . الديار البكري ، ج١ ، ص٣٤٧ .

(7) ابن الجوزي ، ج٥ ، ص٣١٨ . المزي ، ج٢٤ ، ص٤٣ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١٠٠ .

(8) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٦٦ ، فتوح ، ص٧٥ .

(9) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٧٠ .

(10) ابن حبيب ، المحبر ، ص١٥٠ .

(11) ابن سعد ، ج٧ ، ص٥١١ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١١٤ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٨٧ . البلاذري ، فتوح ، ص٣٠٤ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٤ .

(12) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢١ ، ص٣٤١ ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٨٢ .

(13) البلاذري ، فتوح ، ص٤٠٢ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٣ .

العراق (١٢١-١٢٦هـ)[١]، وسوق هشام بالجزيرة التابع للخليفة هشام بن عبد الملك[٢].

أدى استثمار التجار أموالهم بشراء العقارات والأرضين إلى افتقارهم إلى السيولة المادية ، وهذا يفسر استدانتهم من بعضهم البعض ومن بيت المال[٣]، كما يفسر أسباب الديون الكثيرة التي تركها بعضهم بعد وفاته ، والتي غالباً ما كان يتم تسديدها عن طريق بيع بعض ضياعهم وعقاراتهم ، فعلى سبيل المثال : أوصى عمر بن الخطاب عند وفاته ابنه عبد الله أن يبيع بعض عقاراته ليسدد ديونه لبيت المال . والتي تراوحت ما بين ثمانين إلى ستة وثمانين ألفاً[٤]. وترك الزبير بن العوام بعد وفاته ديناً تترواح قيمته ما بين مليون إلى مليوني درهم[٥]، فباع ابنه عبد الله موضعاً يدعى بالغابة بقيمة هذا الدين وسدّده عن والده[٦]. وقُدّرت ديون سعيد بن العاص التي خلّفها بعد وفاته بثلاثة آلاف ألف درهم ، وقيل ثلاثمائة ألف[٧]، وقيل أيضاً أنها ما بين ثمانين إلى تسعين ألف دينار[٨]، وقد أوصى سعيد ابنه عمرا ببيع بعض عقاراته وتسديد ديونه[٩]. وبلغت ديون عمرو بن العاص أيضاً ثلاثة آلاف ألف ، فتم بيع أحد قصوره بألف ألف والنخل بألف ألف والمزارع بألف ألف ، وذلك لدفع هذه الديون لأصحابها[١٠]. وقضى عبد الله بن محمد بن سيرين عن والده بعد وفاته ثلاثين ألف درهم[١١].

اتّخذ التجار بيوتاً ودوراً تليق بمستواهم الاقتصادي والاجتماعي ، فقد بنى عثمان بن عفان داره بالمدينة وشيدّها بالحجر والكلس ، وجعل أبوابها من الساج والعرعر . وبنى عبد الرحمن بن عوف داره ووسّعها . وبنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص٣٩٥ . ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص٧٥٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص٢٤٧ .

(٣) أنظر الباب الرابع من الفصل الثالث ، بعض ممارسات التجار . والباب الأول من الفصل الرابع ، التجار وبيت المال .

(٤) ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٣٨ ، ص٣٥٨ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٢٧ ، ص١٤٩ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٩٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٢٨٩-٢٩٠ ، المنتظم ، ج٤ ، ص٣٣٠ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٧٢٩ .

(٥) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٠٩ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٣٢٤ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٤٢٨ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٧٠ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٨ . النويري ، ج٢٠ ، ص٩٧ . المزي ، ج٩ ، ص٣٢٢ . الديار البكري ، ج١ ، ص١٧٢ .

_ صالح العلي ، ص٢٨٩ .

(٦) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٠٩ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٣٢٤ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٤٣١ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٧٠ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٨٢ .

(٧) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٤٦-١٤٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٩٧-٢٩٨ . ابن كثير ، ج٨ ، ص٨٧ .

(٨) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٣٦ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٤٥ .

(٩) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٣٦ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٤٥ ، ص١٤٦ ، ص١٤٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٩٧ ، ص٢٩٨ .

(١٠) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢١ ، ص١٤٠-١٤١ .

(١١) ابن سعد ، ج٧ ، ص٢٠٥ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٤٤٣ . ابن خلكان ، ج٤ ، ص١٨٢ . اليافعي ، ج١ ، ص٢٣٣ .

وأوسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات . وبنى كذلك المقداد بن الأسود (ت في القرن الأول هـ) داره بالمدينة ، وجعلها مُجَصّصة الظاهر والباطن وأعلاها شرفات . وبنى طلحة بن عبيد الله داراً بالكناسة في الكوفة بالجصّ والآجر والساج عرفت بدار الطلحيين[1]. وكان لكل من حويطب بن عبد العزى (ت٥٤هـ)[2] وحاطب بن أبي بلتعة (ت٣٠هـ)[3] دار في المدينة . أما عمرو بن حريث (ت٨٥هـ) فقد كان أول قرشي يتخذ بالكوفة داراً[4]. وكان لوالي البصرة سُمرة بن جندب الفزاري (٥٠-٥٥هـ) داران في البصرة إحداهما بالسوق[5]. وكان للحجاج بن علاط السهمي دارٌ في دمشق في سوق الطرائف ، ولما صارت لابنه خالد ، أمير دمشق من قبل بني أمية ، عرفت الدار والسوق بالخالديين[6]. وكان للزبير بن العوام خُطط في الكوفة ، ودور في كل من : الكوفة ، ومصر ، والإسكندرية[7]. ويُذكر أنه كان عنده إحدى عشر داراً بالكوفة ، واثنتان في البصرة[8]. وكان لعبد الله بن عامر عدّة دور في كل من الطائف والبصرة[9]. وكان لإبراهيم بن مِقسم ــ وهو تاجر كوفي ــ دارٌ بالبصرة[10].

بلغت أسعار هذه البيوت مبالغاً كبيرة ، فقد باع الزبير بن العوام داراً له بستمائة ألف[11]، كما باع حويطب بن عبد العزى داره لمعاوية بن أبي سفيان بأربعين ألف دينار[12]، وقيل بخمسة وأربعين ألف دينار[13].

تعددت استخدامات هذه البيوت ، فقد كانت بمثابة استراحات للتجار عند نزولهم في

---

(1) البلاذري ، أنساب ، ج١٠، ص١٢ . المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص٦٢٤-٦٢٥ . ابن خلدون ، ج١ ، ص١٧١ .

(2) ابن كثير ، ج٨ ، ص٦٩ .

(3) البلاذري ، أنساب ، ج٩ ، ص٤٢٧ .

(4) الدينوري ، ص١٣٨ . الطبري ، ج٤ ، ص١١٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٧٦ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٩٧ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٧ .

(5) البلاذري ، أنساب ، ج١٣ ، ص١٨٥ .

(6) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٦٣ ، ج١٢ ، ص١٠١ .

(7) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٠٨ ، ص١١٠ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١١٤ . البلاذري ، أنساب ، ج٩ ، ص٤٢٧ . المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص٦٢٤ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٤٣١ ، تهذيب ، ج٥ ،ص٣٧٠. الصفدي ، ج١٤ ، ص١٨٤ . ابن خلدون ، ج١ ، ص١٧١ .

(8) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٠٨ . البلاذري ، أنساب ، ج٩ ، ص٤٢٥ .

(9) ابن سعد ، ج٥ ، ص٤٩ . الطبري ، ج٥ ، ص١٧٠ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٤٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٩ ، ص٢٦٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٨٧ . ابن خلدون ، ج٣ ، ص٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٦١ .

(10) الذهبي ، سير ، ج٩ ، ص١١٣ .

(11) ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٧ .

(12) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص٣٥٥ ، تهذيب ، ج٥ ، ص١٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٧٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٣٦٤ .

(13) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٦١ .

مرة مطرف خز بمائة دينار[1]. وكست عائشة زوج الرسول (ص) عبد الله بن الزبير كساء خز لها[2]، ولبس سعد بن أبي وقاص الخز أيضاً[3]. ويعتبر عبد الله بن عامر بن كريز (ت٥٨هـ) أول من لبس الخز في البصرة[4]. كما ارتدى الخز أيضاً سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ)[5]. ويبدو أن ارتداء الخز كان شائعاً بين التجار الأثرياء . أما الحرير، فقد رخّص الرسول (ص) بلبسه للزبير بن العوام ولعبد الرحمن بن عوف ، وذلك لحكّة بهما أو لتقبّل بشرتهما للحرير فقط[6]. ولبس عروة بن الزبير قباء سندساً مبطّناً بالحرير[7].

وعندما توفّي طلحة بن عبيد الله ، وُجد في إصبعه خاتماً ذهبياً[8]، ولبس سعد بن أبي وقاص هو الآخر خاتماً من ذهب[9]. وهو أمر يدل على استخدام المسلمين وصحابة الرسول (ص) لخواتم الذهب . وقُدّرت ثياب ودابّة وخاتم التاجر الليث بن سعد (ت١٧٥هـ) بين ثمانية عشر وعشرين ألف درهم[10].

وشملت مظاهر الترف والثراء نساء التجار، فقد كانت نائلة ـ زوج عثمان بن عفان ـ ترتدي مطرف الخزّ بمائة دينار[11]، وعندما دعا عمر بن الخطاب زوجته لتناول الغذاء بحضور أحد رسل عماله ، قالت له: "لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته ، وكما كسا الزبير امرأته ، وكما كسا طلحة امرأته"[12]. مما يدل على أن نساء التجار يتجمّلن بثياب تليق بمستوى أزواجهن الاقتصادي .

كانت هدايا التجار إلى نسائهم تليق بمستواهم كذلك ، فقد أهدى مصعب بن الزّبير (ت٧٠هـ) زوجته عائشة بنت طلحة ثماني لؤلؤات ونثرها في حجرها وهي نائمة ، فقالت له : "نومتي كانت أحب إليّ من هذا اللؤلؤ"[13]. مما يدل على مدى بذخ التجار وارتفاع

---

(1) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٨٤ .

(2) ابن سعد ، ج٥ ، ص١٨٠ ، ج٨ ، ص٦٩ .

(3) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١٢ .

(4) ابن سعد ، ج٥ ، ص٤٧ . ابن حبيب ، المحبر ،ص١٥٠. البلاذري ،أنساب ،ج١٠،ص٢١٩.ابن عساكر ،تاريخ،ج٢٩،ص٢٦١ .

(5) ابن سعد ، ج٥ ، ص١٤٠ .

(6) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣١ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٥ . البخاري ، صحيح ، ج٤ ، ص٥٠ . أبو داود ، ج٤ ، ص٣٢٩ . الترمذي ، ج٣ ، ص١٣٣ . النويري ، ج١٠ ، ص١٧٧ .

(7) ابن سعد ، ج٥ ، ص١٨٠ .

(8) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٢٠ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١٢٣ .

(9) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١٢ .

(10) الذهبي ، تذكرة ، ج١ ، ص٢٢٦ .

(11) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٨٤ .

(12) الطبري ، ج٤ ، ص١٨٨ .

(13) الصفدي ، ج١٦ ، ص٦٠٢ . الأصفهاني ، ج١١ ، ص١٧١ .

مستوى معيشتهم . هذا وقد أهدى يزيد بن خالد القسري (ت١٢٧هـ) جاريته ياقوته تساوي ثلاثة وسبعون ألف دينار[1].

واتّسم صداق بنات ونساء التجار بارتفاع قيمته ، فقد تزوج عمر بن الخطاب حفيدة الرسول (ص) أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب على أربعين ألف درهم[2]. أما عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فقد تزوجت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٥٨هـ) ، ومصعب ابن الزبير من بعده ، وكان صداقها مائة ألف دينار[3]. وهناك روايات تشير إلى أن مصعب ابن الزبير أصدقها خمسمائة ألف درهم ، وأهدى لها خمسمائة ألف درهم[4]. كما أنه قدم مهراً لسكينة بنت الحسين بن علي ألف ألف درهم ، ولما حملها إليه أخوها علي بن الحسين ، أعطاه أربعين ألف دينار[5]. وكان مهر زوجة التاجر عمرو بن حريث أربعمائة وثمانين درهماً ، أوعشرة آلاف درهم ، سوى الصداق[6]. وزوج عبد الله بن جعفر ابنته للحجاج بن يوسف الثقفي (ت٨١هـ) على ألفي ألف بالسّر ، وخمسمائة ألف في العلانية[7].

٣ـ كانت **المضاربة** أسلوباً تجارياً متبعاً قبل الإسلام بشكل كبير ، لا سيما في مكة[8]. والمضاربة هي إعطاء المال لآخر ليتاجر به على أن يكون الربح بينهما مناصفة أو بسهمٍ معلوم . ويجوز تسمية صاحب رأس المال والتاجر مضارباً ، أو مقارضاً ، أو معاملاً ، لا سيما أن أهل المدينة يسمون هذا العقد مقارضة ، وأهل مكة مضاربة ، وأهل الكوفة معاملة[9]. وعلى الرغم من عدم وضوح شروط المضاربة ، وما يخص الخسارة والربح في المصادر ، إلاّ أن البعض تطرق إلى ذلك ، فقد روي عن شريح القاضي (ت٨٢هـ) قوله: "الوضيعة على المال ، والرّبح على ما اصطلحوا عليه"[10]. ويبيّن مالك أنّه لا يحلّ لواحد أن

---

(1) الطبري ، ج٧ ، ص٢٠٨ .

(2) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٢ ، ص٤١١ .

(3) الصفدي ، ج١٦ ، ص٦٠٠ .

(4) البلاذري ، أنساب ، ج٧ ، ص١٩ .

(5) الأصفهاني ، ج١٦ ، ص٩٩ .

(6) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٢١٧ .

(7) ابن عبد ربه ، ج٢ ، ص٧١-٧٢ .

(8) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص١١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٩ ، ص٢٥٩-٢٦٠ ، تهذيب ، ج٣ ، ص١٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص١٤٣ ، ص٤٣٥ . ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٢٣ .

(9) مالك ، المدونة ، ج٥ ، ص٨٦ . الخوارزمي ، ص١٣ . السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ . ابن منظور ، ج١ ، ص٥٤٤ .
- محمد سعيد طالب ، ص١٨٥ .

(10) وكيع ، ج٢ ، ص٢٤٨ .

يضمن لصاحبه ربحاً يأتيه به ، ولا يحل كذلك قراض على ضمان[1]. إلا أن الواقع التاريخي كان مخالفاً ، إذ يروى أن أحدهم قال لزوجته عندما سألته عن ألف دينار منحها إياه الخليفة عمر بن عبد العزيز : "تعطي هذا المال من يتجّر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه"[2]. والمقصود هنا أن تكون الشراكة بالربح دون الخسارة ، وهذا مبدأ عمل البنوك الحالي ، لذا فقد قيل: "المضارب الكيّس إن وجد ربحاً تجر وإلاّ احتفظ برأس المال"[3].

يشترط بالمضارب عدم مخالفة شريكه ، فعن إياس بن معاوية (ت١٢٢هـ) أنه قال: "إذا قيل للمضارب لا تذهب إلى واسط فذهب فهو ضامن والربح بينهما على ما اشترط". وقد اشترط كل من العباس بن عبد المطلب وحكيم بن حزام على من دفعا له مالاً للمضاربة أن لا يسلك به بحراً ، وأن لا ينزل وادياً ، ولا يشتري ذات كبد رطب ، فإن فعل غير ذلك ضمن ، فبلغ هذا إلى الرسول (ص) فاستحسنه[4]. وهذا يبيّن أنّه يحق للتاجر أن يعطي تعليماته للمضارب ، ويشترط عليه ما يريد ، وإذا خالف المضارب ذلك فإنه يتحمل وحده الخسارة. ويستشف من ذلك أن المضاربة كانت نوعين: مضاربة غير مشروطة بأيّ تعليمات ، يقتسم فيها المضارب وصاحب المال الربح أو الخسارة . ومضاربة مشروطة لضمان الربح ، وفي هذه الحالة يستطيع صاحب المال استغلال أيّ مخالفة لتعليماته في حالة الخسارة ليضمن ماله . وربما لا يلتزم المضارب بهذه الشروط ، ويتصرف من تلقاء نفسه بالمال طمعاً بربح أكبر ، مع الأخذ بالحسبان تحمله الخسارة لوحده . ولعل هذا النوع هو الذي كان سائداً في الدولة آنذاك .

علم التجار بمخالفة المضاربين لشروطهم ، وتصرفهم بالمال بعدة طرق ، وهو ما نلمسه من قول التاجر يونس بن عبيد (ت١٣٤هـ) : "بئس المال مال المضاربة ، وهو خير من الدَّين ، ما خط على سوداء في بيضاء قط ، ولا أستطيع أن أقول لمائة درهم أصبتها إنّه طاب لي منها عشرة ، وأيم الله لو قلت خمسة لبررت"[5].

كانت خيانة المضاربين لشركائهم سائدةً ، وهذا ما يظهر من خلال القضايا التي كانت ترفع للقضاء بهذا الشأن . ويذكر أن القاضي شريح بن الحارث (ت٨٢هـ) كان لا يقضي في المضاربة إلاّ قضاءين ، حيث كان يقول لرّب المال : "شاهداك إن أمينك خانك ، وإلاّ

---

[1] مالك ، المدونة ، ج٥ ، ص٨٦ .
[2] الأصفهاني ، ج١ ، ص٢٤٤-٢٤٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢١ ، ص١٥٠-١٥١ .
[3] ابن قتيبة ، المعارف ، ج١ ، ص١٠٩ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص١٣٢ .
[4] السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ .
[5] الأصبهاني ، ج٣ ، ص١٧ .

فيمينه بالله ما خانــك"[1].

وقد درّت المضاربة ربحاً كبيراً ، حيث أعفى العلماء مـــال المضاربـــة مـــن دفـــع العشور[2]، كما أنه ليس للمضارب ولاية أداء الزكاة[3]. وهذا يُفســـّر لنا عمـــل الكثـــير مـــن التجار بالمضاربة ، ومن أشهر هؤلاء : زيد بـــن حارثـــة[4]، وأبو عبيد الأنصـــاري[5]، وأبو معقل الأنصاري[6]، وعثمان بن أبي العاص[7]، وسفيان بن سعيد بن مسروق (ت١٦١هــــــ) الذي كان من أشهر المضاربين في العصر الأموي[8]، وكذلك التاجر يسار بن محدوج (توفـــي في القرن الثاني هــ) الذي تاجر مرة لأحدهم مضاربة في الصين ، وعـــاد إليـــه بســـبعمائة ألف[9].

تشير المصادر إلى استثمار الكثير من الخلفاء والولاة وكبار التجار والنساء أموالـــهم عن طريق المضاربة ، وذلك لأنها تكفيهم مشاق السفر وتُدرّ عليهم ربحاً وافراً . ومن أشهر من عمل بالمضاربة : خديجة بنت خويلد التي كانت تضارب الرجال بمالها بشيء معلـــوم تجعله لهم[10]، وعائشة أم المؤمنين التي كانت تعمل مضاربة بمال الآخرين[11]، وعمر بـــن الخطاب الذي عمل له عدة تجار بالمضاربة ، ومنهم : أبو عبيد الأنصاري[12]، وزيـــد بـــن خليـــدة[13]، وعثمان بن أبي العاص الذي أعطاه عمر بن الخطاب أموال أيتام عنده لحرصـــه الاّ تأكلها الصدقـــة[14]، بمعنى أن عمر تطلع إلى زيادة أموال الأيتـــام وعـــدم خســـرانها ، وبالتالـــي فهو ربما اتبع أسلوب المضاربة المشروطة .

---

(1) وكيـــع ، ج٢ ، ص٣٥٠ .

(2) أبو يوسف ، ص١٣٤ . مالـــك ، المدونـــة ، ج١ ، ص٢٨٠ .

(3) السرخسي ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

(4) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٢٦١ .

(5) ابن قدامة ، ص٣٤٩ .

(6) المصدر السابق ، ص٣٤٢ .

(7) أبو عبيد ، ص٥٤٩ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص٣٥ .

(8) ابن سعد ، ج٧ ، ص٣٧٢ . البلاذري ، ج١١ ، ص٣٢١ . الذهبي ، سير ، ج٧ ، ص٢٢٧ .

(9) وكيـــع ، ج٢ ، ص٨٢ .

(10) ابن هشام ، ق١ ، ص١٨٧-١٨٨ .

(11) السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ .

(12) ابن قدامة ، ص٣٤٩ .

(13) السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ .

(14) أبو عبيد ، ص٥٤٩ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص٣٥ .

واستثمر عثمان بن عفان هو الآخر بعض أمواله بالمضاربة[1]، وكذلك العباس بن عبد المطلب ، وحكيم بن حزام[2]، والحجاج بن يوسف الثقفي الذي أراد مرة أن يدفع للتجار ألـف درهم على أن يردوها له عند نهاية العام ألف ومائتي درهم[3]. وهذا يدل على أنـه يطـالب بالزيادة ولا يشترك بالخسارة .

شاع استخدام **الوكالة** في البيع والشراء في صدر الإسلام ، حيث وكّل الرسول (ص) بلالَ بن رباح بشراء الطعام له ، وبيع الهدايا التي كانت تأتيه[4]، كما وكّل (ص) عمـر بـن الخطاب ببيع حلّة[5]، ووكّل كذلك حكيم بن حزام بشراء شاة له بدينار ، فاشترى واحدة وباعها بدينارين وعاد إلى الرسول (ص) بشاة ودينار[6]، كما وكّل التاجر سعد بن زيد بـن مـالك الأنصاري ببيع سبايا بني قريظة في نجد وشراء الخيل والسلاح[7].

ووكل الخليفة عمر بن الخطاب هو الآخر من يبيع له الغنائم التي تصل إليه[8]، ووكّل قادته ببيع الغنائم التي يصعب نقلها ، كالفيلة التي غنمها المسلمون في المدائن ، واشترط بيعها في أرض المسلمين[9]. وقد وكّل أنس بن مالك ببيع إناء ، فأُعطي به زيادة ، فراجـع عمـر بذلك، فقال له:" أما الزيادة فلا"[10]، وقد وكّل التاجر نافع بن الحرث بشراء دار السجن بمكـة من صفوان بن أمية[11]، كما وكّل عدة تجاربالمتاجرة له بأموال أيتام عنده[12]. وقام الخليفـة عثمان بن عفان بتوكيل أحدهم بشراء سبي له[13]. ووكّل معاوية بن أبي سفيان ـ أثناء ولايته على الشام في العهد الراشديّ ـ رجلاً ببيع إناء فضة[14]، كما وكّل أثناء خلافته من يتاجر لـه

---

[1] مالـك ، المدونـة ، ج٥ ، ص٨٦ . ابن سعد ، ج٣ ، ص٦٠ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠١ . السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ . ابـن منظـور ، ج١ ، ص٥٤٤ .

[2] السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ .

[3] أبو هلال ، ص٩٣ .

[4] أبو داود ، ج٣ ، ص٤٣٩-٤٤٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٤ ، ص٤١٦ .

[5] البخاري ، صحيح ، ج٣ ، ص٨٣ . أبو داود ، ج٤ ، ص٣٢٠ ، ص٣٢١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٢ .

[6] أبو داود ، ج٣ ، ص٦٧٩ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٦٤ . الأصبهاني ، ج٥ ، ص٦٧ .

[7] ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص٢٨٠ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٢٨ .

[8] مالـك ، المدونـة ، ج١ ، ص٢٩١ . أبو عبيد ، ص٣٢٢ . البلاذري ، فتـوح ، ص٤٢٧-٤٢٨ . الدينـوري ، ص١٣٨ . الطبري ، ج٤، ص١١٦-١١٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٧٦ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١١١-١١٢ . ابن خلـدون ، ج٢ ، ص١١٧ .

[9] البلاذري ، فتوح ، ص٤٠٤ .

[10] السرخسي ، ج٤ ، ص٤ .

[11] ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٥٤٥ .

[12] أبو عبيد ، ص٥٤٨ -٥٤٩ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص٣٥ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٤٥ .

[13] المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٧٥ .

[14] الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٧ .

بأصنام ذهبية إلى الهند[1]. وقام الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) بتوكيل والي خراج مصر بشراء فلفلا ليهديه إلى ملك الروم[2]. كما وكّل هشام بن عبد الملك واليه خالد القسري ببيع غلاته[3]، ويبدو أن بعض الولاة قد لعبوا دور الوكلاء للخلفاء في مراكز ولايتهم .

استخدم الولاة وعمال الدولة كذلك الوكلاء للقيام عنهم بالأمور التجارية ، فقد وكّل زياد بن أبيه (٥٣-٥٤هـ) رجلاً من الشام ليتاجر له بستين ألفاً[4]، وأرسل القاضي شريح بن الحارث أحدهم ليشتري له وصيفاً بتسعمائة درهم من نهر بلخ[5]. كما تم استخدام الوكلاء من قبل النساء ، فقد أرسلت زوجة الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) تاجراً لشراء جارية لها[6]، وأعطت امرأة في زمن بني أمية زوجها أربعة آلاف درهم ووكلته بالتجارة لها بها[7]. وكان تجار بغداد في العصر العباسي يرسلون وكلاءهم لشراء غلات السواد من الدولة[8]. ويتضح لنا أن الخلفاء وعمال الدولة والولاة كانوا لا يقومون غالباً بأمور البيع والشراء بأنفسهم ، إنما يعهدون بها للآخرين بسبب عدم تفرغهم التّام للتجارة ، ولعدم قدرتهم على القيام بجميع معاملاتهم التجارية بآنٍ واحد .

ومن ناحية أخرى ، قام التجار بإنشاء فروع تجارية في عدة أمصار في الدولة ، عهدوا بإدارتها إلى الوكلاء ، فكان عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة ، أثناء إقامته باليمن ، يرسل العطر إلى المدينة ، فتقوم أمه أسماء بنت مخرمة ببيعه إلى نساء الأنصار إلى الأعطيات[9]. وعندما فتحت الشام ـ سنة ١٣هـ ـ كان عامر بن أبي ربيعة يرسل إلى عمه في اليمن أثواباً من الغنائم عليها صور مريم وعيسى ، حيث كتب له عمه : "يا ابن أخي ابعث لي من هذه الثياب وأكثر منها فإنها تنفق"[10]. وكان يونس بن عبيد بن دينار العبدي (ت١٣٤هـ) يشتري الحرير من البصرة ويرسله إلى وكيله بالأهواز ، ويبعث له وكيله من

(1) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص١٣٠ .

(2) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٩٩ .

(3) الطبري ، ج٧ ، ص١٥٤ . ابن الأثير ، ج٤ ، ص٢٣٦ .

(4) ابن قتيبة ، عيون ، ج١ ، ص١٧٥ .

(5) وكيع ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

(6) ابن شاكر الكتبي ، ج٤ ، ص٣٢٣ .

(7) المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٨٢٨ .

(8) التنوخي ، ج٣ ، ص٢٠٣ .

(9) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٨٩ . ابن سعد ، ج٨ ، ص٣٠٠-٣٠١ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٩٨-٢٩٩ . الأصفهاني ، ج١ ، ص٧٤ . ابن قدامة ، ص٦٧ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٤٥٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٢٣٢ .

(10) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٠٨ .

عنده بالخز[١]. وكان الوكلاء يوافون التجار كذلك بأحوال الأسواق والأسعار في الأقطار التي ينتشرون فيها ، فيذكر أن أحد وكلاء يونس بن عبيد ذكر له عن غلاء الخزّ والحرير في مكان مرتبطة أسعاره بأسعار البصرة ، فاشترى يونس كميات كبيرة من الخز والحرير في البصرة بقيمة ثلاثين ألفا ، وذلك قبل أن ينتشر فيها خبر غلاء البز والحرير[٢].

وقام غلمان وعبيد التجار بدور الوكلاء في الأمصار الأخرى ، فقد كان للتاجر البصري حسان بن أبي سنان غلام في الأهواز يوافيه بالأمور التجارية ، وقد كتب له الغلام مرة أن قصب السكر أصابته آفة في الأهواز ، فاشترى حسان من رجل بصري السكر وربح فيه ثلاثين ألفاً[٣]. ومن هنا نرى أن وكلاء التجار كانوا ينتشرون بأقطار عديدة ، ويوافون موكليهم التجار بالأسعار وبالنشاط الاقتصادي وبطبيعة الإنتاج الزراعي ، كما كانوا يقومون بتبادل البضائع فيما بينهم ، أي يتولون مسؤولية الاستيراد والتصدير والإشراف على بيع البضاعة .

تولى الوكلاء صرف الصكوك التي يكتبها التجار على أنفسهم ، سواء في نفس البلد أو في الأقطار الأخرى ، فيذكر أحدهم أن تاجراً كتب لمولاه رقعة بمائة ألف وختمها فغدا عليهم الوكيل قائلاً : "ألا توصلون لنا رقعتكم فتقبضون ما لكم قبل أن يفرغ ما عندنا ... فقلت: حميرنا مضعفة احمل لنا منها ثلاثين ألف درهم وندخل الكوفة فنقبض منك الباقي هناك، فقال : وأين تريدون إذا صرتم عن الكوفة ؟ قال : الشام . فمضى ليأتي بالمال فأحضره وقال : يأمركم أبو الهيثم أن تلقوا وكيله في قرية كذا بالشام في هذه الرقعة الأخرى، وقبض الأخرى ومزقها وسلم لنا ثلاثين ألفاً"[٤]. وعندما همّ سعيد بن عثمان بن عفان الخروج من الشام إلى البصرة ، قال له عبيد الله بن أبي بكرة : "هذا كتابي إلى وكيلي بالبصرة فخذه فادفعه إليه ، وخذ ما يعطيك فاستعن بذلك على سفرك"[٥]. وكتب التاجر عبد الله ابن المبارك لوكيله بسبعمائة درهم لصرفها ، فراجعه الوكيل بالمبلغ لتقلص الميزانية قائلاً له : "إن الغلات فنيت"[٦]. وكتب التاجر الكوفي الحسن بن عمارة رقعة بخمسمائة درهم

---

[١] الأصبهاني ، ج٣ ، ص١٥ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٠٥ ، المنتظم ، ج٨ ، ص٢٦ . المزي ، ج٣٢ ، ص٥٢٢ . الذهبي ، سير ، ج٦ ، ص٢٨٩ .

[٢] الأصبهاني ، ج٣ ، ص١٦ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٠٦ . الذهبي ، تذكرة ، ج١ ، ص١٤٥-١٤٦ ، سير ، ج٦ ، ص٢٩٣ . المزي ، ج٣٢ ، ص٥٢٨ . ابن حجر ، تهذيب ، ج١١ ، ص٤٤٤ .

[٣] ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٣٧ ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٥٢ .

[٤] ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٦ ، ص١٤٨ .

[٥] ابن أعثم ، ج٤ ، ص١٨٧ .

[٦] الخطيب البغدادي ، ج١٠ ، ص١٥٩ .

ليصرفها مـن وكيله في الفرات حيث كان متوجها[١].

واعتبر بعض التجار وكلاءهم بمثابة بنوك محلية ، فقد حدث أن افتقر أحد القـراء ، فتوجه إلى سعيد بن العاص الذي حوله إلى وكيله ، فلما توجه إليه قال له الوكيل : "إن الأمير قد أمر لك بشيء فأت بمن يحمله معك ... فأخرج إليه ثلاثة من السودان على رأس كل واحد منهم بَدْرة دراهم"[٢].

عرف عن الوكلاء الغش وسوء الطباع رغم شدة الحاجة إليهم[٣]، فقد غش مرة أحد الوكلاء القاضي شريح بن الحارث واشترى له وصيفاً من الكوفة ، في حين أوصاه أن يشتريه له من نهر بلخ[٤]. وترك أحد التجار التجارة من سوء معاملة الوكلاء ، وقد سأله بعض أولاده في مرضه : "أي شيء تشتهي ؟ قال : كبد وكيل"[٥]. ومع ذلك فقد احتمل الوكلاء الكثير من المصاعب ، فعندما أرسل زياد بن أبيه من يتجر له لقيه أحدهم ، فسايره وقتله وأخذ المال[٦].

حث الرسول (ص) المسلمين على **الاتجار بأموال اليتامى** خوفاً من تناقصها بسبب الزكاة ، فقد رُوي عنه أنه قال : "اضربوا بأموال اليتامى ، واتجروا بأموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة."[٧] وخطب مرة : "ألا من ولي يتيماً له مال فليتجر له فيه ، ولا يتركه فتأكله الصدقة"[٨]. وذكر أن أبا طلحة الأنصاري كان يتاجر لأيتام بالخمر وذلك قبل تحريمها[٩].

وعندما تولى عمر بن الخطاب الخلافة ، شجّع هو الآخر المتاجرة بأموال اليتامى بقوله : "ابتغوا بأموال اليتامى ، لا تذهبها الزكاة"[١٠]. وعندما تولّى مالاً ليتيم قال : "إن تركنا هذا أتت عليه الزكاة" ، وكان يتجر بمال يتيم عنده مدة ثلاث سنين[١١]. كما دفع الخليفة عمر إلى عثمان بن أبي العاص ، أحد كبار تجار البصرة ، عشرة آلاف درهم ليتيم ، فتاجر له بها وعاد إليه بمائة ألف[١٢]. أما ابنه عبد الله بن عمر فإنه كان يتعامل مع أموال اليتامى على أنها دين عليه ، حيث يستلفها ليحرّرها من الهلاك ، ثم يخرج صدقتها من أموالهم وهي دين

---

[١] الخطيب البغدادي ، ج٧ ، ص٣٤٦ . المزي ، ج٦ ، ص٢٧٤ .

[٢] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٩٦-٢٩٧ . ابن كثير ، ج٨ ، ص٨٥ .

[٣] الجاحظ ، رسائل أدبية (رسالة الوكلاء) ، ص٢٣١ .

[٤] وكيـع ، ج٢ ، ص٢٣٣ .

[٥] الجاحظ ، رسائل أدبية (رسالة الوكلاء) ، ص٢٣٠ .

[٦] ابن قتيبة ، عيون ، ج١ ، ص١٧٥ .

[٧] مالـك ، المدونـة ، ج١ ، ص٢٥٠ . أبو عبيد ، ص٥٤٧ . السهمي ، ص١٦٩ ، ص٤٤٨ .

[٨] مالـك ، المدونـة ، ج١ ، ص٢٥٠ . أبو عبيد ، ص٥٤٧ .

[٩] الترمذي ، ج٢ ، ص٣٨٠ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٦٣ .

[١٠] مالـك ، المدونـة ، ج١ ، ص٢٥١ . أبو عبيد ، ص٥٤٧ ، ص٥٤٩ .

[١١] أبو عبيد ، ص٥٤٩ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٤٥ .

[١٢] أبو عبيد ، ص٥٤٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص٣٥ ، " يرد فيه أن عمر أعطى الأموال للحكم بن أبي العاص " .

عليه[1]. وهذا باب كان يُدرّ ربحاً كبيراً على التجار الذين يتاجرون بأموال اليتامى على طريقة عبد الله بن عمر .

شارك التجار بعضهم البعض في العمل التجاري ، فقد كان أبو بكر الصديق شريكاً لحكيم بن حزام بالتجارة قبل الإسلام[2]. وكان ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب شريكاً لعثمان بن عفان[3]. وقد استمرت المشاركة التجارية بعد الإسلام ، فيقول السائب بن شريك أن الرسول (ص) كان شريكاً لوالده في تجارة الأدم[4]. وكان طلحة بن عبيد الله يتاجر في البحر مع شريكه سعيد بن زيد بن عمرو[5]، أما عبد الرحمن بن عوف فقد كان له عدة شركاء ، منهم رباح بن المغترف[6].

وشارك التجار الموالي بعضهم البعض في الدولة الأموية ، ومن بينهم التاجران عبدة ابن لبابة وشريكه الحسن بن الحر ، اللذان كانا يسافران معاً في تجارتهما[7]. وكذلك سويد بن قيس وشريكه في تجارة البزّ مخرمة العبدي[8].

وانتشر التجار الشركاء في الأقطار المختلفة ، وكانوا يجتمعون كل سنة للمحاسبة ، مثل حسان بن سنان البصري الذي أقام بالأهواز وكان له شريك يقيم بالبصرة[9]. كما كان سفيان بن سعيد الثوري (ت١٦١هـ) يلتقي بشركائه كل عام بالموسم[10].

لم يقف الإسلام عائقاً أمام مشاركة المرأة للرجل بالتجارة ، فقد أباح هذه الشراكة[11]، كما أباح مشاركة المسلمين لأهل الذمة ، بشرط عدم تفردهم بالبيع والتجارة في أسواق المسلمين[12]. وكان هذا سبباً في ظهور نوع جديد من الشراكة الاسمية بينهم وبين المسلمين ، فقد طلب أعجمي من عثمان بن عفان بأن يتاجر بالبز تحت اسمه مقابل نسبة من الربح يدفعها

---

(1) أبو عبيد ، ص٥٤٩ .

(2) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٥٣ .

(3) المصدر السابق ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٢٨ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص١٦٦ ، ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٥٠٦ .

(4) السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٤٦ . الديار البكري ، ج١ ، ص٤٠٤ .

(5) يحي بن معين ، ج٢ ، ص٢٠٧ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٥ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٤ ، ص٣٤ ، ج٧ ، ص٧٥ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٣٦ . المنتظم ، ج٣ ، ص٩٧ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص١٣٥-١٣٦ . ابن كثير ،ج٧ ،ص٢٤٧ .

(6) البلاذري ، أنساب ، ج١١ ، ص٥٩ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٥٠٢ .

(7) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٣ ، ص٥٨ ، تهذيب ، ج٤ ، ص١٦٣ . المزي ، ج١٨ ، ص٥٤٣ . الذهبي ، سير ، ج٥ ، ص٢٢٩ .

(8) أبو داود ، ج٣ ، ص٦٣١ .

(9) الأصبهاني ، ج٣ ، ص١١٦ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٣٨ .

(10) ابن سعد ، ج٧ ، ص٣٧٢ . الأصبهاني ، ج٦ ، ص٣٨٠ .

(11) مالك ، المدونة ، ج٥ ، ص٧٠ .

(12) المصدر السابق . وكيع ، ج١ ، ص٣٤٠-٣٤١ . السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٢٥ .

له ، وذلك تحايلاً على الأمر الذي أصدره عمر بن الخطاب بعدم انفراد غير المسلمين بالتجارة[1]. وعليه يمكن القول أن الشراكة في التجارة قوّت أواصر العلاقات الاجتماعية بين مجتمع التجار، سواء كانوا مسلمين رجالاً أو نساء ، أو مسلمين مع أهل الذمة ، أو مع أهل الحرب .

ساد **استقراض التجار من بعضهم البعض** ، فقد استقرض الزبير بن العوام مائة ألف من حكيم بن حزام[2]، وأربعمائة ألف من عبد الله بن جعفر[3]. وورد في بعض الروايات أن عبد الله بن الزبير طالب عبد الله بن جعفر بعد وفاة والده بألف ألف درهم مدعياً أنه وجد هذا الدين في كتب والده ، لكنه فيما بعد عدل عن ذلك ، حيث قال لابن جعفر : "إنما وهمت ، المال لك". وأعطاه بدلاً منه أرضا خربة[4]. وأرسل الزبير إلى سعيد بن العاص يسأله قرض مائة ألف درهم ، فلما قُتل الزبير قال ابنه عبد الله لسعيد : "اقبض مالك فإنه بخواتيمه" ، فلما همّ سعيد بأخذه ، طلب منه عبد الله أن يدعه[5]. وأرسل مرة الخليفة عمر بن الخطاب إلى عبد الرحمن بن عوف ليستقرض منه أربعمائة ، أو أربعة آلاف ، درهم[6]. وأقرض عثمان بن عفان زميله طلحة بن عبيد الله خمسين ألفاً ، ثم سامحه فيها قائلاً : "هو معونة لك على مروءتك"[7]. كما أقرض الخليفة عثمان بن عفان المقداد بن الأسود سبعة آلاف درهم[8]. وكان التاجر حبيب بن محمد العجمي يستلف الأموال من زملائه التجار[9]. والسؤال الذي يعرض نفسه ولا نجد في المصادر جواباً عليه : هل دفع هؤلاء التجار فائدة على الأموال التي كانوا يستلفونها ؟!

---

(1) مالك ، الموطأ ، ص٢٨٣ .

(2) ابن كثير ، ج٨ ، ص٦٩ .

(3) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٤٣١ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٧١ . المزي ، ج٧ ، ص١٨٧-١٨٨ .

(4) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ، ص٢٧٣ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٣٣٥ .

(5) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٣٥ .

(6) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٧٨ . أبو عبيد ، ص٣٤١-٣٤٤ . ابن قتيبة ، عيون ، ج٣ ، ص٣٥٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣١٥ . المتقي الهندي ، ج١٢ ، ص٦٥٧ .

(7) الطبري ، ج٤ ، ص٤٠٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٣ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٥ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ،ص٩٣ .

(8) المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٨٣٨-٨٣٩ .

(9) الأصبهاني ، ج٦ ، ص١٥٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢ ، ص٥٥ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٣٥ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣١٨ .

الفصل الثالث



١ـ حاول الرسول (ص) منذ بداية دعوته استقطاب كبار التجار للدخول في الإسلام، وتمنى ذلك بقوله : "اللهم أعزّ الإسلام بأحد العمريين ، عمر بن الخطاب أو عمر بن هشام"[١]. وأبدى في مجالسه اهتماماً بكبار التجار أكثر من عامة الناس ، ممّا كان سبباً في نزول الآيات: "عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى، أما من استغنى فأنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى، وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تلهى"[٢].

وقد نجحت محاولات استقطاب التجار إلى الدعوة الإسلامية في إسلام عدد من تجار مكة على يد أبي بكر الصديق (ت١٣هـ) وهم : عبد الرحمن بن عوف (ت٣٢هـ) ، وعثمان ابن عفان (ت٣٥هـ) ، والزبير بن العوام (ت٣٦هـ) ، وطلحة بن عبيد الله (ت٣٦هـ)، وسعد ابن أبي وقاص (ت٥٦هـ)[٣]. ويروى عن الرسول (ص) قوله أثناء مسيره لفتح مكة : "إن بمكة لأربعة نفر من قريش أرغب لهم بالاسلام : عتاب بن أسيد ، وجبير بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وسهيل بن عمر"[٤]. وهم من كبار تجار مكة وأثريائها .

وقد بشر الرسول (ص) عشرة من تجار مكة بالجنّة لقاء ما قدّموه من خدمة للإسلام والمسلمين ، وهم: أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعيد بن زيد[٥]. ودعا الرسول (ص) لمجموعة من التجار بالتوفيق والبركة في أعمالهم التجارية ، مثل :عبد الرحمن بن عوف[٦]، وحكيم بن حزام (ت٥٤هـ)[٧]، وعبد الله بن جعفر (ت٨٠هـ)[٨]، وعمرو بن حريث (ت٨٥هـ)[٩]، وعروة

---

(١) ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٥٣ .

(٢) سورة عبس ، الآيات رقم : ١-١٠ .

(٣) ابن سعد ، ج٤ ، ص٢٠٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٣٤٨ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٨ ، ص٣٤٠ . ابن اسحق ، ص١٤٠ . ابن هشام ، ق١ ، ص٢٥١-٢٥٢ . المسعودي ، مروج ، ج١ ، ص٥٧٠ ، ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٠ ، ص٣٦ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٢١٤ . الكامل ، ج٢ ، ص٣٩ . ابن كثير ، ج٢ ، ص٩٠ ، ج٣ ، ص٢٩ .

(٤) المزي ، ج٧ ، ص١٨٢ .

(٥) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٧ ، ص١١٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٤-٣١٥ .

(٦) ابن كثير ، ج٦ ، ص١٦٦ .

(٧) أبو داود ، ج٣ ، ص٦٧٩ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٦٤ . الأصفهاني ، ج٥ ، ص٦٧ .

(٨) الأصفهاني ، ج١٢ ، ص٢١٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ، ص٢٦٠ . النويري ، ج١٨ ، ص٣٣٤ . اليافعي ، ج١ ،ص٣٥ . ابن كثير ، ج٩ ، ص٣٣ .

(٩) ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٩٧-٩٨ .

ابن الجعد المازني[1]، وعبد الله بن هشام[2]، والمقداد بن الأسود[3].

ومن صور تقدير الرسول (ص) للتجار أنه طلب من شاعره حسان بن ثابت أن يمدح طلحة بن عبيد الله وأن يقول فيه شعراً [4]، وأطلق الرسول (ص) عليه عدة ألقاب، مثل: طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود[5]. ويتجلى موقف الرسول (ص) الداعم لكبار التجار بعد دخوله مكة، حيث نادى في سكانها :" من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن"[6]. كما رخّص الرسول (ص) للزبير بن العوام، ولعبد الرحمن بن عوف بلبس الحرير[7].

أقام الرسول (ص) علاقات جيدة مع كبار تجار قريش المشركين، فقد بعث مالاً لأبي سفيان بن حرب (ت٣٢هـ) ليوزعه على فقراء قريش[8]. وعندما شهدت مكة شبه مجاعة عام ٧هـ، بسبب أزمة مالية حلت بها، أرسل ذهباً لتجارها ليقوموا بتوزيعه بين الناس، مثل: صفوان بن أمية (ت٣٦هـ) وسهيل بن عمرو اللذان رفضاه، بينما قبله أبو سفيان[9]. وعندما فتح الرسول (ص) مكة رفض صفوان بن أمية دخول الإسلام كغيره من التجار الكبار، فأعطاه الرسول (ص) مهلة أربعة شهور للتفكير في الأمر ولم يقتله[10]، كما قام باستلاف أسلحة وأموالاً منه أثناء هذه المهلة وذلك قبيل غزوة حنين ثم ردها له[11].

وقد قدّم التجار المسلمين دعماً اقتصادياً كبيراً للدّعوة الإسلامية، حيث أنفقت خديجة

---

(1) الترمذي، ج٢، ص٣٦٥. وكيع، ج٢، ص١٨٧. النويري، ج١٨، ص٣٣٤. اليافعي، ج١، ص٣٥. ابن كثير، ج٦، ص١٦٦. يقول :" لقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً ".

(2) ابن كثير، ج٦، ص١٦٦ :" عن أبي عقيل أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق فيشتري الطعام فيلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان : أشركنا في بيعك فإن الرسول عليه السلام دعا لك بالبركة فيشركهم ".

(3) اليافعي، ج١، ص٣٥.

(4) ابن عساكر، تهذيب، ج٧، ص٨٥. قال فيه حسان :

وطلحة يوم الشعب آسى محمدا	على ساعة ضاقت عليه وشقّت
يقيه بكفه الرماح وأسلمت	أساجعه تحت السيوف فشلت

(5) ابن الجوزي، صفة، ج١، ص٣٣٧. ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٢٢٩. الديار البكري، ج٢، ص٢٧٩.

(6) الطبري، ج٣، ص٥٥. ابن الأثير، ج٢، ص١٦٦. المزي، ج٧، ص١٨٤.

(7) ابن سعد، ج٣، ص١٣١. البخاري، صحيح، ج٤، ص٥٠. أبو داود، ج٤، ص٣٢٩. الترمذي، ج٣، ص١٣٣. النويري، ج١٠، ص١٧٧.

(8) ابن حجر، الإصابة، ج٦، ص٤٦.

(9) اليعقوبي، تاريخ، ج٦، ص٤٦.

(10) البلاذري، أنساب، ج١، ص٣٦٢. الطبري، ج٣، ص٦٣.

(11) أبو داود، ج٣، ص٨٢٤. ابن هشام، ق٢، ص٤٤٠. البلاذري، أنساب، ج١، ص٣٦٢، ص٣٦٣، ج١٠، ص٢٤٦. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٥١. الطبري، ج٣، ص٧٣. ابن عساكر، تاريخ، ج٢٤، ص١١٤، تهذيب، ج٦، ص٤٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٧٨. النويري، ص١٧، ص٣٢٦. ابن كثير، ج٤، ص٣٢٤.

بنت خويلد ـ زوج الرسول (ص) ـ مالها عندما حاصرت قريش المسلمين بالشعب ثلاث سنوات[1]، واشترى ابن أخيها التاجر حكيم بن حزام العير القادمة من الشام والمدينة ومدّ المسلمين بما حملته من طعام ، ولما اعترض أبو جهل على ذلك قال له البختري بن هشام ابن الحارث بن أسد أحد أشراف قريش :" طعام لعمّته عنده بَعَثَتْ إليه فيه "[2]. وكان الرسول (ص) يذكر فضلها وإعانتها له[3].

كما ساهم أبو بكر الصديق في دعم الإسلام ونشره ، حيث أسلم وله أربعون ألفاً أنفقها كلّها في سبيل الله[3]. وعندما خرج إلى الغار حمل معه خمسة آلاف درهم ، كل ما تبقى من ماله آنذاك[4].واشترى الراحلتين اللتين هاجر عليهما مع الرسول (ص) من مكة إلى المدينة بثمانمائة درهم[5]. وأخذ منه الرسول (ص) أيضاً خمسمائة درهم لحمل ابنتيه فاطمة وأم كلثوم من مكة إلى المدينة[6].كما تصدق أبو بكر بماله عندما حث الرسول (ص) المسلمين على التصدق[7]، واشترى الأكسية وفرّقها على أرامل أهل المدينة في الشّتاء[8]. وأعتق الكثير من الإماء والعبيد ممن اعتنقوا الإسلام[9]. وقال الرسول (ص) معترفاً بفضله : "ما نفعني مال أحد ما نفعني مال أبي بكر"[10]، وأضاف : "سيأتي يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة قوائمها من المسك والعنبر"[11].

---

(1) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٥ .

(2) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٣٥ . الطبري ، ج٢ ، ص٣٣٦ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١٠٤ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٤١٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٧١ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٦٠ . المزي ، ج٧ ، ص١٧٩ . ابن كثير ، ج٨ ، ص٦٨ .

(3) الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص١١٠ .

(3) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٦١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٠ ، ص٦٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٦١ .ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٩٠ . الصفدي ، ج١٧ ، ص٣٠٧ .

(4) البلاذري ، أنساب ، ج١، ص٢٦١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥، ص١٠٤، تهذيب ، ج٤ ، ص٤١٧. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٦١ .

(5) الطبري ، ج٣ ، ص١٧٥ . ابن كثير ، ج٣ ، ص١٧٧ .

(6) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٦٩ .

(7) الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ،ج٣٠، ص٦٤ . ابن الاثير ،أسد،ج٣ ،ص٢١٨.اليافعي،ج١،ص٦٨ .

(8) ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٩٠ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٦١٤-٦١٥ .

(9) انظر حول هؤلاء والعبيد والإماء : البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٦٢ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٢٤٢ ، المنتظم ، ج٤ ، ص٦١ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٤٦-٤٧ . الصفدي ، ج١٧ ، ص٣٠٧ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٥٨ .
ـ محمود شاكر ، ص٣٧ .

(10) الخطيب البغدادي ، ج٨ ، ص٢١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٤ ، ص٥٨ . ابن الأثير ،أسد،ج٢ ، ص٥٤ ، ج٣ ، ص٢١٨ . الصفدي ، ج١٧ ، ص٣٠٧ . اليافعي ، ج١ ، ص٦٨ .
ـ محمود شاكر ، ص٣٦ .

(11) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٠ ، ص١١١ .

وكان لعمر بن الخطاب أربعة آلاف فرس "موسومة في سبيل الله يعطيها لمن في عطائه خفة أو من كان محتاجاً "[١]. وتبرع بنصف ماله عندما حث الرسول (ص) المسلمين على التصدق[٢].

وقد تعددت مساهمات عثمان بن عفان ودعمه للإسلام والمسلمين ، حيث أنفق ماله في مكة في الرقاب وإعانة الفقراء ، ولم يكن معه عند هجرته إلى المدينة إلا سبعة آلاف درهم فقط[٣]. واشترى للمسلمين في المدينة بئراً تدعى بئر رومة بعدما ذكر الرسول (ص) أن ثمنها عين في الجنة[٤]. وعندما قال الرسول (ص) : "من يُوَسّع لنا بهذا البيت في المسجد ببيت له في الجنة" ، تقدم عثمان واشترى مربداً بعشرين ألفا ، وقيل بخمسة وعشرين ألفا ، وزاده في المسجد[٥]، وقد كان يصل بيوت الرسول (ص) بالطعام[٦].

واعتبر عبد الرحمن بن عوف من أكثر الصحابة دعماً للإسلام والمسلمين ، فقد حثه الرسول (ص) على ذلك بقوله : "يا ابن عوف إنك من الأغنياء ، ولن تدخل الجنة إلا زحفاً ، فأقرض الله يطلق قدميك" . ولما سأل عبد الرحمن كيف ، قال له الرسول (ص) : "تبرّأ ممّا أمسيت فيه " . ويروى أن عبد الرحمن عندما همّ بذلك جاء جبريل عليه السلام إلى الرسول (ص) ، وقال له : "مُر ابن عوف فليُضف الضيف ، وليطعم المسكين ، وليعط السائل ، فإن فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه "[٧]. وقد قسّم عبد الرحمن أجزاء من ماله أربع مرات ، فتصدق بالمرة الأولى بأربعة آلاف دينار[٨]، وفي المرة الثانية بأربعة آلاف أخرى ، وفي المرة الثالثة بستة عشر ألف دينار ، وفي المرة الرابعة باثنتي وثلاثين

---

[١] أبو يوسف ، ص٤٨ .

[٢] الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٠ ، ص٦٤ . ابن الأثير ، أسد ،ج٣ ،ص٢١٨.النويري ،ج١٩ ، ص١٥ . اليافعي ، ج١ ، ص٦٨ .

[٣] البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٦١ .

[٤] البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٥٣٦ ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٨٨ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٢٢١ . الأصفهاني ، ج١ ، ص٥٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٠١ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص١٩٠-١٩١ ، ج٣ ، ص٣٨٠ . النويري ، ج١٩ ، ص٤٠٣ . المزي ، ج١٩ ، ص٤٥٠ . اليافعي ، ج١ ، ص٩٣ . ابن بطوطة ، ص١٤٥ . هي بئر ليهودي يدعى رومة الغفاري كان يبيع ماءها إلى المسلمين ، وعندما قدم المهاجرون إلى المدينة افتقدوا الماء ، فاشتراها عثمان بن عفان .

[٥] ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٠١ . البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٨٨ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٢٢١ . النويري ، ج١٩ ، ص٤٠٤ . المزي ، ج١٩ ، ص٤٥٠ .

[٦] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٩١ .

[٧] ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣١-١٣٢ . الأصفهاني ، ج١ ، ص٩٩ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٨١ . المتقي الهندي ،ج١١،ص٧١٥ .

[٨] الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٩ . السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٥٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٣ . المزي ، ج١٧ ، ص٣٢٧ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٨١ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٣ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٦ ، ص٢٤٥ .

ألف دينار[1]. كما باع سهمه من بني النضير بأربعين ألف دينار ، فقسمها في بني زهرة وفي فقراء المسلمين وأمهات المؤمنين ، فروت عائشة أن الرسول (ص) قال : "لن يحنو عليكن بعدي إلا الصالحون" ، وقالت : "سقى الله ابن عوف سلسبيل الجنة"[2]. وقدِمَ لعبد الرحمن بن عوف ذات مرة سبعمائة راحلة من الشام تحمل البرّ والدقيق والطعام ، فلما علمت بها عائشة قالت :"سمعت رسول الله (ص) يقول : يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبواً ". فلما بلغ ذلك عبد الرحمن " تبرع بها كلها بأحلاسها وأقتابها "[3]. كما جاءته من مصر مائة راحلة فتصدق بها على أرامل المدينة[4]، ويقال أنه أعتق ثلاثين ألف بيت[5]، وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله[6]، وبحديقة لأمّهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف[7].

وقدّم التاجر طلحة بن عبيد الله كثيراً من أمواله لدعم الدعوة الإسلامية الناشئة وأفرادها، خاصة المهاجرين منهم ، وقد أكثرت المصادر من الأمثلة على ذلك ، فيروى أنه قَسّم بين المهاجرين والأنصار سبعمائة ألف درهم جاءته من حضرموت[8]، وقسم خمسمائة ألف أخرى جاءته من العراق[9]، وقسم كذلك أربعمائة ألف أخرى[10]، وقسم أيضاً ثمن أرض كانت له فباعها بسبعمائة ألف درهم[11]، وضيعَة باعها بخمسة عشر ألف درهم[12]، كما تصدق بمائة ألف مما حبسه تقسيمها عن الذهاب إلى المسجد[13]. وكان يرسل إلى عائشة

---

(1) السرخسي ، ج١ ، ص٢٥٤ .

(2) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٢-١٣٣ ، ج٢ ، ص٢١١ . الترمذي ، ج٥ ، ص٣١٢ . الأصبهاني ، ج١ ،ص٩٨-٩٩.البكري،ج٤ ، ص١١٤٥ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٣ ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٤ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٨١ . اليافعي ، ج١ ، ص٨٦ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٦ ، ص٢٤٥ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٦٥ . ابن العماد الحنبلي ، ج١ ، ص١٩٤ .

(3) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٢ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ . اليافعي ، ج١ ، ص٨٦ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٤ .

(4) الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٩ . السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٥٤ .

(5) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٩ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٤ .

(6) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٧ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٩٠ .

(7) الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٨٥ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٤ .

(8) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٩٩ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٠ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٠-٣١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٧٩ .

(9) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٢ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٥ .

(10) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١١٧ . ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠٠. ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٠ ، المنتظم ، ج٥ ، ص١١٣ . الزبيدي ، ج٥ ، ص٧١ .

(11) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢٠-٢٢١ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص١٠١ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٠ .

(12) المبرد ، ج١ ، ص١٤٩ .

(13) ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٤ .

سنوياً عشرة آلاف درهم من غلته[1]. واشترى بئر ماء تصدق به على الناس[2].

وهناك تجار آخرون ساهموا بالدعوة وبناء الدولة الإسلامية ، ومن بينهم الزبير بن العوام الذي كان له ألف مملوك يؤدون له الخراج فما يدخل بيته من خراجهم درهماً[3]، وانفق مرة ستمائة ألف ثمن دار باعها في سبيل الله[4]. وأعتق التاجر العباس بن عبد المطلب عند وفاته سبعين ألف مملوك[5]. وقام الحجاج بن علاط بن خالد ببناء مسجد في المدينة عندما تحول إليها[6]. وتصدق أبو طلحة الأنصاري (ت٣٤هـ) أحد تجار المدينة بأرض له تقع مقابل المسجد ، وقد كانت أحبّ أمواله إليه ، وذلك بعد نزول آية : "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون"[7].

ولعب التجار دوراً في دعم الدولة عسكرياً بعد أن حَضّهم الرسول (ص) على النفقة في سبيل الله[8]، وقال : "من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف"[9]، وقال أيضاً : "من جَهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا "[10]. وقد اعتمد على كبار تجار مكة في تجهيز غزوة حنين ، حيث استقرض من حويطب بن عبد العُزّى العامري (ت٥٤هـ) أربعين ألف درهم[11]، ومن نوفل بن الحارث (ت١٥هـ) ثلاثة آلاف رمحاً[12]، وأخذ كذلك من عبد الله بن ربيعة بن المغيرة أربعين ألفاً وأسلحة[13]، كما استلف

---

(1) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٢١ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨٥ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٣٣ . الصفدي ،ج١٦ ،ص٤٧٧ .

(2) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص١١٩ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٨١ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٢١ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٢٢٩ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٤٧٥ . الزبيدي ، ج٥ ، ص٧١ .

(3) الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص١٩٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٦ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص١٩٨ ، النويري ، ج٢٠ ، ص٩١ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٥٦ . الصفدي ، ج١٤ ، ص١٨٢-١٨٣ . ابن كثير ، ج٧ ، ص٣٥١ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٣ ، ص٣١٩ . الديار البكري ، ج١ ، ص١٧٢ .

(4) ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٧ .

(5) ابن سعد ، ج٤ ، ص٣٠ .

(6) ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص٣٨٣ .

(7) الدارمي ، ج١ ، ص٣٩٠ .

(8) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٥ ، ص٥٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٩٠ .

(9) الترمذي ، ج٣ ، ص٩٠ .

(10) المصدر السابق ، ج٣ ، ص٩٢ .

(11) البلاذري ، ج١ ، ص٣٦٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص٣٥٩ ، تهذيب ، ج٥ ، ص١٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٧٥ . ابن كثير ، ج٨ ، ص٦٩ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٣٦٤ .

(12) ابن كثير ، ج٧ ، ص٦٢ .

(13) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٨٦٣ . البلاذري ، ج١ ، ص٣٦٣ . المتقي الهندي ، ج٦ ، ص٢٥٠ .

من الحارث بن ربيعة المخزومي ثلاثين ألفاً وأسلحة ، وردّها بقوله : "إنّما جزاء السلف الوفاء والحمد "[1]، وطلب من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم[2]، ومائة درع[3].

وتكفّل التجار تجهيز جيش العُسرة في غزوة تبوك ، فيُروى أن عثمان بن عفان جَهّز ثلث الجيش أو أكثر[4]، وقيل نصفه[5]، وقدم سبعين ألف درهم[6]، وقيل ألف دينار في روايات أخرى[7]، وقدم كذلك أكثر من سبعين فرساً وألف بعير[8]. كما قدّم أبو بكر الصديق كل ماله البالغ أربعة آلاف درهم[9]، في حين قدم عمر بن الخطاب نصف ماله[10] والبالغ حوالي مائة أوقية[11]، وقدم عبد الرحمن بن عوف مائتي أوقية[12]، وساهم العباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله وسعد بن عبادة (ت١٤هـ) بتجهيز هذا الجيش[13].

تولت مكة قيادة القوافل التجارية العربية المنطلقة من الجزيرة العربية نحو خارجها ، وقد ربطت مكة مصلحتها الاقتصادية مع مصالح القبائل العربية المختلفة بواسطة الإيلافات[14]. وتمركزت العلاقات التجارية المكية بشكل كبير مع بلاد الشام[15]، بالإضافة

---

(1) الأصبهاني ، ج٨ ، ص٣٧٥ . ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص٣٢٨ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٢٧٨ .

(2) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٦٣ .

(3) أبو داود ، ج٣ ، ص٨٢٤ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٦٢ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ،ص٥١ . الطبري ، ج٣ ، ص٧٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٤ ، ص١١٤ ، تهذيب،ج٦،ص٤٣٠. ابن الأثير ، الكامل ،ج٢،ص١٧٨. ابن كثير ،ج،٤، ص٣٢٤ .

(4) الواقدي ، المغازي ،ج٣ ،ص٩٩١ . البلاذري ،أنساب ،ج١ ، ص٣٦٨ . ابن عساكر ، تاريخ ،ج٢ ، ص ٣٥،تهذيب ،ج١، ص١١١ .

(5) ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٠١ .

(6) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٦٨ ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٩٤ .

(7) الأصبهاني ، ج١ ، ص٥٩ . المزي ، ج١٥ ، ص٤٤٠ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٤ . ابن العماد الحنبلي ، ج١ ، ص١٨١ .

(8) الأصبهاني ، ج١ ، ص٥٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٠١-٣٠٢ . المزي ، ج١٩ ، ص٤٥٠ . اليافعي ، ج١ ، ص٩٤ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٤ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٤٩ . ابن حجر ، تهذيب ،ج٧ ،ص١٤١.ابن العماد الحنبلي ،ج١ ، ص١٨١ .

(9) الواقدي ، المغازي ،ج٣ ،ص٩٩١. البلاذري ، أنساب ،ج١ ،ص٣٦٨ . ابن عساكر، تاريخ ،٢،ص٣٥، تهذيب ،ج١،ص١١١ .

(10) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١١ .

(11) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٨ ، تهذيب ، ج١ ، ص١٠٦ . المتقي الهندي ، ج١٠ ، ص٥٦٣ .

(12) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٨ ، ص٣٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص١٠٦ ، ص١١١ . المتقي الهندي ، ج١٠ ، ص٥٦٣ .

(13) الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١١ .

(14) حول هذه الإيلافات مع الشام واليمن والعراق وتجديدها ، أنظر : ابن حبيب المنمق ، ص١٦٣ .البلاذري ،أنساب ،ج١،ص٥٩ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٢٥ . الطبري ، ج٢ ، ص٢٥٢ ، أبو هلال ، ص١٣ ، ص٢٩٨-٢٩٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢ ، ص٢١٢ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٠ . ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٥٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص١٨٩-١٩٠ . وعن مكة وتجارتها والدعوة الإسلامية أنظر كذلك :
Crone, P . , P . ١٠ ff . Serjeant , R. , P . ٤٧٢-٤٨٦ . Simon , R. , P . ١٢٠ ff .

(15) ابن سعد ، ج١ ، ص٧٨ . ابن حبيب المحبر ، ص١٠٣ . البخاري ، ج٣ ، ص١٥١ .ابن عبد الحكم (عبد الرحمن)،فتوح مصر ، ص٥٣-٥٥ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٥٨ ، ص٦٤ . الطبري ، ج٢ ، ص٢٤٧ ، ص٢٥٢ ، ص٤٣٠ .ابن كثير ،ج٢ ، ص٢٥٣ . المقريزي ، ج١ ، ص١٥٨-١٥٩ .

إلى الطائف[١]، والمدينة[٢]. وعندما هاجر الرسول (ص) إلى المدينة وبدأ مع أنصار دعوته في تأسيس نواة الدولة الإسلامية ، أخذ المهاجرون والأنصار يتولون قيادة العمليات التجارية ، وبدأت فعالياتهم تزداد يوماً بعد يوم أمام تراجع الفعاليات التجارية لمكة ، وخاصة بعد أن ضرب المسلمون طرقها التجارية ، وتشهد مسيرة عبد الرحمن بن عوف التجارية في المدينة ذلك ، إذ عمل بالتجارة برأس مال قليل جداً وما لبث بعد فترة أن صار يمتلك قوافل تذهب وتجيء إلى الشام ومصر[٣].

أصبحت المدينة منذ أن هاجر الرسول (ص) والمسلمون إليها مركزاً تجارياً هاماً بعد أن كانت نقطة مرور للقوافل التجارية ، حتى أن اهتمام المسلمين بالتجارة والقوافل التجارية فاق اهتمامهم بالشعائر الدينية[٤]. ونشطت كذلك تجارة الخمر في المدينة قبل نزول تحريمها[٥]، وأخذ كبار التجار المسلمين يخرجون في قوافل تجارية لبلاد الشام[٦]، مثل : طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد[٧]، وأبو بكر الصديق[٨]، وعبد الرحمن بن عوف[٩]، وزيد بن حارثة[١٠]. كما نشط أهل الذمة بتجارتهم من الشام إلى المدينة المنورة[١١]، وأصبحت المدينة محط أنظار التجار الأنباط يأتونها من بلاد الشام بمختلف

---

(١) ابن سعد ، ج٢ ، ص١٠-١١ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٧٢ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٨ . الطبري ، ج٢ ، ص٤١١-٤١٢ . المسعودي ، تنبيه ، ص٢٠٣ . أبو هلال ، ص٨٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٩٣ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٧٩-٨٠ ، الكامل ، ج٢ ، ص٧٩ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٤٩ .

(٢) الطبري ، ج٢ ، ص٥٣٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٥ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٥٠ .

(٣) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٢٥ ، ص١٣٢ . البخاري ، ج٣ ، ص٦٨-٦٩ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٨-٩٩ . السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٥٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٢ ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣٣ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ .الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٩١ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٤ .

(٤) البخاري ، ج٣ ، ص٧١ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٦٤٨ .

_ سعيد الأفغاني ، ص١٣١ .

(٥) ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٢٥٨ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٣٠٩ .

(٦) ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣٧٠ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٣٤١ .

(٧) المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٦٠ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٧٥ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٢٥ . ابن كثير ، ج٧ ، ص٢٤٧ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٢٢٩ .

(٨) ابن قتيبة ، عيون ، ج٣ ، ص٣١٦ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٢ ، ص١٦١ ، ج٣٠ ، ص٥ ، تهذيب ،ج٦ ،ص٢٤٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٣٦ . المزي ، ج٣١ ، ص١٣٤ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٣٤١ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٣١ .

(٩) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٢ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ . اليافعي ، ج١ ، ص٨٦ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٦٤ .

(١٠) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٥٦٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٢٦١ .

(١١) ابن قدامة ، ص٢٠٠ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٣٤٠ .

البضائع[1]. وتشير المصادر إلى نشاط كل من دحيه بن خليفة الكلبي[2]، وتميم الداري (ت٤٠هـ)[3]، وميمون البلقاوي[4].

استغل اليهود هذا التغيير السريع وقاموا بتنشيط تجارتهم في المدينة المنورة والحجاز، خاصة في مجال تجارة البز[5] والطعام والتمور[6] والشعير[7]. حتى أن كبار تجار الإسلام مثل عثمان بن عفان كان يشتري من سوق بني قينقاع التمر ويبيعه في سوق المدينة للمسلمين[8]. ولذلك اتخذ الرسول (ص) إجراءات داعمة لهذا التغيير ، حيث فرض للمدينة المنورة حرمة وأمنا مثل حرم وأمن مكة ، وأعفى فيها التجارة من الخراج أو الضرائب ، وهو ما يشبه اليوم بالسوق الحرة[9]. وقد واصل أبو بكر الصديق دعم دور المدينة التجاري ، وهو أمر سار عليه أيضا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، حتى أنه أمر بحفر خليج أمير المؤمنين لربط نهر النيل مع البحر الأحمر ، وذلك بهدف زيادة التبادل التجاري بين مصر والمدينة المنورة[10].

٢ـ تقع مكة في واد غير ذي زرع ، في نقطة التقاء عدة طرق تجارية محلية وعالمية، وعمل معظم سكانها في التجارة وقاموا بتنمية أموالهم من خلالها ، واعتمدوا في

---

(1) مالك ، الموطأ ، ص١١٦ . ابن سعد ، ج٥ ، ص٥٨ . أبو عبيد ، ص٦٤١ . البخاري ، ج٣ ، ص١١٤ . البلاذري ، أنساب ، ج١، ص٢٧٨ . الأصبهاني ، ج٦ ، ص١٠٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٤ ، ج٢٠ ، ص١٠٧ ، ج٢٣ ، ص٢٠٣ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١٠ ، ج٦ ، ص٦٤ ، ص٣٤٣ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٢٦٣ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٢٥ .المقريزي ، ج٢ ، ص١٢١ ، الديار البكري ، ج٢ ، ص١٢٢ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٥١٣ .

(2) البلاذري ، أنساب ، ج٣ ، ص١٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٧ ، ص٢٠٧ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٢٤٢ .

(3) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١١ ، ص٦٩-٧١ ، تهذيب ، ج٣ ، ص٣٥٧-٣٥٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣٩٠-٣٩١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص١٤٦ .

(4) ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص٣٨٣ .

(5) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٦٩٩ ، ص٧٠٥ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٤٣ .

(6) البخاري ، ج٣ ، ص١٨٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٠٠ .

(7) البخاري ، ج٣ ، ص٧٤ ، ص٨١ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٤٤ . الأصبهاني ، ج٨ ، ص١٢٧ . ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص١٨٤ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٢٨٣ .

(8) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٢٣٦ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٤١ ، ص١٧٦ .

(9) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٣٧ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٢٨٣ . أبو هلال ، ص١٣١ . المزي ، ج٢٠ ، ص٣٦٩ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

(10) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٣٠٤ ، الموطأ ، ص٢٦٩ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٦٣-١٦٦ .الطبري ، ج٤ ، ص١٠٠ ، ص٢١٦ . أبو هلال ، ص١٢١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٧ ، ص٢٨٧ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٣٤٢-٣٤٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٥٢ ، ج٦ ، ص٢١٦-٢١٨ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٨٩ . ابن كثير ، ج٧ ، ص ٩٠. المقريزي ، ج١ ، ص٧١ ، ج٢ ، ص١١٣ ، ص١٣٩ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٦٧ . ـ حسن السيوطي ، ج١ ، ص١٥٦ ، ص١٥٨-١٥٩ .

معيشتهم عليها في الغالب ، لذا فلا عجب أن يمارس الرسول (ص) كغيره من سكان مكة مهنة التجارة ، فقد رافق عمه أبو طالب في رحلة تجارية إلى الشام وهو لم يبلغ الحلم[1]، وكان يبيع معه بعض السلع جملة وأشتاتاً ، وأحياناً يدلّل على السلعة بنفسه[2]. وذكر ابن عباس (ت٦٨هـ) أن الرسول (ص) صحب أبا بكر الصديق في رحلة تجارية إلى الشام ، وكان عمره حينها ثمانية عشر سنة[3]. وقال السائب بن شريك أن الرسول (ص) كان شريكاً لوالده في تجارة الأدم[4].

وذكرت المصادر أن الرسول (ص) تاجر لخديجة بنت خويلد بالبز في سوق حباشة بتهامة ، واستأجرت رجلاً آخر رافقه في رحلته إلى هذا السوق[5]. وقد أدّى عمل الرسول (ص) مع خديجة إلى زواجه منها ، وتمتعت بمكانة خاصة ومميزة عنده حتى أنه لم يجمع بينها وبين امرأة أخرى ، وأخذ يعمل في تجارتها . وكانت خديجة من كبار تجار مكة ومن أكثرهم مالاً[6]. وقد ضارب الرسول (ص) بعد نزول الوحي في أمواله ، وأعطاها لأبي سفيان بن حرب ليتاجر له بها مثل بقية أهل قريش[7].

انتمى الرسول (ص) إلى عبد مناف الذين لعبوا دوراً في تطوير دور مكة التجاري المحلي والعالمي ، وقاموا بعقد الإيلافات مع ملوك الدول المجاورة ورؤساء القبائل العربية

---

(1) ابن إسحق ، ص٧٣ ، ص٧٥ . ابن هشام ، ق١ ، ص١٨٠ . ابن حبيب ، المحبر ، ص٩ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٩٦-٩٧ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١١ . الطبري ، ج٢ ، ص٢٧٧-٢٧٩ . المسعودي ، التنبيه ، ص١٩٧ ، مروج ، ج١ ، ص٥٨٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣ ، ص١٠ ، تهذيب ، ج١ ، ص٢٦٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٦٦ ، المنتظم ، ج٢ ، ص٢٨٩ ، ص٢٩٣ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٣ . ابن عبد الحق ، ج١ ، ص٢٠١ . الصفدي ، ج١ ،ص٥٧ .ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٢٩ ، ص٢٨٣ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥ .

(2) ول ديورانت ، ج١٣ ، ص٥٩ . جاك س . ريسلر ، ص١٣٠ .

(3) ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص١٦٧ . الديار البكري ، ج١ ، ص٢٦٠-٢٦١ .

(4) السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٤٦ . الديار البكري ، ج١ ، ص٤٠٤ .

(5) البكري ، ج٢ ، ص٤١٨ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢١١ .

_ سعيد الأفغاني ، ص١٣٢ .

(6) ابن إسحق ، ص٨١ . ابن هشام ، ق١ ، ص١٨٧-١٨٩ . ابن سعد ، ج١ ، ص١٣١ ، ج٨ ، ص١٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١، ص٩٧-٩٨ . الطبري ، ج٢ ، ص٢٨١ . المسعودي ، التنبيه ، ص١٩٧ ، مروج ، ج١ ، ص٥٦٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣ ، ص١٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص٢٧٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٧١-٧٣ ، المنتظم ، ج٢ ،ص٣١٣-٣١٤. ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص١٦ ، ج٥ ، ص٤٣٥ ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٤-٢٥ . ابن العبري ، ص٩٤ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص١١٤ . الصفدي ، ج١ ، ص٨٥ . ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٩٤ . ابن بطوطة ، ص١٢٩ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٥ .

_ ول ديورانت ، ج١٣ ، ص٢٢ .

(7) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص١١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٩ ، ص٢٥٩-٢٦٠ ، تهذيب ، ج٣ ، ص١٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص١٤٣-١٤٥ . ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٢٣ .

التي كانت تسيطر على طرق التجارة العالمية في بلادهم[١]. وإستناداً إلى ذلك ، تولّى أقارب الرسول (ص) بنو عبد مناف السقاية والرفادة في مكة ، فهم أشراف العرب قاطبة[٢].

والتدقيق في الخطاب الديني للقرآن الكريم يوضح تأثير المصطلحات التجارية والفكر التجاري على المصطلحات والتعابير الدينية التي خاطب من خلالها القرآن سكان مكة والعرب قاطبة[٣].

وبرز في المدينة المنورة البعد التجاري لمسلميها من خلال ضربهم القوافل التجارية المكية عن طريق غزوات الرسول (ص) وسرايا المسلمين[٤]. ومن جهة ثانية استطاع المسلمون ضرب سيطرة اليهود على اقتصاد المدينة المنورة وفي الحجاز[٥]. وهكذا انتزع المسلمون من قريش ويهود الحجاز دورهم الاقتصادي وحلّوا محلّهم فيه ، وقاموا بتسيير الحملات التجارية إلى بلاد الشام وغيرها .

أصبح القرشيون قادة سكان المدينة دينياً واقتصادياً واجتماعياً ، وبرزوا كذلك تجاراً عالميين لديهم الإمكانيات المالية والاجتماعية والدينية والسياسية للاستمرار في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية . لذا فقد تولى الخلافة بعد وفاة الرسول (ص) **خلفاء تجار** ، منهم : تاجر البز أبو بكر الصديق[٦]، الذي أنفق معظم ماله في سبيل الإسلام والدعوة له[٧]. وتورد المصادر معلومات كثيرة عن تركه التجارة أثناء خلافته (١١-١٣هـ) وذلك لأنه وجد صعوبة في الجمع بينها وبين أمور الخلافة ، الأمر الذي دفع الصّحابة لفرض عطاء له من

---

[١] ابن سعد ، ج١ ، ص٨١-٨٣ . ابن حبيب ، المحبر ، ص١٦٣ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٥٩ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٢٥ . الطبري ، ج٢ ، ص٢٥٢ . أبو هلال ، ص١١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٢ ، ص٢١٢ . ابن الأثير ، الكامل ،ج٢ ، ص١٠ . ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٥٣ .
_ عمر فروخ ، ص٤٨ .

[٢] ابن هشام ، ق١ ، ص١٣٧ ، ص١٤٢ .
_ سعيد الأفغاني ، ص١١٠ ، ص١٢٣ .

[٣] ورد في القرآن أكثر من ستين آية فيها ذكر التجارة والبيع . من الأمثلة أنظر : سورة البقرة ، الآيات : ١٦،٤١،٧٩،٨٦،٩٠،١٧٥،٢٥٤، ٢٧٥،٢٨٢. سورة آل عمران ، الآيات : ١٥٦،١٧٧،١٨٧ . سورة النساء ، الآيات : ٢٩،٣٢ . سورة المائدة ، الآية : ١٠٦ . سورة الجمعة ، الآيات : ٩،١١ . سورة التوبة ، الآيات : ١،٢٤ . سورة النور ، آية ٣٧.

[٤] أنظر الباب الثاني من الفصل الخامس ، التجار وحركة الفتوح .

[٥] أمين سعيد ، ص٣٦-٣٧ .

[٦] ابن إسحق ، ص٢٨ . ابن رستة ، ص٢١٥.ابن عبد ربه ،ج٢،ص٤٥٦ .السرخسي ،ج٣٠،ص٢٤٨.المتقي الهندي،ج٤،ص٣٣ .
_ سعيد الأفغاني ، ص٣١ .

[٧] ابن قتيبة ، ج٣ ، ص٣١٦ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٢ ، ص١٦١ ، ج٣٠ ، ص٥ ، تهذيب ، ج٦ ، ص٢٤٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٣٦ . المزي ، ج٣١ ، ص١٣٤ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٣١ .

ممارسة التجارة ، فعندما زوّج ابنه عاصم أنفق عليه شهراً ، ثم أعانه بمال ليتاجر به وقال له : "إني أعينك بثمن مالي في العالية (الغابة) فاجْدُدْه وبِعْهُ ، ثم إئت رجلاً من تجار قومك ، فقم إلى جنبه ، فإذا اشترى شيئاً فاستشركه ثم استنفق وأنفق على أهلك"[١].

وقد عمل عمر بن الخطاب على تنمية ما لديه من أموال اليتامى ، فقد أوكل إلى عثمان بن أبي العاص ، واليه على البصرة ، بالتجارة بأموالهم حتى لا تأكلها الصدقة[٢]. ومما يدعم الشكوك باستمرار عمر بن الخطاب في ممارسة التجارة بعد توليه خلافة المسلمين واستعانته ببيت مالهم في ذلك ، ما ذكر عن الديون التي كانت لبيت المال عليه ، فقد ذكر أنه عند وفاته أوصى ابنه عبد الله أن يؤدي عنه دينه إلى بيت المال من مال آل عمر أولاً ، وبلغ ذلك الدين ثمانين ألف درهم ونيف[٣]. والسؤال الذي يُطرح : لماذا استدان كل هذه الديون من بيت المال مع أن له عطاء خاصاً به وبعياله ؟[٤]. والأرجح أن عمر بن الخطاب لم يترك التجارة بعد توليه الخلافة بل استمر بممارستها إما بنفسه أو عن طريق آخرين ، وبأسلوب إعطاء التجار وأولاده المال مضاربة للاتجار به .

وإن التدقيق في أعضاء مجلس الشورى : عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعلي بن أبي طالب ، أو الأعضاء الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليكون الخليفة منهم بعد موته[٥]، ليوضّح أنهم كانوا من كبار تجار المهاجرين ، باستثناء علي بن أبي طالب ، الأمر الذي يدفع إلى القول أن مجلس الشورى كان مجلساً لكبار التجار ورجال الأعمال في المدينة المنورة . وقد أعطى عمر بن الخطاب تسيير دقّة النقاش والاختيار والكلمة النهائية لعبد الرحمن بن عوف ، التاجر الأول فيهم وأكثرهم مالاً وتجارة ، وقد تم اختيار شريكه في التجارة عثمان بن عفان ليتولى أمور المسلمين .

قد لعب الخليفة الجديد دوراً كبيراً في دعم الدعوة الإسلامية في أيامها الأولى ، واعتبر من كبار التجار المسلمين وأشهرهم في أمور المضاربة[٦]

---

(١) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٧٧ . أبو عبيد ، ص٢٩٦-٢٩٧ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٠٩.

(٢) أبو عبيد ، ص١٤٩ . ابن الأثير ، أسد ،ج٢ ، ص٣٥ .

(٣) ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٣٨ ، ص٣٥٨ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٢٧ ، ص١٤٩ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٩١-٩٢ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٩٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٢٨٩-٢٩٠ ، المنتظم ، ج٤ ، ص٣٣٠ . المتقي المندي ، ج٥ ، ص٧٢٩.

(٤) ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٢٧١ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٥٠ . الطبري ، ج٤ ، ص١٩٢ ، ص٣٢٨ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٨٤ ، ص٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٦٠ ، ص٩١ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٧٤ . ابن أبي الحديد ، ج١ ، ص١٨٥ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٤١، الصفدي ، ج١٨ ، ص٢١٢ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٦٥ .

(٦) ابن سعد ، ج٣ ، ص٦٠ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠١ .

والطعام[١] والبز[٢]، فسيطر على التجارة في البحر ، ولم يسمح لأحد بمشاركته فيها ، وسيطر أيضاً على التجارة البرية ، فيروى أنه " كان يحمي الرّبذة والشرف والبقيع ، فكان لا يدخل الحمى بعير ولا فرس لبني أمية حتى كان آخر الزمان ، فكان يحمي الشرف لإبله ، وكانت ألف بعير ، ولإبل الحكم بن العاص ، ويحمي البقيع لخيل المسلمين وخيله وخيل بني أمية "[٣].

وتكثر المصادر من ذكر استقراض الخليفة عثمان بن عفان الأموال من بيت مال المسلمين ، وعلى الأغلب أنه كان يستخدم قسماً منها للتجارة[٤]، وقد أدى ذلك إلى الخلاف بينه وبين المسؤول عن بيت مال المدينة عبد الله بن الأرقم ، حيث قال الأخير له : "أدِّ المال الذي استلفت" . فقال عثمان : "ما أنت وذلك ، إنما أنت خازن لنا" ، مما دعا عبد الله إلى ترك العمل ببيت المال[٥].

استغل أقارب عثمان خلافته في تنمية أموالهم عن طريق التجارة ، فتذكر المصادر أنه أقطع سوق المدينة للحارث بن الحكم ، فتحكم هذا بمقاعده وأسعاره ، وجعل يأخذ كل يوم درهمين وعُشر ما يباع فيه ، مع أن الرسول (ص) قد أعفى الأسواق من دفع العشور ، وقد اعترض سكان المدينة على تصرفات الحارث وطلبوا من عثمان أن يعزله عن السوق ، لكنه رفض ذلك[٦]. واستغل مروان بن الحكم (ت٦٥هـ) اسم الخليفة عثمان في تجارته ، حيث يروى أنه كان يبيع النّوى في سوق المدينة ويأمر أن يباع نواه أولاً بحجة أنه للخليفة عثمان دون أن يعلم عثمان بهذا ، وقد راجع طلحة بن عبيد الله الخليفة في ذلك فأنكر علمه به[٧]. وقام مروان بن الحكم بشراء خمس غنائم إفريقية ودفع من ثمنها مائة ألف درهم ، فأعفاه عثمان بن عفان من باقي الثمن[٨].

---

(١) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٢٣٦ .السرخسي ، ج٣٠ ، ص٢٤٨. المتقي الهندي ، ج٤ ،ص١٤١ ،ص١٧٦ .

(٢) مالك ، الموطأ ، ص٢٨٣ . ابن رستة ، ص٢١٥ .
- سعيد الأفغاني ، ص٣١ .

(٣) ابن أبي الحديد ، ج٣ ، ص٣٩ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

(٤) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٤٨-٥٤٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٤٣ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .
- صالح العلي ، ص٢٨٢ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٤٣ . ابن أبي الحديد ، ج١ ، ص١٩٩ ، ج٣ ، ص٣٦ .

(٦) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٣٧ . ابن عبد ربه ، ج٢ ، ص٢٨٣ . أبو هلال ، ص١٣١ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص١٥١.
ابن أبي الحديد ، ج١ ، ص١٩٨ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .
_ محمد أسعد أطلس ، ج٣ ، ص١٩٦ .

(٧) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥١٦ .

(٨) المصدر السابق ، ص٥١٥ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص١٥١ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص١٠٩ ، ص٢٨٣. أبو هلال ، ص١٢٧ .
النويري ، ج١٩ ، ص٤١٣ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٧ .

ولم يرق لكبار التجار في المدينة المنورة تولّي علي بن أبي طالب أمر الخلافة ، وذلك لكونه رجل دين أكثر منه رجل دولة واقتصاد وتجارة مثل باقي المرشحين للخلافة من صحابة الرسول (ص) ، والذين اعتمد ترشيحهم على عدة عوامل مهمة مثل : السّابقة ، والشرف الاجتماعي ، والسيطرة على الاقتصاد والتجارة . وقد لعب هؤلاء القادة دوراً بارزاً في أحداث الفتنة الأولى وفي تجمع الناس حولهم للخروج من هذه الأحداث . كما ظهر ذلك جلياً من موقف قادة التجار المسلمين ضد علي بن أبي طالب حين خرج عليه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة[1]، يدعمهم يعلى بن أمية وعبد الله بن عامر (ت٥٨هـ) بالأموال ، وتوجه الجميع إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان وإعادة الأمور إلى مجراها[2].

وكان أول خلفاء بني أمية معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ) تاجراً ، فقد عُرف بممارسته التجارة وقيادته للقوافل التجارية مع والده أبو سفيان بن حرب أكبر تجار مكة قبل الإسلام[3]. وتتحدث الروايات عن ممارسته للتجارة أثناء ولايته بلاد الشام أيام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، فقد عمل على الاتجار في غنائم الجيوش الإسلامية بشرائها وبيعها[4]. كما عمل في تجارة الخمر أثناء ولايته الشام لعمر بن الخطاب ، إذ يروى أن عبادة ابن الصامت ، قاضي فلسطين ، مّر بقافلة فسأل عنها ، فقيل له : "خمر يباع لمعاوية"[5]. كما تاجر بالتماثيل ، وخاصة الذهبية منها ، إلى الهند والسند . وكانت له سيطرة على تجارة البحر حتى بعد توليه الخلافة[6]. ويفهم من الروايات التي تحدثت عن فعالياته التجارية الآنفة الذكر أنه وكلّ تجاراً آخرين أمور تجارته .

وبعد خلافة معاوية لا تذكر المصادر شيئاً عن ممارسة خلفاء بني أمية التجارة ، ويبدو أن ذلك راجع لاستقرار الدولة وتحول نظام الحكم إلى نظام وراثي ، وبالتالي إخراج التجار بشكل عام من دائرة المنافسة على السلطة ، ناهيك عن تحكم الخليفة وسيطرته التامة على بيت مال المسلمين .

---

(1) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٨٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٠٧ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٢٧٦ .
لمزيد من الاطلاع على هذه الاتهامات وتقييم الروايات التاريخية حولها ، أنظر : عدنان ملحم ، ص٩٧-١٠٥ .

(2) ابن سعد ، ج٥ ، ص٤٩ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٥٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٩ ، ص٣٦٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٨٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٠٦ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٢٧٩ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٦١ .

(3) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ق٤ ، ص٣٢١ .

(4) الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٧-٢٩٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص١٩٨-١٩٩ . ابن قدامة المقدسي ، ص١٩٠ .

(5) ابو هلال ، ص١٣٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص١٩٨ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص١٠ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٩.

(6) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١، ص١٣٠ .

٣ـ عمل **التجار** في أجهزة الدولة المختلفة وخاصة في **إدارة ولاياتها** ، كما عملوا في **قيادة الحملات العسكرية** ، وأشرفوا على الأسواق ، فقد استعمل الرسول (ص) عدداً من التجار في قيادة معظم سراياه[١]. وعين أبا سفيان بن حرب ، كبير تجار مكة ، على حرب نجران وصلاتها[٢]. وأرسل معاذ بن جبل على اليمن أميراً وقاضياً وجابياً لصدقاتها في مساعدة له اقتصادياً ليُجبِّره ، فكان أول من اتجر في مال الله[٣]. وأرسل أبَان بن سعيد بن العاص إلى البحرين ، وعهد إليه بصدقاتهم وتجارتهم[٤]. وأوكل الإشراف على سوق مكة إلى سعيد بن العاص[٥]، الذي قيل عنه فيما بعد أنه أول من وضع العشور على الجسور والقناطر[٦].

وبعد وفاة الرسول (ص) استعان الخلفاء الراشدون بالتجار في تسيير أمور دولة الخلافة ، خاصة في الشؤون العسكرية والإدارية ، إذ استعمل أبو بكر الصديق عثمان بن أبي العاص والياً على الطائف ، وأقرّه على ذلك عمر بن الخطاب ثم عينه والياً على عُمان والبحرين وجعل له قيادة الجيش هناك[٧]. كما استعمله مسؤولاً على ميناء البصرة التجاري في الأبلة بهدف جمع العشور من التجار[٨]. وعهد إليه بتنمية أموال أيتام كان عمر وصياً عليهم ، وذلك ليتاجر بها ويُنَمّيها حتى لا تأكلها الصدقة[٩].

واختار الخليفة عمر عمرو بن العاص (ت٤٣هـ) الذي اشتهر بتجارته مع مصر قبل الإسلام لقيادة الجيش الذي عهد إليه بفتحها ، وقد تم له ذلك وعُيِّن والياً عليها[١٠]، إلا أنه عُزل في عهد عثمان بن عفان[١١]، ثم أعُيد إلى مصر لمدة ست سنوات (٣٨-٤٣هـ) أيام معاوية بن أبي سفيان[١٢]. واشتهر أحد مواليه وهو وردان الرومي (ت٥٣هـ) بغناه في

---

[١] أنظر الباب الثاني من الفصل الخامس ، التجار وحركة الفتوح .

[٢] ابن عبد ربه ، ج٢ ، ص٥١ .

[٣] أبو داود ، ج٣ ، ص٤٢٨ . ابن قدامة ، ص١٣٧ . ابن كثير ، ج٥ ، ص١٠٢ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٥٩٢ .

[٤] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٦ ، ص١٣١ ، تهذيب ، ج٢ ، ص١٣١ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص٢٦١ .

[٥] ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٧ .

[٦] الجاحظ ، البيان ، ج١ ، ص٢١١ . المقدسي (مطهر) ، البدء ، ج٥ ، ص٢٠١ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٤٢ .

[٧] ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣٧٤ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٣٧٤ .

[٨] ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣٧٢-٣٧٣ ، ج٤ ، ص٢٥٠ .

[٩] المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣٥ .

[١٠] أبو عبيد ، ص١٩٣ ، ص٢٤٠ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٥٣ ، ص٧٣ ، ص١٧٠ . اليعقوبي، البلدان ، ص٣٣٩ . الطبري ، ج٤ ، ص١٠٩ ، ص١٤٤ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٤ . المقريزي ، ج١ ، ص١٥٨-١٥٩ .

[١١] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٦٥ ، فتوح ، ص٣١٣ .

[١٢] المسعودي ، مروج ، ج٢ ، ص٢١ . الدبار البكري ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

مصر ، حتى أن أحد أسواق الفسطاط سميت باسمه[1]. وقاد سعد بن أبي وقاص الجيش المسلم الذي فتح العراق ، وبقي والياً على الكوفة لفترة ثم عُزل ، وأعيد عليها حتى عزله عثمان ابن عفان[2]. واعتمد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان على معاوية بن أبي سفيان في إدارة بلاد الشام لما يقرب من عشرين سنة[3]. واستخدم عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان (ت٤٤هـ) على الطائف ، وجعله مسؤولاً عن صدقاتها[4]. وعيّن عمر كذلك سلمان الفارسي على المدائن حيث كان يتاجر بالخوص ويقول : "لو نهاني عمر عنه ما انتهيت"[5]. وتولى حذيفة بن اليمان (ت٣٦هـ) المدائن فترة لعمر بن الخطاب[6]، وقد عيّنه مع عثمان بن حنيف لمساحة أرض العراق وتقدير الضرائب على الأرض والسكان[7]، وقاد كذلك إحدى الغزوات الإسلامية لنهاوند والدينور وهمذان والري وذلك أيام عمر بن الخطاب[8].

ومن الولاة والقادة التجار كذلك أبو موسى الأشعري الذي قاد حركة الفتوح في جبهة البصرة ، ومَصَّر مدينة البصرة أيام عمر بن الخطاب ، وكان له غلام يعمل في بيع الأعلاف بالبصرة[9]. واستطاع عدد من عمال عمر بن الخطاب في منطقة البصرة - تنمية أموالهم بعدة طرق منها ممارسة التجارة ، وقد نظم أحد سكان البصرة في ذلك قصيدة شعرية انتقد فيها ثراءهم واستخدامهم لمناصبهم الإدارية في تنمية أموالهم[10]. ولما بعث عمر بن الخطاب أبا هريرة (ت٥٩هـ) عاملاً على البحرين ظهر عليه الثراء ، وذلك بسبب ممارسته التجارة وجنيه أرباحاً طائلة منها[11].

---

(1) ابن سعد ، ج٧ ، ص٥١١ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١١٤ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٨٧ . البلاذري ، فتوح ، ص٣٠٤ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٤ .

(2) الطبري ، ج٤ ، ص٢٥٢ . ابن قدامة ، ص٢٤٢ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٤٢ . الزركلي ، ج٣ ، ص٨٦ .

(3) اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٣٤ . أبو هلال ، ص١٣٠ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٢٤٤ ، ج٢ ، ص٢٩٧-٢٩٨ . ابن عساكر، تاريخ ، ج٢١ ، ص١٥٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٨ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص١٠ .

(4) الطبري ، ج٤ ، ص٢٢٠ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٩ .

(5) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢١ ، ص٤٣٥ ، تهذيب ، ج٦ ، ص٢٠٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٥٤١ .

(6) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢ ، ص٢٨٦ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٩٩ ، ص١٠٣ .

(7) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٤٢ .

(8) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢ ، ص٢٨٧ ، تهذيب ، ج٤ ، ص١٠٣ . الزركلي ، ج٢ ، ص١٧١ .

(9) وكيع ، ج١ ، ص٧٦-٧٧ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٨٥ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ،ص١٦ .

(10) أبو عبيد ، ص٣٤٢ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٧-١٤٨ . البلاذري ، فتوح ، ص٥٤٢-٥٤٣ . اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٩٥ . أبو هلال ، ص١١٧-١١٨ . ابن منظور ، ج٤ ، ص٤٠٦ .

(11) ابن سعد ، ج٤ ، ص٣٣٥-٣٣٦ . أبو عبيد ، ص٣٤٣ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٨ . البلاذري ، فتوح ، ص١١٢-١١٣ ، ص١١٤ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٤ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١١٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١١ ، ص٢٩٥ ، ج٤ ، ص١٦٠ ، تهذيب ، ج١٢ ، ص٢٦٧ .
ـ صالح العلي ، ص٢٢٦ .

واستعان عثمان بن عفان بالتجار أثناء خلافته ، فقد عين عبد الله بن عامر والياً على البصرة سنة ٢٩هـ[١]، وأشركه في قيادة الجيش الذي فتح خراسان سنة ٣٠هـ[٢]. ولما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة طلب منه عبد الله بن عامر أن يولّيه البصرة مرة أخرى بعد أن عزله عثمان عنها ، لأن له فيها ودائع وصنائع يخاف أن تذهب إن لم يتولها[٣]. وتذكر إحدى الروايات أنه اشترى في البصرة سوقاً من ماله الخاص ووهبه إلى أهله ، ولم يكن يأخذ منهم ضرائب عنه[٤].

وفي الفترة السفيانية ، قُلّدت ولاية العراق أيام معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبيه (٥٣-٥٤هـ)[٥]، وتذكر إحدى المصادر أن زياداً أرسل مرة رجلاً شامياً ليتاجر له بستين ألف درهم[٦]. وتظهر في الفترة المروانية ممارسة العمال والولاة للتجارة ، فيذكر عن الحجاج بن يوسف (٧٣-٨١هـ) بأنه كان يدفع أمواله للتجار مضاربة للاتجار له بها[٧]. كما عمل عبد الله بن أبي بكره ـ أحد عمال الحجاج على خراسان ـ في شراء الطعام من بلاد العدو وبيعه إلى جيش الحجاج بسعر أعلى[٨]. وبرزت شهرة محمد بن يوسف الثقفي (ت٩١هـ) عامل اليمن للوليد بن عبد الملك بالتجارة ، وعرف عنه مقدرته على تنمية الأموال أثناء ولايته[٩]. وقد جنى الولاة من خلال عملهم بالتجارة واستغلال وضعهم السياسي لدعمها ، أموالاً كثيرة تقدر بملايين الدراهم[١٠].

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٩٥ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص١٤٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٩ ، ص٢٦٢ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص٥٧١ .

(٣) ابن سعد ، ج٥ ، ص٤٩ . الطبري ، ج٥ ، ص١٧٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٩ ، ص٢٦٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٨٧ . ابن خلدون ، ج٣ ، ص٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٦١ .

(٤) ابن حبيب ، المحبر ، ص١٥٠ .

(٥) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص١٩٧ . ابن كثير ، ج٩ ، ص٢٩ .

(٦) ابن قتيبة ، عيون ، ج١ ، ص١٧٥ .

- صالح العلي ، ص٢٢٣ .

(٧) أبو هلال ، ص٩٣ .

(٨) البلاذري ، أنساب ، ج٧ ، ص٣٠٧ .

(كان عبيد الله بن أبي بكره حين رأى ما الناس فيه من القحط وهم يأكلون دوابهم في بلاد العدو يشتري الطعام ثم يبيعه جيشه حساب القفيز بدرهم ، حتى أصاب الناس ضر شديد ومرض ، وكان يبعث إلى الحصرم فيضعه في أسواقهم ويبيعهم إياه يقول : هذا صالح لمرضاكم ، وباعهم التبن غربالا بدرهم ففي ذلك يقول أعشى همذان :

وليت شأنهم وكنت أميرهم ... فأضعتهم والحرب ذات توهج

ومنعتهم أتبانهم وشعيرهم ... ونجرت بالعنب الذي لم ينضج)

(٩) المبرد ، ج١ ، ص٣٠٥ .

(١٠) لمراجعة مقدار ثروات العمال والولاة ، أنظر : صالح العلي ، ص٢٣٠-٢٣١ .

٤ـ **لم يقف الإسلام في وجه الخاصة من أبناء المجتمع** كشيوخ القبائل والأشراف والنبلاء **وكبار التجار** والملاكين ، **بل وقف إلى جانبهم** وراعى مصالحهم وأيدها ، ولعل هذا يفسر نجاح الدعوة الإسلامية والإسلام . فقد أعفى الرسول (ص) التجار من ضريبة العشور ودعاهم إلى أداء الصدقات ، وميّز دائماً هذه الطبقة في الأعطيات والهبات والمنح المالية والإقطاعات ، فعند توزيع غنائم حنين زاد من نصيب سكان مكة وكبار تجارها وشيوخ قبائلها عن الآخرين[1]، وقد حرص الرسول (ص) على تأليف رجال الأعمال من التجار وشيوخ القبائل وملوك العرب .

إن تدقيق قوائم الإقطاعات والمنح المالية التي قدّمها الرسول (ص) للمسلمين يشير إلى أن معظمها كان في حصة التجار وملوك القبائل وشيوخها ، فقد أقطع الزبير بن العوام أراضٍ في خيبر وبني النضير ومساحات واسعة من أرض الموات[2]، وأقطع تميم الداري منطقة الخليل قبل فتح الشام وكتب له كتاباً بذلك[3]، كما أقطع عبد الرحمن بن عوف أراضي كثيرة ومنها أرض بالشام بعد فتحها[4]، وأقطع فرات بن حيّان العجلي أرض باليمامة تغل أربعة آلاف درهم[5]، وأقطع كذلك المقداد بن الأسود وعدد كبير من المسلمين[6].

---

(1) ابن هشام ، ق٢ ، ص٤٩٣ ، ص٤٩٤-٤٩٥ . ابن حبيب ، المنمق ، ص٥٣٣ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٣ . الطبري ، ج٣ ، ص٩١ . أبو هلال ، ص٥٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص٣٥٩ ،تهذيب ، ج٦ ، ص٤٠٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٣٤٠-٣٤١ ، ج٥ ، ص٢٧٥ . الصّفدي ، ج١٦ ، ص٢٨٥ . ابن كثير ، ج٤ ،ص٣٦٠ ، ج٨ ،ص٦٩ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٣٦٤ .

من أمثلة هؤلاء : أبو سفيان بن حرب وابنيه معاوية ويزيد ، وحكيم بن حزام ، والنضر بن الحارث ، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة ، والحارث بن هشام بن المغيرة ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعتبة بن حصين ، والأقرع بن حابس التميمي ، ومالك بن عوف ، وصفوان بن أمية ، وسعيد بن يربوع ، وعباس بن مرداس السلمي .

(2) أبو يوسف ، ص٦١ . أبو عبيد ، ص٣٤٨ . البلاذري ، أنساب ، ج٩ ، ص٤٢٧ . القلقشندي ، ج١٣ ، ص١٠٦ .

ــ عون الشريف قاسم ، ص٢٥٧-٢٥٨ . إبراهيم حركات ، ص٢٦٨ .

(3) أبو عبيد ، ص٣٤٨-٣٤٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١١ ، ص٦٣-٦٤ . القلقشندي ، ج١٣ ، ص١١٩. جاء بالكتاب : " هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله للداريين إذا أعطاه الله الأرضين ، وهب لهم بيت عينون وحبرون وبيت إبراهيم بمن فيهم لهم أبدا "

ــ عون الشريف قاسم ، ص٢٦٢-٢٦٦ ، ص٣٥٧-٣٦٦ . إبراهيم حركات ، ص٢٦٨ .

(4) ابن سعد ، ج٣ ، ص١٢٧ .

ــ عون الشريف قاسم ، ص١٢٤ .

(5) أبو عبيد ، ص٣٤٨ . ابن الاثير ، أسد ، ج٤ ، ص١٧٥-١٧٦ .

(6) حول الوثائق هذه الإقطاعات ، أنظر : عون الشريف قاسم ، ص٣٦٨-٣٦٩ . أحمد بدر ص٣٦٨ . إبراهيم حركات ، ص٢٦٩.

واتبع الخلفاء الراشدون نفس سياسة الرسول (ص) في منح الإقطاعات وإعطاء الهبات للتجار ، فقد أقطع أبو بكر الصديق أراضٍ للزبير بن العوام[1] وطلحة بن عبيد الله[2]. وأقطع عمر بن الخطاب هو الآخر أرض لعبد الرحمن بن عوف[3]، وأقطع الزبير بن العوام العقيق أجمع[4]. وأقطع عثمان بن عفان كثيراً من التجار ، وتوسع في منحهم الإقطاعات سواء في الحجاز أو خارج الحجاز في الأمصار الجديدة ، حيث أقطع سوق المدينة للحارث بن الحكم[5]، وأقطع أربعة أخماس إفريقية إلى مروان بن الحكم[6].

ويلاحظ أن عثمان بن عفان قد أكثر من صلاته المالية للتجار ، مثل صلاته لسعيد بن العاص الذي زوّجه ابنته[7]، كما وصل عبد الله بن الزبير بستمائة ألف[8]، ووصل العباس بن الحارث بن عبد المطلب بمائة ألف درهم وأقطعه داراً[9]. وكتب صكوكاً مالية لأقاربه ولعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص من بيت المال بلغت ثلاثمائة ألف درهم[10].

واعتبر معاوية بن أبي سفيان من أكثر الخلفاء تقرباً إلى التجار وشيوخ القبائل وسادة العشائر ، فقد وصل عبد الله بن عمر بن الخطاب بمائة ألف درهم كل سنة[11]. واتبع عبد الله ابن عامر بن كريز ، عامل معاوية على البصرة ، نفس سياسة معاوية ، فوصل عبد الله بن عمر مرتين في كل مرة ثلاثين ألف درهم[12]. وعندما حج معاوية بن أبي سفيان في إحدى السنين منح عبد الله بن صفوان ألفي شاة[13]، وأرسل إلى حكيم بن حزام بأموال وصلات

---

(1) يحيى بن آدم ، ص٧٧ . البلاذري ، أنساب ، ج٩ ، ص٤٢٧ .

(2) أبو عبيد، ص٣٥١-٣٥٢ .

(3) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٢ .

(4) المصدر السابق ، ج٩ ، ص٤٢٧ . اليعقوبي ، البلدان ، ص٣١٠ .

_ أحمد بدر ، ص٣٧١ .

(5) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٣٧ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص١٥ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٢٨٣ . أبو هلال ، ص١٣١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

(6) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥١٥ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص١٥١ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص١٠٩ ، ص٢٨٣ . أبو هلال، ص١٢٧ . ابن أبي الحديد ، ج٣ ، ص٣٦ . النويري ، ج١٩ ، ص٤١٣ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٧ .

(7) أبو هلال ، ص١٣٠ . ابن أبي الحديد ، ج٣ ، ص٣٥ .

(8) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢١ ، ص١٢٤ .

(9) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٢٨ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص١٦٦ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٥٠٦ .

(10) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٤٨-٥٤٩ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص١٥٠ . ابن أبي الحديد ، ج٣ ، ص٣٦ .

(11) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٣٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٥٧٢ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١٣٧ ، ج٩ ، ص٥ .

(12) ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٥٧٠ .

(13) ابن كثير ، ج٨ ، ص٣٤٥ .

لكنه رفضها[1]، وأمر لعبد الله بن جعفر بخمسين ألف دينار[2]. وقد استمر يزيد بن معاوية في إدرار المنح والعطايا على عبد الله بن جعفر[3].

وعدّت منح معاوية لسادة قريش وتجارها ذات أهداف سياسية ، بسبب رغبته في تحييدهم وشراء رضاهم على خطته في تحويل الخلافة إلى نظام وراثي في أبنائه ، أو الحيلولة دون مطالبتهم بالخلافة ، فقد قام بمنح عبد الله بن الزبير أموالاً طائلة[4] وأراضي واسعة[5]، ووصل عروة بن الزبير أموالاً كثيرة قدرت بمائة ألف درهم[6].

وقدّم الخلفاء والأمراء تسهيلات تجارية لبعض التجار ، فيروى أن نافع بن الحارث عندما جاء إلى عمر بن الخطاب مبشّراً إيّاه بفتح الأبلة ، طلب منه أن يوصي واليه عليه بقوله: "إني قد افتليت فلاة في البصرة ، واتخذت بها تجارة ، فاكتب إلى عتبة بن غزوان أن يحسن جواري ، "فكتب له عمر بن الخطاب بذلك[7]. وطلب أحد العبيد المكاتبين من عمر بن الخطاب أن يكتب له كتاباً لتسهيل أموره التجارية في العراق ، وذلك لكي يتمكن من تسديد مكاتبته ، فقال له عمر بن الخطاب : "أتريد أن تظلم الناس". وعندما منع عمر بن الخطاب الأعاجم من البيع والشراء في سوق المسلمين بالمدينة ، انتبه أحد الأعاجم واحتال على القرار بأن باع بضاعته باسم عثمان بن عفان ، وقد أجاز عمر ذلك[8].

وطلب العباس بن الحارث بن عبد المطلب من الخليفة عثمان بن عفان ــ وكان العباس ابن شريكه في التجارة في الجاهلية ــ أن يكتب إلى والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز ليسلفه من بيت المال مائة ألف درهم ، ففعل[9].وطلب أحد الموالي التجار من معاوية ابن أبي سفيان أن يكتب له منشوراً ليبيع بضاعته أولاً في سوق البصرة ،فكتب له ذلك

---

(1) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٧٣ . المزي ، ج٧ ، ص١٧٨ .

(2) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٢٧٣ . ابن عبد ربه ، ج٢ ، ص٧٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ص٢٧ ، ص٢٨٥ ، تهذيب ، ج٧ ، ص٣٣٥ . ابن كثير ، ج٩ ، ص٣٣ .

(3) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٨ ، ص٢٠٠ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١٣٨ .

(4) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٥ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٤٠٢ .

(5) الطبري ، ج٥ ، ص٣٣٠ .

(6) الدينوري ، ص١١٧ .

(7) المتقي الهندي ، ج١٢ ، ص٦٤٥ .

(8) مالك ، الموطأ ، ص٢٨٣ .
ـ صالح العلي ، ص٢٧١ .

(9) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٢٨ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص١٦٦ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٥٠٦ .

المنشور ، إلاّ أن والي البصرة زياد بن أبيه منعه من التصرف بالبيع[1]. ويذكر الواقدي (ت٢٠٧هـ) أن أحد سراة الموالي ـ وهو أبو كثير مولى أسلم ـ طلب من عبد العزيز بن مروان ، والي مصر لعمر بن عبد العزيز ، بأن توضع عنه العشور كلما دخل مصر بتجارته، فوافق على ذلك[2].

وعمل التجار الولاة كذلك على مساعدة زملائهم التجار في الأمور التجارية ، فقد استعمل عمرو بن العاص مولاه وردان الرومي على الإسكندرية وجعله بمنزلة صاحب شرطته[3]. وعهد معاوية بن أبي سفيان إلى التاجر أبي الدرداء القضاء في بلاد الشام[4]. كما عهد زياد بن أبيه إلى صاحبه التاجر أبو وائل مسؤولية بيت المال في البصرة[5]، واستخدم ابنه على سوق البصرة كذلك[6]. وقد استخدم المسؤولون عن بيت المال منصبهم في إعطاء القروض من بيت المال لأقاربهم للتجارة ، فقد أعطى نُفيع بن الحارث ـ والي بيت مال البصرة وعامله على عشور الأبله أيام عمر بن الخطاب ـ أخاه أبا بكرة القروض من بيت المال ليتجر بها[7].

٥ـ تعد **التجارة البحرية** على قدر كبير من الأهمية مثل التجارة البرية[8]، وقد كان لموقع شبه الجزيرة العربية المحاط بالمياه من ثلاث جهات أثر في زيادة النشاط التجاري البحري إلى الأقاليم المختلفة[9]، ناهيك عن سيطرة دولة الخلافة على البحار والمحيطات نتيجة الفتوحات الإسلامية ، مما سهل الانفتاح على العالم والتجارة العالمية عبر قارات العالم القديم آسيا وإفريقيا وأوروبا[10]، فتم إنشاء عدداً من الموانئ التجارية بهدف جعلها مراكزاً لنشاطاتها المختلفة ، وتطورت فيما بعد لتصبح مدنا عالمية مهمة بعد أن نشط التبادل التجاري وبعد أن

---

(1) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٢٣٩ .

(2) المصدر السابق ، ج٨ ، ص٢٠٧ .

(3) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٤ .

(4) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٨ .

(5) ابن سعد ، ج٦ ، ص٩٧ .

(6) الأصبهاني ، ج٤ ، ص١٠٣ .

(7) البلاذري ، أنساب ، ص٣٨٦ ، فتوح ، ص٥٤٢ .

(8) الجاحظ ، رسائل أدبية (رسالة المعلمين) ، ص٢١١ .

(9) ابن إسحق ، ص١٦٧ . ابن سعد ، ج١ ، ص٢٠٤ . الطبري ، ج٢ ،ص٢٢٦-٢٢٩ . الأصبهاني ، ج١ ، ص١٠٥ .ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٥٦ . الديار البكري ، ج١ ، ص٢٨٩ .
ـ نبيلة حسن محمد ، ص٣٩ .

(10) أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ونظمه ، ص٣٠٩ . محمد سعيد طالب ، ص٢٣٨ . إبراهيم حركات ، السياسة والمجتمع في العصر الأموي ، ص٢٦٦ . سعيد الأفغاني ، ص١٥ .

امتلأت بسكان من أجناس مختلفة[١].

استمر النشاط التجاري البحري بعد مجيء الإسلام ، فقد قال تعالى : "الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله"[٢]. وقد مارس الرسول (ص) التجارة البحرية ، وكذلك طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو[٣]. وحاول عمر بن الخطاب أثناء خلافته أن ينشط التجارة البحرية ، فأمر بحفر خليج يربط البحر الأحمر بالنيل لتسهيل التجارة ما بين مصر والحجاز وليمدّ الدولة بخيرات مصر ، فتم حفر خليج عرف بخليج أمير المؤمنين[٤]. كما وتم في عهده وضع العشور على التجارة البحرية[٥]، وهو أمر استمر في زمن بني أمية[٦].

وقد اهتم عثمان بن عفان بالتجارة البحرية ، فيروى أنه "حمى البحر فلا يخرج فيه سفينة إلا لتجارته"[٧]. ويبدو أن هذا الأمر ظل شائعاً خلال الدولة الأموية ، حيث استنكر عمر ابن عبد العزيز ذلك وأرسل إلى عماله في الأمصار منشوراً يقول : "من عبد الله أمير المؤمنين إلى العمال ، وأما البحر فإنا نرى سبيله سبيل البر ، قال : الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ، فأذن فيه أن يتجر فيه من يشاء ، وأرى أن لا تحول بين أحد من الناس وبينه ، فإن البر والبحر لله جميعاً سخرها لعباده يبتغون فيها من فضله ، فكيف تحول بين عباد الله وبين معاشهم"[٨].

وقد أولت الدولة اهتماماً واسعاً بالبحر وتجارته ، حتى أن بني أمية عيّنوا الولاة على غازية البحر بهدف التصدي لهجمات الروم على التجار ، ومن أشهر ولاة البحر : المغيرة بن عميرة الذي عينه يزيد بن الوليد (١٢٦هـ) ، والأسود بن بلال المحاربي الداراني الذي قام

---

(١) جاك س . ريسلر ، ص١٣٠ . أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ونظمه ، ص٣٠٤ .

(٢) سورة الجاثية ، آية رقم : ١١ .

(٣) يحيى بن معين ، ج٢ ، ص٢٠٧ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٧٥ .

(٤) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٣٠٤ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٦٣-١٦٥ . الطبري ، ج٤ ، ص١٠٠ . أبو هلال ، ص١٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٥٢ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٨٩ . النويري ، ج١٩ ، ص٣٢٦-٣٢٧ . ابن كثير ، ج٧ ، ص٩٠ . المقريزي ، ج١ ، ص٧١ ، ج٢ ، ص١١٣ ، ص١٣٩ . السيوطي ، ج١ ، ص١٥٦ ، ص١٥٨-١٥٩ .

(٥) أبو يوسف ، ص١٣٦ .

(٦) المصدر السابق ، ص١٣٧ . ابن سعد ، ص٤٩٦ . أبو عبيد ، ص٦٣٥-٦٣٧ ، ص٦٤٨-٦٤٩ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ق٤ ، ص١٣٠ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص٣٧٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٢٨١ .

(٧) الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

_ محمد أسعد أطلس ، ج٣ ، ص١٩٦ .

(٨) ابن عبد الحكم (محمد) ، سيرة عمر ، ص٨٢ .

هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) بتعيينه لصد غارات الروم على التجار في البحر المتوسط[١].

لم يترك التجار بابا إلا طرقوه من أجل زيادة أرباحهم بغض النظر عن احتياجات الناس ، فمارسوا **الاحتكار**[٢] الذي نهى الرسول (ص) عنه في كثير من الأحاديث رواها تجار مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، مثل قوله عن الرسول (ص) :"لا ينبغي في سوقنا محتكر"[٣]. وكما روى التاجر سعيد بن المسيب (٩٤هـ) حديثا آخر تناقله عن تاجر آخر هو معمر بن عبد الله بن نافع ، نصه : "لا يحتكر إلا خاطئ"[٤]. وتزخر كتب الأحاديث بأحاديث كثيرة في هذا المجال ، وتعتبر هذه صدى لموقف المسلمين اتجاه الاحتكار[٥].

تابع عمر بن الخطاب سياسة النهي عن الاحتكار الذي ظل منتشرا خاصة أيام المجاعات والأزمات الاقتصادية ، فيذكر أنه خلال طاعون عمواس سنة١٨هـ قد "غلا السعر واحتكر الناس فنهى عمر عن الاحتكار"[٦]. كما حاول الحد من الاحتكار خاصة في سوق المدينة[٧]، فيروى أنه قال للتجار : "لا نخلي بينكم وبين ما يأتينا تحتكرونه"[٨]. كما يروي يعلى بن أمية ـ أحد كبار التجار ـ أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : "يا أهل مكة ، لا تحتكروا الطعام بمكة ، فإن احتكار الطعام بها للبيع إلحاد "[٩].

وقد استمر النهي عن الاحتكار زمن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب الذي قيل أنه "مر بشط الفرات فإذا كدس طعام لرجل من التجار حبسه ليغلى به فأمر به فأحرق"[١٠].

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٩ ، ص٦٧ . تهذيب ، ج٣ ، ص٥٠ .

(٢) الجوهري ، ج٢ ، ص٦٣٥ . ابن منظور ، ج٤ ، ص٢٠٨ .

(٣) المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٠٠ .

(٤) ابن سعد ، ج٤ ، ص١٣٩ . الدارمي ، ج٢ ، ص٢٤٩ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٦٩ . أبو داود ، ج٣ ، ص٧٢٨ .

(٥) من هذه الأحاديث :

"بئس العبد المحتكر ، إن أرخص الله الأسعار حزن ، وإن أغلاها فرح " ، و " الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله ، والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله " ، و " من إحتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس " ، و " من إحتكر طعاما على أمتي أربعين يوما وتصدق به لم تقبل منه " . أنظر : المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٩٧ .

وهناك حديث : " لا تحتكروا " . أنظر : ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٢٩٤ .تهذيب ، ج٥ ، ص٣٤٩ .

ـ صالح العلي ، ص١٧٤ . علي الخربوطلي ، ص١٧٧ .

(٦) اليعقوبي . تاريخ ، ج٢ ، ص١٤٠ .

(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٣ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٨٠-١٨١ .

(٨) ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ،ص٢٦٣ ، المتقي الهندي ، ج٤ ،ص١٨٠-١٨١ .

(٩) الزبيدي ، ج٢ ، ص٤٩٣ ، ج٤ ، ص١٨٠ .

(١٠) المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٨٢ .

وهو دليل على محاولات الدولة اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع الاحتكار الذي بقي مستمراً رغم ذلك[1].

واصل التجار الاحتكار في العصر الأموي إلا أنه لم يكن هناك موقف واضح اتجاهه، سواء من قبل الدولة أو من جهة العلماء ، "فقد روي عن سعيد بن المسيب أنه كان يحتكر الزيت والخبط ونحو ذلك"[2]، رغم أنه روى عن الرسول (ص) أحاديثاً عديدة تنهى عن الاحتكار[3].

وورد على لسان عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ) أحد كبار تجار الثياب قوله : "لا بأس بالاحتكار بالقطن والسختيان وغيره"[4]. وقد أوضح مالك بن أنس موقفه من الاحتكار بقوله: "الحكرة في كل شيء في السوق من الطعام والزيت والكتان وجميع الأشياء والصوف وكل ما أضر بالسوق قال والعصفر والسمن والعسل وكل شيء"[5]. ويبدو أن قوله هذا جاء لتوضيح طبيعة ونوعية المواد التي يتم احتكارها ، الأمر الذي يدفع إلى القول أنه لم يكن هنالك تحديد في نوعية المواد التي يتم احتكارها مما أتاح لتجار الأصناف المختلفة إباحة احتكارها كل حسب نوع تجارته ، والإقرار بالنهي حول المواد الأخرى .

تعددت طرق وأساليب **احتيال التجار والباعة على الناس** عند بيعهم لما لديهم من بضاعة ، وتتحدث المصادر بشكل واسع عن هذه الطرق والأساليب ، وخاصة كتب الحسبة وكتب الحيل[6]، ومن أمثلة ذلك : مدح السلعة بما ليس فيها[7]، أو توجيه البضاعة كالحبوب[8]، أو بيع لحوم الميته[9]، أو نفخ اللحم وحقنها بالمياه[10]، أو عرض أقمشة والادعاء بأنها من الصنف الجيد ، وغير ذلك من هذه الأساليب[11]، ناهيك عن التلاعب بالأوزان

---

(1) ول ديورانت ، ج١٣ ، ص١١١ .

(2) أبو داود ، ج٣ ، ص٧٢٩ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٦٩ .

(3) الترمذي ، ج٢ ، ص٣٦٩ ، ج٣ ، ص٧٢٨-٧٢٩ . ابن سعد ، ج٤ ، ص١٣٩ . الدارمي ، ج٢ ، ص٣٦٩ . أبو داود ، ج٣ ، ص٣٢٨ .

(4) الترمذي ، ج٢ ، ص٣٦٩ .

(5) مالك ، المدونة ، ج٤ ، ص٣٩١ .

(6) ابن الأخوة ، ص٢١٦-٢١٧ .

(7) المصدر السابق ، ص٢١٦ .

(8) الدارمي ، ج٢ ، ص٢٤٨ . أبو داود ، ج٣ ، ص٧٣٢ ، ج٤ ، ص١٥٨ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٨٩ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٥٨ .

(9) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٢٩٤ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٣٤٩ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٥٠ .

(10) ابن الجوزي ، ج٥ ، ص٧٠ .

(11) وكيع ، ج٢ ، ص٣٤٣ .

والمكاييل والأسعار[1]. وقد حضّ الإسلام على عدم اتباع مثل هذه الأساليب كقوله تعالى : "ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون"[2]. وقول الرسول (ص) : "يا معشر التجار إنكم قد وليتم أمرا هلكت فيه الأمم السابقة ، المكيال والميزان "[3]، وقوله : "من غشنا فليس منا"[4].

لم تترك الدولة الأمر هذا دون مراقبة وذلك حفاظاً على أمن المستهلك ، ولذا ظهرت وظيفة المحتسب لمراقبة الأسواق ، وأمر الناس بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإيقاع العقوبات بمن يخل بآداب التجارة التي حدّدها الإسلام[5]. وقد أوقعت الدولة أقصى العقوبات بمن خالف تعليماتها ، فيذكر أن زياد بن أبيه أمر أن لا يباع القتّ إلاّ وزنا ، وقد قام بقطع يد بائع خالف أمره هذا[6].

واستغل التجار تَديّن الناس واقتناعهم بالأيمان ، فراحوا يحلفون الأيْمان في أثناء عمليات البيع والشراء لكسب ثقة المشتري بغضّ النظر عن صحة ادعاءاتهم وأقوالهم التي يصفون فيها بضاعتهم أو يشرحون مقدار ربحهم منها وغير ذلك ، وقد حذر الإسلام من هذا الأسلوب[7]، لقوله تعالى: "إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة "[8]. وكان الرسول (ص) يمرّ على التجار في أسواقهم ويقول لهم : "يا معشر التجار إن البيع يحضره اللّغو والحلف فشوبوه بالصّدقة"[9]. وقال كذلك : "إن الحلف منفعة للسلعة ممحقة للبركة"[10]. وقال الرسول عنهم : "إن التجّار هم الفجّار يحدّثون فيكذبون ويحلفون فيأثمون"[11].

وقد أكد عمر بن الخطاب على ذلك ، فكان يسير في الأسواق ويقول : "ويل للتاجر

---

(1) المزي ، ج٢٨ ، ص٥٠٧ .المتقي الهندي ، ج٤ ،ص٢٩ .

(2) سورة المطففين الآيات رقم : ١-٣ .

(3) الترمذي ، ج٢ ، ص٣٤٥ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٢٩ .

(4) الدارمي ، ج٢ ، ص٣٤٨ . أبو داود ، ج٣ ، ص٧٣٢ ، ج٤ ، ص١٥٨ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٨٩ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٥٨ .

(5) انظر الباب الرابع من الفصل الرابع : الأسواق والمراكز التجارية .

(6) البلاذري ، انساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٢٢٥ .

(7) البخاري ، ج٣ ، ص٧٨ .

(8) سورة آل عمران ، آية رقم : ٧٧ .

(9) أبو داود ، ج٣ ، ص٦٢١ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٤١ . الاصبهاني ، ج٧ ، ص١١٤ ، ص١٢٦ . الخطيب البغدادي ، ج٥ ، ص٧٥ ، ص٢٠٤ ، ج٧ ، ص٢٨٧ . السرخسي ، ج١٥ ، ص١١٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٢٢٣ . ابن حجر ، الإصابة ج٣ ، ص٢٥٧ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٤٧ .

(10) البخاري ، صحيح ، ج٣ ، ص٧٨ . أبو داود ، ج٣ ، ص٦٣٠ .

(11) المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٤٩ .

من لا والله ، وبلى والله ... يا معشر التجار إن هذه التجارة تحضرهـا الإيمـان ، فشـوبوها بالصدقة ، ألا إن كل يمين فاجرة تذهب بالبركة "[1]. وكان علي بن أبي طـالب يحـذر هـو الآخر التجار من ذلك أيضاً[2]. وقد لفت هذا انتباه أبي ذر الغفاري ، فقال :" إن المنفق سلعته بالحلف الفاجر يعذّبه الله ولا ينظر إليه ولا يكلمه ولا يزكيه"[3].

ويبدو أن تجارة الأقمشة وبيعها اقترنت بالإيمان ، وذلك لعدم معرفة الناس بأنواعـها وأسعارها الأمر الذي ساهم في حصول التاجر على ثقة المشتري ، ويظهر هذا من قول سعيد ابن المسيب: "ما من تجارة أحبّ إليّ من تجارة البزّ ما لم تقع فيه الأيمـان"[4].

تعرض بعض **التجار والصيارفة للإفلاس** أحياناً بسبب إلحاح الناس على أخذ أموالـهم منهم ، في الوقت الذي تعذّر على هؤلاء التجار والصيارفة تحصيل أموالهم التي لـهم عنـد الناس[5]. وقد يُضرب إفلاس التجار مثلاً بين العامة ، فيروى أنه أفلس تـاجر مـن المدينـة المنورة في العصر الراشدي يدعى أبو المفلاح ، فكان القاضي إذا استحلف أحداً قال لـه: "إن كنت كاذباً صيرك الله مثل أبي المفلاح"[6].

وتحمل المصادر كثيراً من حالات الإفلاس هذه ، والتي غالباً ما كان يتم اللجوء فيـها إلى الدولة أو إلى الأغنياء للمساعدة ، فيروى أن معاذ بن جبل التجأ إلى الرسول (ص) عندما أفلس وادّان ليكلم له غرماءه بشأن المال ، ففعل الرسول (ص) لكن غرماءه رفضوا وسـاطة الرسول (ص)[7]. وقام عبيد الله بن العباس بتسديد ديون صراف قدرت بتسعمائة ألف دينـار لغرمائه[8]. وأفلس صيرفي آخر في العهد الأموي ، فسأل الناس التوسط له عند أحـد كبـار الأغنياء لسدّ حاجته ، إلا أنّه رفض بقوله : "إن لنا لحقوق تشغل فضول أموالنـا"[9]. والشيء نفسه حدث عندما أفلس تاجر من المدينة ، فالتجأ جماعة من أهلها إلى القاضي ليجعل له رأس مال ، لكن طلبهم قوبل بالرفض[10]. ويدل هذا على قيام الدولة أحياناً بمسـاعدة المفلسـين ، ويتضح ذلك من خلال رواية للمدائني (ت٢٢٥هـ) يذكر فيها أن عمر بن عبد العزيز كتـب

---

(1) المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٣٥-١٣٦ .

(2) ابن كثير ، ج٨ ، ص٤ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٧٥ .

(3) الأصبهانـي ، ج٧ ، ص١٣٠ .

(4) ابن سعد ، ج٥ ، ص١٣٤ . الذهبي ، سير ، ج٤ ، ص ٢٤١ .

(5) الجاحظ ، رسائل أدبية (رسالة المعلمين) ، ص٢١١ . المبرد ، ج١ ، ص٢٠٩ .

(6) وكيـع ، ج١ ، ص١٩١-١٩٢ .

(7) ابن قدامة ، ص١٣٨ . ابن كثير ، ج٥ ، ص١٠٢ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٥٩١ .

(8) ابن حبيب ، المحبر ، ص١٤٦ .

(9) المبرد ، ج١ ، ص٢٠٩ .

(10) وكيـع ، ج١ ، ص١٨٦ . الاصفهاني ، ج١١ ، ص١٨٢ .

إلى عامله على اليمن محمد بن عروة السعدي : "أن أخرج من بيت المال قبلك مائة ألف درهم ... وأعطِ ... تاجرا أتى على ما في يديه"[1].

اتخذت الدولة إجراءات واضحة اتجاه المفلسين الذين يتم شكواهم رسمياً ، فقام الرسول (ص) ببيع مال معاذ بن جبل وقسمته بين غرمائه[2]، وهناك روايات تشير إلى أن الرسول (ص) خلعه عن ماله لكن لم يأمر ببيعه[3]. وقام عمر بن الخطاب بتقسيم مال أحدهم عندما أفلس وأدّان[4]. وهناك أمثلة أخرى كان يتم فيها رفع قضايا الإفلاس إلى القاضي ، فيقوم هذا بالحجز على أملاك المفلس ثم يطلق سراحه[5].

٦ـ عاد عمل الخلفاء والعمال والولاة في التجارة بالضرر على مصلحة الأمة العام ، وقد تنبّه **الرسول (ص)** لذلك ، فدعا إلى عدم جواز **ممارسة الأمراء والعمال التجارة** أثناء عملهم وقلّل من شأن التجارة[6]، ويروى عنه قوله : "ما عَدَل والٍ اتجر في رعيّته"[7]، وحديث : "إذا اتجر الراعي هلكت الرّعية"[8].

وانتبه عمر بن الخطاب إلى خطورة ذلك ، فكتب إلى عماله منشوراً جاء فيه : "إن تجارة الأمير في إمارته خسارة "[9]. وكتب إلى شريح بن الحارث (ت٨٢هـ) حين استقضاه على الكوفة : "لا تشتر ولا تبع"[10]. كما حاسب عمر بن الخطاب عماله الذين نمّوا أموالهم عن طريق استغلال وظائفهم وممارستهم للتجارة ، مثل واليه على مصر عمرو بن

---

(١) البلاذري ، انساب ، ج٨ ، ص١٩٩ .

(٢) ابن قدامة ، ص١٣٨ . ابن كثير ، ج٥ ، ص١٠٢ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٥٩١-٥٩٢ .

(٣) مالك ، المدونة ، ج٥ ، ص٣٣٢ . (عن ابن شهاب قال : مضت سنة الرسول عليه السلام في معاذ بن جبل أن خلعه الرسول عليه السلام من ماله و لم يأمر ببيعه ، وفي الرسول عليه السلام أسوة حسنة) .

(٤) مالك ، المدونة ، ج٥ ، ص٣٣٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص١٠٦ .

(٥) وكيع ، ج٢ ، ص٣١٢ . ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٥ ، ص١٣٦ .

(٦) ابن قتيبة ، عيون ، ج١ ، ص٢٤٩ . الماوردي ، ص٤٤ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٤ ، ص٣٠٢ . المزي ، ج١٩ ، ص٢٧٨ .

(٧) النويري ، ج٦ ، ص١٠٠ .

(٨) المصدر السابق ، ص١٠١ .

(٩) المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٧٥٧ .

(١٠) وكيع ، ج٢ ، ص٩٠ . أبو هلال ، ص٢٤٦ .

العاص[1].

وسأل عمر عن مصدر أموال عامله على الطائف عتبة بن أبي سفيان (ت٤٤هـ) التي بلغت ثلاثين ألف دينار ، فقال عتبة: "خرجت به معي وتجرت فيه" فقام عمر بن الخطاب بمصادرتها ، وقد عرض عثمان بن عفان فيما بعد على أبي سفيان رد أموال عتبة التي صادرها عمر بن الخطاب[2].

واستخدم عمر بن الخطاب أبا هريرة على البحرين ، فعلم عمر أنه يبني قصراً في أطراف المدينة وأن لديه أموالاً طائلة ، وبلغه أنه يشتري من أموال المسلمين خيلاً ويبيعها ويأخذ أرباحها لنفسه ، فاستدعاه عمر وقال له : "يا عدو الله قد استعملتك على البحرين وكنت بلا نعلين ، فما هذه الأموال " فقال : "خيل تناتجت وعطايا تلاحقت ، وسهام تتابعت ، وخراج رقيق لي" ، فصادر عمر نصف أمواله وعزله عن البحرين[3]. وجرى الشيء نفسه بين عمر والحارث بن كعب بن وهب من بني ليث بن بكر ، إذ سأله الخليفة عن أمواله التي ظهرت في أثناء عمله له ، فقال : "خرجت بنفقة معي فتجرت فيها" ، فقال له عمر: "إنا والله ما بعثناك للتجارة في أموال المسلمين" ، ثم حاسبه وعزله عن عمله[4].

ومن عمال بني أمية المشاهير الذين كونوا أموالاً طائلة من خلال التجارة أثناء ولايتهم محمد بن يوسف الثقفي ـ عامل الوليد بن عبد الملك على اليمن ـ حيث أصاب أثناء ولايته مائة وخمسون ألف دينار ، فكتب الحجاج إلى الوليد بذلك لمحاسبته ، لكن الوليد كتب إلى الحجاج : " إنما أصاب المال من تجارة أحللناها له"[5]. واللافت للنظر أن الخلفاء الأوائل

---

(1) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٦٨ ، فتوح ، ص٣٠٧-٣٠٨ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٦-٤٧ . أبو هلال ، ص١١٨-١١٩ .

كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص : "أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وخيل وإبل وغنم وبقر وعبيد ، وعهدي قبل ذلك أنه لا مال لك ولم يكن ذلك في رزقك ، فاكتب لي من أين لك هذا المال ؟" فرد عليه عمرو : "فأما ما يظهر لي من مال ، فإنا قد قدمنا بلادا رخيصة الأسعار ... وأرضنا أرض مزدرع ومتجر ، وكثيرة الغزو ، وإني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالجه أهله ، وليس في رزق الأمير سعة " ، فكتب إليه عمر بن الخطاب : "أنتم معشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال ثم لم يعوزكم عذرا ، تجمعوا لأبنائكم وتمهدون لأنفسكم ... وقد وجهت إليك محمد بن سلمة ليقاسمك ."

(2) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٦٩ ، فتوح ، ص٣٠٧ . الطبري ، ج٤ ، ص٢٢٠ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٦-٤٧ ، ص٤٩ . أبو هلال ، ص١١٨ .

(3) ابن سعد ، ج٤ ، ص٣٣٥-٣٣٦ . أبو عبيد ، ص٣٤٣ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٨ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٦٨ ، فتوح ، ص١١٢-١١٣ ، ص١١٤ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٥ . ابن كثير ، ج٨ ، ص١١٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٢٩٥ ، ج٤ ، ص٢١٠ ، تهذيب ، ج١٢ ، ص٢٦٧ .

ـ صالح العلي ، ص٢٢٦ .

(4) ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٦ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٢٩٥ .

(5) المبرد ، ج١ ، ص٣٥ .

قد مارسوا التجارة كذلك ، وهذا يتناقض مع الأحاديث وموقف عمر بن الخطاب سابقاً، ممـــا يشعرنا بأن هذه الأحاديث والمواقف تمثّل وجهة نظر بعض العلماء الذين وقفوا ضد ظـــاهرة ممارسة الخلفاء والعمال للتجارة .

أجاز بعض الصحابة الخلفاء وولاتهم ورجال إدارتهم العمل في التجارة بسبب حاجتهم للمال لتأكيد سلطانهم . وتثبيت سياستهم ، وقد انتبه الهروي إلى ذلـــك ، فقـــال :" ويســـتحب للسلطان جمع المال من أبوابه وجهاته وكثرة الذخائر ، فإن المال مع الملوك كالشـــمس فـــي العالم ، فإن كثر قوي صاحبه ، وإن قل أضعفه، ويجب على السلطان أن يستميل قلوب الناس بالإحسان إليهم والإنعام عليهم على قدر أموالهم وحسن منازلهم"[١].

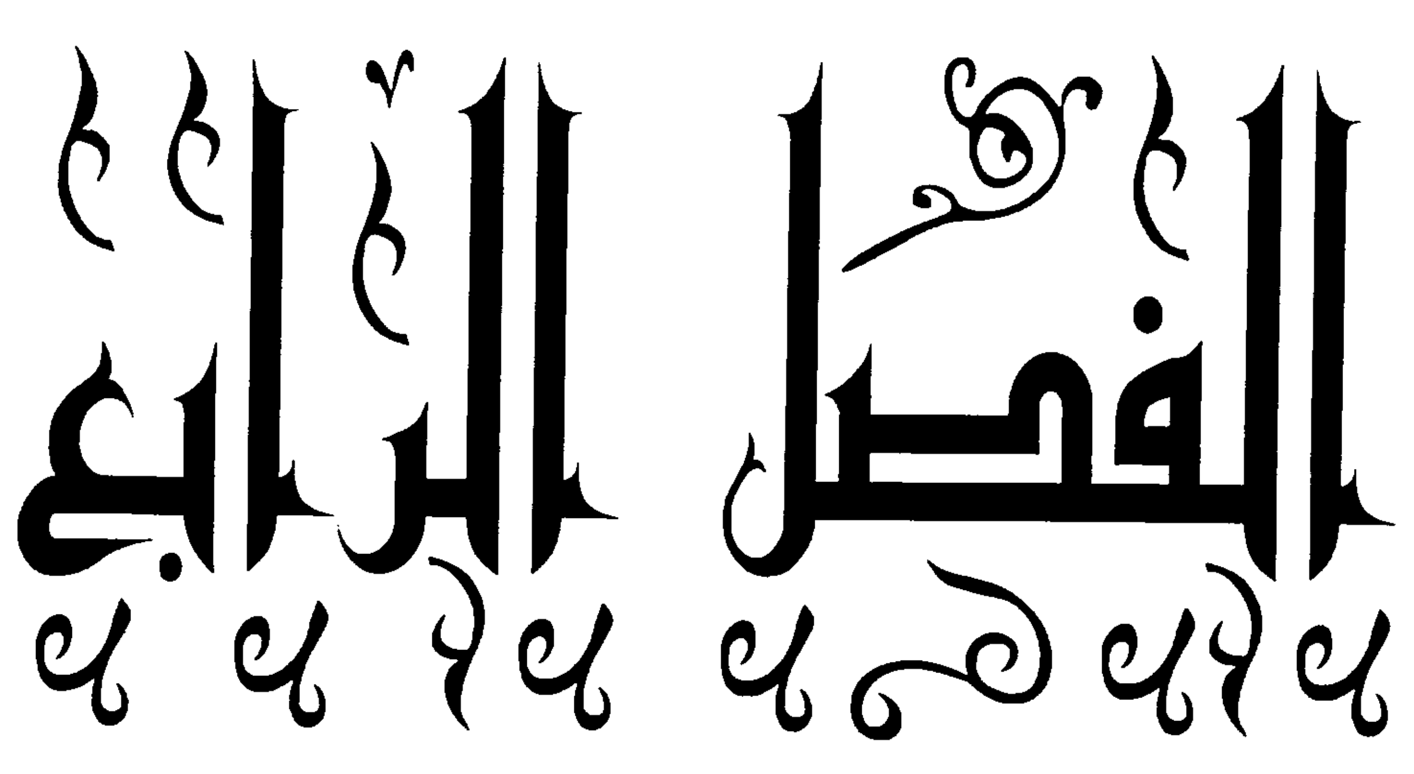
نهى علماء الأمة عن ممارسة الأمراء للتجارة ، فيذكر ابن عبد الحكم (ت٢٦٨هـ) ما نصه : "ونرى أن لا يتجر إمام ، ولا يحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هـــو عليـــه ، فـــإن الأمير متى يتجر يستأثر ويصيب أموراً فيها عنت وإن حرص على أن لا يفعل"[٢]. وقد نـــوّه ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) إلى ذلك بقوله: "إن الفرس كانوا يشترطون على الملك عدم التجـــارة وذلك حتى لا يحب الغلاء في أسعار البضائع ، ولا يتخذ صناعة فيضر بإخوانه"[٣].

---

[١] الهروي ، ص٨٠ .

[٢] ابن عبد الحكم (محمد) ، سيرة عمر ، ص٨٣ .

[٣] ابن خلدون ، ج١ ، ص٢٣٦ .


الفصل الرابع


التجار ومؤسسات الدولة
الاقتصادية

١ــ شكل بيت **المال** أو "مال الفيء" مصدرا مهما **للتجار** وغيرهم وذلك خلال تقديمه الأموال كقروض مستردة ، فيذكر أن أبا بكر الصديق استقرض أيام خلافته المال من بيت المال وأنفقه على نفسه وأسرته ، وربما استقرضه من أجل التجارة ، حتى أنه أوصى عندما أوشك على الموت بأن تباع أرض له ويُقضى دينه إلى بيت المال[١]. أما الخليفة التاجر عمر ابن الخطاب ، فقد استلف من بيت المال مبلغ ثمانين ألف درهم[٢]، وقيل ستة وثمانون ألف درهم[٣]، وقيل إنها كانت سبعاوثمانين ألف درهم[٤]. وروي أن صاحب بيت المال كان يطالبه بسداد ديونه المستحقة عليه إلاّ أنه كان يتهرب منه ويماطله[٥]، وبعد أن طُعن أوصى ابنه عبد الله بأن يقضي عنه ديونه التي استلفها من بيت المال ، وقال له : "فأدّ ما عليّ من الدين وانظر أن تبيع في ذلك جميع مالك ، فإن لم يف بما علي فاسأل في بني عدي بن كعب ، فإن لم يف ما علي فاسأل في قريش .. واجعل ذلك في بيت المال ، فإن سألك الخليفة من بعدي أن لا تأتيه بالمال فلا تفعل"[٦]. ويقال أن عمر أمر عثمان بن عفان (ت٣٥هـ) أن يكتب في وصيته: "فإن مت فليبع حائطي في موضع كذا وليرد إلى بيت المال"[٧].

ويبدو أن الاقتراض من بيت المال اعتبر أمراً عادياً ، فيذكر أن عمر بن الخطاب طلب قرضاً مقداره أربعة آلاف درهم من عبد الرحمن بن عوف (ت٣٢هـ) لمساعدته في أمور التجارة ، فقال عبد الرحمن بن عوف : "ليأخذها من بيت المال ثم يردّها ". فلما لقيه عمر قال له معاتباً :" رحمك الله ، إذا مت قبل ردّها فإنك وأصحابك تقول : اتركوا هذه لأمير المؤمنين حتى يؤخذ من ميزاني يوم القيامة ، لكن إذا أخذتها من رجل شحيح مثلك ، فإنك تستوفيها من ميراثي"[٨].

---

(١) ابن سعد ، ج١ ، ص١٨٦-١٨٧ . أبو عبيد ، ص٣٤٠ . الطبري ، ج٣ ، ص٤٣٢ ، ص٦١٦ . السرخسي ، ج٣ ، ص١٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٣٠ ، ص٣٢١ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٢٥٧-٢٥٨ ، المنتظم ، ج٤ ، ص٧١-٧٢ ،ص١٢٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٩١ .
ـ إبراهيم حركات ، السياسة والمجتمع في عهد الراشدين ، ص٢١٤ .

(٢) ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٥٨ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٤٩ .

(٣) ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٣٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٣٣٠ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٧٢٩ .

(٤) ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٥٨ . اليعقوبي . تاريخ ، ج٢ ، ص١٤٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٢٩٠ .

(٥) البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٠٨ . ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٧٦ . الطبري ، ج٤ ، ص٢٠٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٤٣ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٣١ .

(٦) ابن أعثم ، ج٢ ، ص٩١ . أنظر : ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٣٨ ، ص٣٥٨ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٢٧ ، ص١٤٩ .ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٩٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٢٨٩-٢٩٠ ، المنتظم ، ج٤ ،ص٣٣٠ .المتقي الهندي ،ج٥، ص٧٢٩.

(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٢٧ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٩٤ .

(٨) ابن سعد ، ج٣ ، ص٢٧٨ . أبو عبيد ، ص٣٤١-٣٤٤ . ابن قتيبة ، عيون ، م١ ، ج٣ ، ص٣٥٦ . المتقي الهندي ، ج١٢ ، ص٦٥٧ .

وفي خلافة عثمان بن عفان ازداد استقراض الخليفة من بيت المال قروضاً مستردة أو هبات وقروضاً غير مستردة ، ويذكر أنه استلف مرة مائة ألف درهم وردها عند حلول الأجل ، وأشهد على ذلك عليّ بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله (ت٣٦هـ) والزبير بن العوام (ت٣٦هـ) وسعد بن أبي وقاص (ت٥٦هـ) وعبد الله بن عمر[١]. كما استلف عثمان بن عفان قرضاً آخر من بيت المال ووهبه لسعيد بن العاص (ت٥٨هـ) عند زواجه ، وطلب من عبد الله بن الأرقم صاحب بيت المال أن يكتم ذلك عن الناس ، إلاّ أن عبد الله رفض ذلك. وكتب عثمان صكوكا قيمة كل منها مائة ألف درهم[٢]، وأمر صاحب بيت ماله في المدينة أن يصرف قيمتها لكل واحد من أقاربه في مكة ، كما أمره أن يصرف لعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص ثلاثمائة ألف درهم ، إلاّ أن عبد الله بن الأرقم رفض صرف هذه الصكوك فعزله عثمان عن بيت المال وعين بدلا منه زيداً بن ثابت الأنصاري[٣]. وقيل أن سبب عزله يعود لمطالبته عثمان بتسديد ما عليه من أموال لبيت المال خاصة بعد أن اجتمع للخليفة مال كثير يخصّه وحان موعد توزيع الأعطيات على المسلمين ، فرفض طلبه ، وقد نشبت بينهما بسبب ذلك مشادة كلامية دفعت ابن الأرقم إلى أن يقول لعثمان : " هذه مفاتيح بيت مالكم" ، وترك عمله[٤].

لم يقتصر الاستلاف من بيت المال على الخلفاء وحدهم ، إذ استلف منه الولاة التجار والتجار أيضاً وردّوا ما استلفوه فيما بعد . فيذكر عن سعد بن أبى وقاص والي الكوفة (٢٤-٢٦هـ) أنه استلف أموالاً من بيت مال الكوفة ، ولما تأخّر عن موعد ردّها خاصمه صاحب بيت المال عبد الله بن مسعود[٥]. واستلفت هند بنت عتبة أيام عمر بن الخطاب أربعة آلاف درهم من بيت مال المدينة وتاجرت فيها ، وادّعت بعد ذلك أنها خسرت في تجارتها ممّا اضطر أبو سفيان (ت٣٢هـ) إلى دفع المبلغ إلى بيت المال[٦]. وقال رجل لعبد الله بن عمر: "هل لك في متجر أدلّك عليه تصيب منه ؟ فقال : ما عندي مال ، قال إئت سعدا فاستقرض منه من مال المسلمين ، فاستقرضه خمسة آلاف درهم"[٧]. وطلب ابن شريك الخليفة عثمان بالتجارة في الجاهلية العباس بن ربيعة بن الحارث منه أن يكتب له كتابا إلى عبد الله بن

---

[١] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٤٨-٥٤٩ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨.

[٢] أبو هلال ، ص١٣٠.

[٣] البلاذري . أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٤٨-٥٤٩ . ابن أعثم ، ج٢، ص١٥١. ابن أبي الحديد ،ج٣، ص٣٦ .

[٤] الطبري ، ج٤ ، ص٢٥٢. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص١٤٣. ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٤٢ .

[٥] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق ١ ، ص ٥١٨ . الطبري ، ج٤ ، ص٢٥١-٢٥٢ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦،ص ١٠٥ . ابن الأثير ، ج٣ ، ص٤٢ .

[٦] الطبري ،ج٤، ص٢٢١ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ،ص٣٣.

[٧] البلاذري ، أنساب ،ج١٠ ،ص٢٦ . (المقصود هنا سعد بن أبي وقاص والي العراق آنذاك لعمر بن الخطاب) .

عامر (ت٥٨هـ) عاملة على البصرة (٢٩-٣٢هـ) ليسلفه مائة ألف درهم لحاجته لها ، ففعل عثمان ذلك[1]. وطلب أحد معارف الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) منه أن يأمر صاحب بيت المال أن يسلفه مائتي درهم وأن يردّها من عطائه أو تؤخذ من ميراثه إن مات قبل حلول الأجل[2]. وقد استلف المهلب بن أبي صفره ـ شيخ الأزد وأكبر تجار البصرة ـ ثلاثمائة ألف درهم من بيت المال في البصرة[3]. واستلف الجراح بن عبد الله الحكمي ـ والي عمر بن عبد العزيز على خراسان ـ من بيت مال الولاية مبلغا تراوح ما بين عشرة أو عشرين ألف درهم عندما عُزل عن خراسان ، وقال حينها : "هي عليّ سلف أؤديها للخليفة"[4].

ولم يتوان التجار أحيانا في الاتجار بمال بيت المال عندما كُلّفوا بنقله من مصر لآخر، فيذكر أن عبد الله بن عمر بن الخطاب وأخاه عبيد الله كانا في جيش العراق ، "وعند عودتهما مرّا على أبي موسى الأشعري أمير البصرة ، فقال لهما : لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلته ، ثم قال : بلى ، ها هنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين" ، فأعطاهما إياه وطلب منهما أن يبتاعا به من متاع العراق ويبيعانه في المدينة ، وكتب إلى عمر بالمال ، وعندما عادا طالبهما عمر بالمال والرّبح ، فراجعه عبد الله في ذلك بأن المال لو ضاع لضَمِناه ، فقال أحد جلساء عمر : "لو جعلته قراضا ، فقال عمر : قد جعلته قراضا"، فأخذ رأس المال ونصف الربح[5].

اتّسمت علاقة التجار ببيت المال بالمتانة والتّرابط ، حيث اقترضوا الأموال منه للتجارة وخاصة التجار الخلفاء أو الولاة ، ولم يقتصر الاستقراض من بيت المال على التجار بل تعدّاه لكل من أراد ذلك ، ويبدو أن هذه القروض كانت إلى أجل محدد ودون فائدة مما شجّع رجال الأعمال على أخذ هذه القروض .

استفاد التجار من المواد العينية التي كانت ترد إلى بيت المال سواء كان مصدرها الغنائم أو الخراج أو الجزية ، فكانوا يشترون هذه البضائع إلى أجل دون أن يدفعوا ثمنها . فيذكر أن عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الله بن معمر قد اشتريا رقيقاً من رقيق الخمس وبقي عليهما من ثمنه ثمانين ألف درهم ، ويبدو أن خلافاً حصل بينهما وبين ولاة بيت المال

---

(1) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١، ص٥٢٨ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٠٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص١٦٦ . ابن حجر ، الإصابة، ج١، ص٥٠٦ .

(2) ابن عساكر ، تاريخ ،ج٢٨ ،ص٣١٧ .

(3) الطبري ، ج٦ ، ص٣٢٠ .

(4) المصدر السابق ، ص ٥٦٠ .

(5) السرخسي ،ج٢٢ ، ص١٨ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٧٥ .

في المدينة المنورة ، مما دعا طلحة بن عبيد الله (ت٣٦هـ) للتدخل لحل هذا الخلاف[١]. وورد عن الأشعث بن قيس الكندي (ت٤٠هـ) أنه اشترى رقيقا من رقيق الخمس بالكوفة بعشرة آلاف درهم ، ولما أراد دفع الثمن اختصم مع عامل بيت المال في مقدار الثمن[٢]. وذكر أن رجلا اشترى من بيت المال في الشام حجرا ثمينا بستة آلاف دينار ، "وباعة على غشومته بمائة ألف دينار"[٣].

اشترى التجار من بيت المال المواد العينية نقدا بهدف قيام الدولة بصرف هذا النقد في أعطيات المقاتلين ، فيذكر أنه وبعد معركة نهاوند سنة ٢١هـ أحضر إلى المدينة المنورة سفطين من الجواهر ، فأمر عمر بن الخطاب ببيعها بعطاء الجنود أو حتى بنصف العطاء، فاشتراهما أحد التجار بألفي ألف وباعهما في الحيرة بأربعة آلاف ألف[٤]. وجاء في رواية أخرى ما نصه : " كنا مع معاوية في غزاة ، فغنمنا غنائم كثيرة ، فكان فيها آنية من فضة ، فأمر معاوية رجلا ببيعها من الناس في أعطياتهم"[٥]. ويذكر أن مسؤولية القادة عن بيع الغنائم أتاح لهم التساهل بالأسعار لوجود علاقة صداقة أو قرابة بينهم وبين التجار ، أو لقاء شيء يناله القائد[٦].

أنشئ ديوان العطاء أيام عمر بن الخطاب سنة٢٠هـ إثر الفتوحات الإسلامية الأولى وتبلور مفهوم الدولة ، وسجلت فيه القبائل العربية وفرض لكل منها العطاء السنوي النقدي والأرزاق الشهرية من المواد العينية[٧]. الأمر الذي عنى تفرغها للجهاد والحياة العسكرية الدائمة ، وقد أوجد ذلك ردة فعل سريعة لدى تجار مكة خوفا على وضعهم الاقتصادي ، فقال حكيم بن حزام لعمر بن الخطاب عندما استشار المسلمين في وضع الديوان: "إن قريش أهل تجارة ، ومتى فرضت لهم العطاء خشيت أن يتكلوا عليه فيدعوا التجارة فيأتي من بعدك من يحبس عنهم العطاء وقد خرجت منهم التجارة "[٨]. والشيء نفسه عبر عنه

---

(١) ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٤٠ .

(٢) أبو داود ،ج٣ ، ص٧٨٠-٧٨٣ .

(٣) الواقدي ، فتوح ، ج٢ ، ص٣٠٦ .

(٤) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص ٢٩١ . أبو عبيد ، ص ٣٢٢ . البلاذري ، فتوح ، ص ٤٢٧-٤٢٨ . الدينوري ، ص ١٣٨ . الطبري ، ج٤ ، ص ١١٦-١١٧ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص ٦٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص ٢٧٦. النويري ، ج١٩ ، ص ٢٥٩ . ابن كثير ، ج٧ ، ص ١١١-١١٢ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص ١١٧ .

(٥) الأصبهاني ، ج٢ ، ص ٢٩٧ .

(٦) صالح العلي ، ص ٢١٩ .

(٧) زريف المعايطة ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٨) المزي ، ج٧ ، ص ١٨٩ .

كبير تجار مكة أبو سفيان بن حرب بقوله : "إنك إن فرضت للناس اتّكلوا على الدّيوان وتركوا التجارة "[1].

وقد استفاد التجار من ديوان العطاء ، وذلك من خلال بيع بضاعتهم إلى أشخاص بأجل إلى حين خروج العطاء النقدي أو إلى حين توزيع الأرزاق العينية ، فيذكر أن عمر بن الخطاب كان يقضي ديونه لبيت المال عند خروج عطائه[2]. وكانت أسماء بنت مخرمة بنت جندل تبيع العطر في المدينة المنورة وتستوفي الثمن حين خروج الأعطيات[3]. واشترى زيد ابن الأرقم مرة جارية من امرأة بثمانمائة درهم إلى حين خروج العطاء ، ثم ابتاعتها منه بعد ذلك بستمائة درهم[4].

واقترض الناس المال من التجار أو من غيرهم وسدّدوه وقت توزيع الأعطيات ، فيذكر أن عبد الله بن جعفر (ت٨٠هـ) اقترض من الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٠هـ) مبلغاً من المال إلى حين خروج العطاء[5]. واستلف كذلك الأسود بن يزيد الكوفي من أحد التجار الموالي مبلغاً من المال إلى حين خروج عطائه[6]. كما يذكر أن أحد المقربين إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) وهو عبد الله بن زيد الحكمي طلب منه أن يكتب لصاحب بيت المال أن يسلفه ثمن جارية ويقضيه من عطائه[7]. وكان إياس بن معاوية (ت١٢٢هـ) قاضي البصرة يستلف المال إلى حين خروج العطاء[8]. ويبدو أن اقتراض الناس من بعضهم وما يرافق ذلك من فائدة قد دفع زياد بن أبيه إلى أن يطلب من الناس " الصّرف حسب العطاء بدلا من الاستدانة"[9].

انتشرت ظاهرة استعمال الصكوك المالية بين التجار والناس وبيت المال ، خاصة بعد أن بدأ المسؤول عن بيت المال أو ديوان العطاء يكتب للناس المسجلين في الديوان صكوكا

---

(1) البلاذري ، فتوح ، ص ١٤٢ .

(2) ابن سعد ، ج٣ ، ص ٢٧٦ . الطبري ، ج٤ ، ص ٢٠٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص ١٤٣ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٣١ .

(3) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص ٨٩ . ابن سعد ، ج٨ ، ص ٣٠٠-٣٠١ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص ٢٩٨-٢٩٩ . الأصفهاني ، ج١ ، ص ٧٤ . ابن قدامة ، ص٦٧ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص ٤٥٣ ، ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص ٢٣٢ .

(4) الأصبهاني ، ج٢ ، ص ٢٩٧ .

(5) ابن كثير ، ج٨ ، ص ١٣٧- ١٣٨ .

(6) الأصبهاني ، ج٤ ، ص ٢٣٧ .

(7) ابن عساكر ، تاريخ ، ج ٢٨ ، ص ٣١٨ .

(8) وكيع ، ج١ ، ص ٣٥٤ .

(9) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص ٢٠٨ .

مكتوبة تشبه إلى حد كبير الشيكات في العصر الحديث[١]، وقد قام الناس ببيع ما في هذه الصكوك إلى التجار قبل أوان صرفها[٢]. وأشارت الروايات إلى الصكوك التي أعطيت للمسجلين في ديوان المدينة المنورة بهدف مساعدتهم على استلام أرزاقهم العينية القادمة من مصر إلى ميناء الجار على البحر الأحمر ، حيث أمر عمر بن الخطاب زيد بن ثابت أن يكتب للناس صكوكا من قراطيس ويختم أسافلها لاستلام مالهم من هذه الأرزاق[٣]. ويذكر أبو هريرة (ت٥٩هـ) أن الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم كتبا لأخذها من بيت المال[٤].

وقد قام الناس ببيع ما لديهم من هذه الصكوك للتجار واستوفوا أثمانها نقدا قبل موعد استحقاقها . ولقي هذا البيع معارضة من قبل بعض الصحابة مثل أبي هريرة وزيد بن ثابت وحكيم بن حزام (ت٥٤هـ) ومروان بن الحكم (ت٦٥هـ) وذلك لأنه بيع ما لم يقبض، إضافة إلى أن البعض فهمه أنه شكل من أشكال الربا لما فيه من فائدة كبيرة[٥]. وعلى الرغم من ذلك فقد اشترى التجار هذه الصكوك واستوفوا أثمانها من بيت المال حين دنو أجلها، وقد تم هذا أيام عمر بن الخطاب[٦] وأيام ولاية مروان بن الحكم على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان[٧]، وقد شكل هذا النشاط مصدر ربح عظيم للتجار ، فروي أن عمر بن الخطاب لقي العلاء بن الأسود وسأله : "كم ربح حكيم بن حزام ، فقال : ابتاع من صكوك الجار مائة ألف وربح مائة ألف ، فلقي عمر حكيم ، فقال له : بعته قبل أن تقبضه ؟ قال : نعم ، قال عمر : فإن هذا البيع لا يصلح فاردده ، فقال حكيم : ما علمت أن هذا لا يصلح ، ولا أقدر على رده وقد ذهب وتفرق ، ولكن رأس مالي وربحي صدقه"[٨].

وكتبت الدولة صكوكا للتجار بهدف ضمان تحصيل أثمان بضائعهم أو أموالهم من

---

[١] مالك ، الموطأ ، ص ٢٦٩ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص ١٦٦-١٦٧. اليعقوبي ، تاريخ ،ج٢،ص ١٤٥ . الخوارزمي ، ص ٣٨ . ابن منظور ، ج١٠ ، ص ٤٥٧ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ١٦٧ ، ص ٥٧٢ .
ـ أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ، ص ٣١٦ .

[٢] مالك ، الموطأ ، ص ٢٦٩ . ابن سعد ، ج٨ ، ص ٣٠٠-٣٠١ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن)، فتوح مصر ، ص ١٦٦-١٦٧ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص ٢٩٨ – ٢٩٩ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ١٤٥ . ابن قدامه ، ص ١٦٦-١٦٧ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص ٤٥٣ . ابن منظور ، ج١٠ ، ص ٤٥٧ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص ٢٣٢ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ١٦٧ ، ص ٥٧٢ .

[٣] اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ١٤٥ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ٥٧٢ .

[٤] ابن منظور ، ج١٠ ، ص ٤٥٧ .

[٥] أبو داود ، ج٣ ، ص٧٦٩ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٦٦-١٦٧ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٥١ .وكيع ، ج١ ، ص٣١٨ . ابن الأثير ، ج٢ ، ص٤١ . ابن منظور ، ج١٠ ، ص٤٥٧ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٤٣ ، ص١٥٧ .

[٦] مالك ، الموطأ ، ص ٢٦٩ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، ص ١٦٦ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ١٦٧ .

[٧] ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص ١٦٦-١٦٧ . ابن منظور ، ج١٠ ، ص ٤٥٧ .

[٨] مالك ، الموطأ ، ص ٢٦٩ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، ص ١٦٦ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ١٦٧ .

بيت المال ، فيذكر أن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة – والي حرب وصلاة العراق لسليمان ابن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) – أخذ متاعا وبضاعة من التجار ، فكتب لهم صكوكا لصرفها من صالح بن عبد الرحمن مسؤول ديوان الخراج بالعراق ، وبلغ مقدار أحد هذه الصكاك مائة ألف درهم ، وقد رفض صالح صرفها لتكرار مثل هذا الأمر[١]. وكتب الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) إلى والي خراج مصر أسامه بن زيد التنوخي كتابا يأمره فيه بأن يرسل له فلفلا بعشرين ألف دينار ليهديه إلى ملك الروم ، فاشترى أسامه ذلك من أحد كبار تجار مصر – وهو موسى بن وردان – وأعطاه ثمنها صكوكا ، فقبضها موسى أيام عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)[٢]. وقد استعان العمال كذلك بالتجار ، فأخذوا المال منهم وأعطوهم صكوكا مالية لصرفها من بيت مال مصر آخر ، فيروى أن عبد الله بن الزبير (ت٧٣هـ) لمّا أعلن نفسه خليفة في الفتنة الثانية أخذ الورِق من التجار في مكة وكتب لهم بها صكوكا إلى بيت مال البصرة أو الكوفة ، فاستوفوها دراهماً أجود من دراهمهم[٣].

وبناء على ذلك ، يلاحظ مدى صلة التجار القوية ببيت المال وعلاقتهم الوطيدة به ، وقد شكلت هذه المعاملات التجارية مصدر ربح واسع لهم . ويبدو أن مقدار الأموال التي كان يحصّلها التجار في كل عام من بيت المال أثناء صرف الأعطيات كانت كثيرة ، الأمر الذي دفع الخلفاء ومنهم عمر بن الخطاب لأن يأخذوا زكاة عليها[٤].

وأخذت الدولة صكوكا على الناس بعد أن أسلفتهم من مال الصدقة ، فيذكر أن سليمان ابن عبد الملك (٨٦-٩٩هـ) كتب مرة لأحدهم أن يُدان بألفي دينار من مال الصدقة[٥]، وقد استخدمت الدولة هذه الصكوك كأداة للضغط على المستدينين ، حيث يذكر أنّه "كان السّلطان بالمدينة إذا جاء مال الصدقة ادّان من أراد من قريش فيه وكتب بذلك صكا عليه ، فيستعبدهم به ، ويختلفون إليه ويدارونه ، فإذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه حتى كان هارون الرشيد"[٦].

٢– كان لعلاقة العرب التجارية مع الدول المجاورة قبل الإسلام أثر بالغ في استخدامهم النقود العالمية ، وبخاصة الدينار الذهبي (العملة البيزنطية) ، والدرهم

---

(١) الطبري ، ج٦ ، ص ٥٢٤ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص ١٤٥ .

(٢) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص ٩٩ .

(٣) السرخسي ، ج١٤ ، ص ٣٧ .

(٤) أبو عبيد ، ص ٥٢٠ .

(٥) الأصفهاني ، ج١٣ ، ص٦-٧ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٦ .

الفضي (العملة الفارسية) ، لذا ظهر **الصيارفة** في مجتمع المدن في الجزيرة العربيـــة قبيـل ظهور الإسلام ، وبخاصة في مكة والمدينة المنورة[١]. ولا شك أن النشاط الصيرفي قد ازداد بعد الفتوحات الإسلامية واستقرار العرب في البلاد المفتوحة [٢]. وتُعرّف كتب الفقه (القانون) الإسلامي الصرف بأنه شكل من أشكال البيع[٣]. ويكون إما بيع نقد (عملة) بعملة أخـرى ، أو تحويل هذا النقد إلى نقد آخر[٤]. وكذلك بيع أو مبادلة مواد عينية بمواد عينية أخرى ، كبيـع القمح بالشعير ، أو التمر بالتمر ، أو الحيوان بالحيوان ، أو المعدن بمعدن آخر ، وهكذا[٥].

ولا بد من التنويه إلى أن بيت المال (ديوان العطاء) ، أو واردات بيـت المـال مـن الخراج والجزية والعشور والغنائم حتّمت على الدولة العناية بأمور الصرف بشكل دقيق ، ولا شك أن مراقبة النقود من حيث الوزن والجودة كان مهما بالنسبة للدولة ولبيت المال أيضـاً ، ولذا عمل في هذه الدواوين صرّافون ذو خبرة بأمور الصيرفة ومعرفة النقود وإخراج الزائف منها أو المغشوش[٦]. وقامت الدولة بعد مدّة باستيفاء الضرائب وزناً لا عدداً بعد أن لجأ الناس إلى كسر النقود قبل دفعها للجباة ، حتى أن الدولة لجأت إلى أخذ فرق صـرف العملـة مـن دافعي الضرائب عند تحصيلها منهم[٧].

أصبحت حاجة عامة الناس والتجار والدولة إلى الصيارفة ماسة ولا غنـى عنـها ، وعبّر الجاحظ عن ذلك بقوله : "ولا رأينا الحوائج إلى أحد أهدى منها إلى أموال الصيارفة"[٨]. كما أفاد الصيارفة الدولة في حل مشاكل الفروق بين نوعيات وأوزان وأسعار العملـة بيـن مختلف الأقطار الإسلامية[٩]. وقد واجه التجار وعامة الناس مشكلة صرف العملات وتبديلـها، أو شراء وبيع المواد العينية بمواد عينية أخرى . وتزخر المصادر الإسلامية وخاصة القانونية

---

[١] الدينوري ، ص ٣١٦ . أبو هلال ، ص ١٧٤ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص ٥٤ . ابن خلدون ، ص ٢١٨ .
ـ ول ديورانت ، ج١٣ ، ص ١١٠-١١١ . أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ، ص ٢٦٣ .

[٢] خوله شاكر ، ص ١٦٤ . أحمد عودات وآخرون ، ص ٢٥٣ .

[٣] السرخسي ، ج١٤ ، ص ٣ .

[٤] أنظر أمثلة في : الجاحظ ، البيان ، ج٢ ، ص ١٤٥ . الطبري،ج٤،ص ٢٨٥.الأصبهاني ،ج٦،ص ٥٣.ابن خلكان،ج٤،ص ١٩٩ .

[٥] أنظر أمثلة في : مالـك ، الموطأ ، ص ٢٩١ . الواقدي ، فتوح ، ج٢ ، ص ١٩٢ . الدارمي ، ج٢ ، ص ٢٥٧ .البخاري ،ج٣ ، ص ١٣٣ . أبو داود ، ج٣ ، ص ٦٤٣ . الطبري ، ج٤ ، ص ١٧ . السرخسي ، ج١٤ ، ص ٣٥ .

[٦] أنظر أمثلة مختلفة في : أبو هلال ، ص ١٧٤ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص ٥٣ .

[٧] الماوردي ، ص ٨١ .

[٨] الجاحظ ، رسائل أدبية (رسالة المعلمين) ، ص ٢١١ .

[٩] خوله شاكر ، ص ١٦٣ . أحمد عودات وآخرون ، ص ٢٥٣ .

(الفقهية) منها في التعرض إلى مثل هذه المشاكل وموقف علماء الأمة منها[1].

ونتيجة لأهمية الصّيرفة انتشرت محلات الصّيارفة في أسواق المسلمين في المدن الإسلامية ومراكزها بالقرب من المساجد[2]. وفي النصف الثاني من القرن الهجري الأول ، وجدت أسواق خاصة للصيارفة في المدن الإسلامية ، وقد جعل الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٣-٨١هـ) لهم أسواقا خاصة عندما اختط مدينة واسط[3]، ويشير ابن عساكر (ت٥٧١هـ) في تاريخه عن مدينة دمشق إلى أن الصّيارفة امتلكوا أسواقاً خاصة بهم في المدينة خلال هذه الفترة كذلك[4]. وقد وضع الصيارفة تحت مراقبة المحتسبون ، وعوقب من لجأ منهم إلى بيع الزيوف من الدراهم أو مَن أخلّ بأخلاقيّات المهنة بطرده من السوق[5].

وزاول مهنة الصيرفة المسلمون وأهل الذمة على حد سواء ، وأبدى بعض العلماء كراهيته من التعامل مع الصيارفة الذميين ، ويبدو أن ذلك ناشئ عن تعاملهم بالربا[6]. وقد استعانت الدولة أو بيت مالها بالصيارفة عند حاجتها أو عند عدم توفّر المال لديها بالاقتراض منهم[7].

ظلت أهمية الصيرفة وأسعار العملات مهمة جدا للتجار فكانوا على معرفة بأسعار الصرف في أعمالهم التجارية[8]. وقد اقترض الناس من الصيارفة[9]، وأودعوا أموالهم لديهم[10]، ويشبه عمل الصيارفة البنوك في وقتنا الحاضر . والمثير أن المصادر المختلفة لا تتحدث عن طبيعة وشروط القروض والإيداع لديهم ، وذلك تحاشيا للحديث عن أمور الفائدة

---

[1] أنظر أمثلة على ذلك :

_ مالك ، الموطأ ، ص٢٩٣ ، ص٢٧٢ ، المدونة ، ج٣ ، ص٤١١ . ابن سعد ، ج٦ ، ص٢٢٧ ، ج٧ ، ص٢٠١ . الدارمي ، ج٢ ، ص٢٥٧ ، ص٢٥٩ . البخاري ، ج٣ ، ص١٣٣ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٥٥ . الطبري ، ج٤ ، ص٢٨٥ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٨ ، ج٦ ، ص٥٣ . السرخسي ، ج١٤ ، ص٤ ، ص٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢ ، ص٣٣ ، ص٣٢٨، ج١٥ ، ص٢٩٢ ، ج١٦ ، ص١٩٩ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٣٣ . ابن قدامة ، ص١٩٠ . المزي ، ج١٥ ، ص٢٧٣ ، ج٢٩ ، ص٣٩ .

[2] مالك ، المدونة ، ج٤ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .

_ احمد عودات وآخرون ، ص ٢٥٣ . علي حسني الخربوطلي ، ص ١٨١ .

[3] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٢٠٠ .

[4] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٢٩١ ، تهذيب ، ج١ ، ص ٢١٧ .

[5] البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ١٩٠ .

_ خوله شاكر ، ص ١٦٥ .

[6] أبو يوسف ، ص ٢٤ . مالك ، المدونة ، ج٤ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .

[7] ابن عبد ربه ، ج٥ ، ص ٧٤ .

[8] الدارمي ، ج٢ ، ص ٢٥٩ . أبو داود ، ج٣ ، ص ٦٥١ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٥٦ . السرخسي، ج١٤ ، ص١٩١.

[9] أنظر أمثلة حول ذلك في : الجاحظ ، البيان ، ج٤ ، ص ٧٦ ، رسائل أدبية (رسالة المعلمين) ، ص ٢١١ . المبرد ، ج١ ، ص ٢٠٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٨ ، ص ٣١٧ .

[10] المبرد ، ج١ ، ص ٢٠٩-٢١٠ .

التي كان يجنيها المودع لأمواله أو الصراف الذي يُقدّم القروض للنـــــاس . ويـــورد المـــبرد (ت٢٨٥هــ) رواية تقـــول : "قد أفلس صيرفي مرة بإلحاح الناس أخذ أموالهم التـــي لديـــه ولتعذر أمواله التي كانت عند الناس"[١]. ويبدو أن الصيارفة كانوا عرضة أكثر من غيرهم إلى الإفلاس ، فيذكر الجاحظ (ت٢٥٥هــ) ما يُعبّر عن ذلك بقوله : "ولا أعلم في الأرض أعـــمّ إفلاسا ولا أشد نكبة ولا أكثر تحولا من يسر إلى عسر من الصيارفة "[٢].

من جهة أخرى ، أوردت الروايات معلومات عن جمع بعض الناس لمهنتي التجـــارة والصّيرفة في آن واحد[٣]، مثل : طلحة بن عبيد الله التيمي[٤]، والبراء بن عازب ، وزيد بـــن الأرقم[٥]، وعبد الله بن عمر[٦]، والمقداد بن الأسود[٧]، وسعيد بن المسيب[٨]. ولعـــب التجـــار دورا في رواية معظم الأحاديث التي تناولت الموقف من الصرف[٩].

وذكرت المصادر الحالات التي دفعت التجار وعامة الناس وكذلـــك الصيارفـــة إلـــى التعامل بموضوع الصّرف ، مثل بيع تاجر بضاعة في مصر ما بدراهم ذلك البلد واســـتيفاء أثمانها بمصر آخر من دراهم أخرى[١٠]، أو سداد أحد الناس دينا عليه بدراهم أخـــرى غيـــر الدّراهم التي استدانها أصلا[١١]، أو قدوم تاجر إلى مصر ما ومعه دراهم أو دنانيرأخرى غيـــر الدّراهم والدنانير المستعملة في هذا المصر[١٢]، أو بيع دراهم غير وافية أو فيها زيوف بدراهم

---

[١] المبرد ، ج١، ص٢٠٩ .

[٢] الجاحظ ، رسائل أدبية (رسالة المعلمين) ، ص٢١١ .

[٣] ابن عساكر ، تاريخ ، ج ٢٧ ، ص١٢٠ .

[٤] مالـــك ، الموطأ ، ص٢٩٠ ، البخاري ، ج٣ ، ص ٩٧ . الترمذي ، ج٢ ، ص ٣٥٧ . السرخسي ، ج١٤ ، ص ٣٥ .

[٥] البخاري ، ج٣ ، ص ٧٣ ، ج٥ ، ص ٨٩ . المزي ، ج١٤ ، ص ٧٨ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ١٩١.

[٦] الدارمي ، ج٢ ، ص ٢٥٩ . أبو داود ، ج٣ ، ص ٦٥١ . الترمذي ، ج٢ ، ص ٣٥٦ . السرخسي ، ج١٤ ، ص ٢-٣ .

[٧] ابن سعد ، ج٣ ، ص ١٦٣ .

[٨] مالـــك ، الموطأ ، ص ٢٩١ .

[٩] حول هذه الأحاديث ورواتها التجار ، أنظر : الدارمي ، ج٢ ، ص ٢٥٩ . البخاري ، ج٣ ، ص ٧٣ ، ج٥ ، ص ٨٩ . ابن عبـــد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص ٢٧٧ . أبو داود ، ج٣ ، ص ٦٤٩ –٦٥١ . الترمذي ، ج٢ ، ص ٣٦٣ ،ص ٣٦٥ . الأصبهاني ، ج٩ ، ص ٥٣ . السرخسي ، ج١٤ ، ص ٢–٤ . ابن عساكر ، تـــاريخ ، ج١٢ ، ص ٣٢٨ ، ج١٥ ، ص ٢٩٢ ، ص ٣٠٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص ١٨٢ . المزي ، ج١٤ ، ص ٧٨ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ١٩١ .

[١٠] ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢ ، ص٣٢٨ .

[١١] أنظر الأمثلة في : مالـــك ، الموطأ ، ص ٢٩٣ ، ابن سعد ، ج٧ ، ص ٢٠١ .

[١٢] السرخسي ، ج١٤ ، ص٤ .

أخرى وافية[1]، أو بيع أواني وسبائك فضية أو ذهب بدراهم أو دنانير[2]، أو تمر بتمر ، وهكذا[3]. وقد أشارت المصادر إلى هذه الحالات مُبينة موقف الشارع منها ، ولعل أكثر ما ركّزت عليه هذه المصادر هو الربا في وجوه الصرف وأشكاله بشكل واسع . ويلاحظ أن الفقهاء لم يتفقوا في موقفهم من الصرف ، فمنهم من بيّن كراهيته له ، ومنهم من حرّمه ، ومنهم من أجازه بشرط[4].

ويبدو أن الصّيارفة قاموا بدور الوسيط بين الناس ودور الضرب في الأمصار ، ولا شك أن أمور الصرف قد أخذت بالتبلور والوضوح بعدما قامت الخلافة بضرب الدراهم والدنانير الإسلامية أيام عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ)[5]. وكان لتعامل الصّيارفة بالرّبا وخداعهم وغشهم للناس وجمعهم الأموال الطائلة من خلال ذلك دور في رسم صورة سيئة لهم لدى عامة الناس ، ويتضح ذلك في الحديث المنسوب للرسول (ص) ومفاده : " إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين خونة الله في الأرض ، فيؤتى بالنخاسين والحاكة والصّيارفة[6]."

٣- طرح الإسلام مصطلحات جديدة بديلا للمصطلحات الحضارية القديمة ، وقد حملت هذه المصطلحات مفاهيماً جديدة تتلاءم والفكر الإسلامي ، فقد قدّم الإسلام مصطلح الصّدقة (الزكاة)[7] بدلا لمصطلح الأتاوة[8]

---

(1) ابن سعد ، ج٦ ، ص ٢٢٧ . السرخسي ، ج١٤ ، ص٩ . الأصبهاني ، ج٦ ، ص ٥٣ .

(2) أنظر أمثلة في : مالك ، الموطأ ، ص٢٩٠ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص ٢٩٧-٢٩٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص ١٩٨-١٩٩ . ابن قدامه ، ص ١٩٠ . وكيع ، ج٣ ، ص ٤٨ . السرخسي ، ١٤ ، ص ٤ .

(3) مالك ، الموطأ ، ص ٢٩١ . الدارمي ، ج٢ ، ص ٢٥٧ . البخاري ، ج٣ ، ص ١٢٩ ، ص ١٣٣ . السرخسي ، ج١٤ ، ص ٣٥ . ابن كثير ، ج٤ ، ص ٢٠٣ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ١٩٢ .

(4) مالك ، الموطأ ، ص ٢٩٠-٢٩١ ، ص ٢٧٢ . ابن سعد ، ج٦ ، ص ٢٢٧. الدارمي ، ج٢ ، ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٩. البخاري، ج٣ ، ص ٧٣ ، ص ٩٧ ، ص ١٢٩، ج٥ ، ص٨٩ . أبو داود ،ج٣ ،ص ٦٤٣ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٥٥ ،ص ٣٥٧ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص ٢٩٧-٢٩٨ . السرخسي ، ج١٤ ، ص ٩ ، ص ٣٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢، ص ٢٣، ج ١٥، ص ٢٩٢ ،ج ١٦، ص ١٩٩ ، ج٢٦ ، ص ١٩٨-١٩٩ ، تهذيب ، ج٤ ، ص ٣٣ . ابن قدامه ، ص ٩٠. المزي ، ج١٤ ،ص ٧٨ ، ج١٥، ص ٢٧٣ ، ج٢٩ ،ص ٣٩ . ابن قدامه ، ص ١٩٠. ابن كثير ، ج٤ ، ص ٢٠٣ .المتقي الهندي ،ج٤ ، ص ١٩٠، ص ١٩١ .

(5) الدينوري ، ص ٣١٦ . أبو هلال ، ص ١٧٤ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص ٥٤ . ابن خلدون ، ص ٢١٨ .
_ خوله شاكر ، ص ١٦٤ ، ص ١٦٥-١٦٦ .

(6) المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ٣٩ .

(7) الخوارزمي ، ص ١٠ .

(8) الجاحظ ، الحيوان ، ج٦ ، ص ٨٠ ، ص ١٤٩ .
_ سعيد الأفغاني ، ص ٣٠١ .

(المكوس[١] **والعشور**[٢]) ، وأكّد القرآن الكريم والرسول (ص) أن الصدقة تحمل معنى القربى إلى الله ، وعدّها شكلا من أشكال العبادة ، لذا قرنت دائما بالصلاة والصوم في كتاب الله العزيز . كما أن مقدار الصدقات المفروضة (الزكاة) كانت أقل بكثير من الإتاوة التي كان يدفعها العرب لملوكهم[٣]. وربما ساعد هذا في تنمية أموال المسلمين .

واللافت للنظر موقف الإسلام من الضرائب التي كان يدفعها التجار ، فيذكر أنّ الرسول (ص) ألغى العشور عنهم ، فقد جاء في كتابه إلى ثقيف : "لا يُحشرون ولا يعشّرون"[٤]. وورد في كتابه لقبيلة غامد : "فمن أسلم من غامد فله ما للمسلم ، حُرّم ماله ودمه، لا يحشر ، ولا يُعشّر"[٥]. وكتب كذلك لبني عذرة : "لا يُحشرون ولا يعشّرون"[٦]. والشيء نفسه حصل في موقف الرسول (ص) من أهل البحرين ودومة الجندل ، وغيرهم ممن دخل في الإسلام[٧].

ويتضح موقف الرسول (ص) من إعفاء التجار المسلمين من العشور وفرض الصدقة (الزكاة) عليهم من الأحاديث المروية عنه ، حيث قال : "العشور على اليهود والنصارى وليس على أهل الإسلام إنما عليهم الصدقة"[٨]. وفي حديث آخر قال : "إنما العشور على اليهود والنصارى ، وليس على أهل الإسلام عشور"[٩].

وبعد انتصار المسلمين في فتوحاتهم الأولى واتّضاح مفهوم دولة الخلافة ومؤسساتها الحضارية عندهم ، كان لا بد من تنظيم جباية الضرائب من التجار ، سواء المسلمين منهم أو

---

[١] ابن فارس ، ج٥ ، ص٣٤٥ . الجوهري ، ج٣ ، ص٩٧٩ . الخوارزمي ، ص٤٠ . ابن منظور ، ج٦ ، ص٢٢٠ . الفيروز أبادي ، ج٢ ، ص٢١٦ . القريزي ، ج٢ ، ص١٢١ .

ـ أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ، ص٤٦ . إبراهيم حركات ، الساسة والمجتمع في عهد الراشدين ،ص٢١١ ،سعيد الأفغاني ، ص٣٠١ .

[٢] أبو عبيد ، ص ٦٣٦ . ابن حبيب ، ص ٢٦٣-٢٦٦ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص ٢٣٩ . البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١، ص ٤٣٠ . ابن قيم الجوزيه ، ج١ ، ص ١٥٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص ٥٥١ .

[٣] صالح العلي ، ص ٢١١ . علي الخربوطلي ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

[٤] أبو عبيد ، ص ٢٤٨ ، ص ٦٣٦ . ابن قيم الجوزيه ، ج١ ، ص ١٥٣ . ابن كثير ، ج٥ ، ص ٣٠ .

[٥] ابن عساكر ، تاريخ ، ج١١ ، ص ٣٠٥ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص ١٤١ .

[٦] ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٨١ .

[٧] أبو عبيد ، ص ٦٣٦ . ابن قيم الجوزيه ، ج١ ، ص ١٥٣ .

[٨] أبو عبيد ، ص ٦٣٦ . أبو داود ، ج٣ ، ص ٤٣٥ . الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص ١٥٣ . ابن الأثير ، أسد ، ج١ ،ص ٣٩٦ ، ج٣ ، ص ٣٣٩ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص ١٦ .

[٩] يحيى بن معين ، ج١ ، ص ٢٣٥ . ابن قيم الجوزيه ، ج١ ، ص ١٥٤ .

أهل الذمة أو أهل الحرب ، وقد تم ذلك في خلافة عمر بن الخطاب ، الأمر الذي دفع الرواة لأن يعتبروه أنه أول من فرض العشور على التجار في دولة الإسلام[1].

تجمع الروايات على أن مقادير الضرائب التي فرضها عمر بن الخطاب على التجار من رعايا دولة الخلافة كانت : ربع العشر على التاجر المسلم ، ونصف العشر على التاجر من أهل الذمة ، وفرض العشر على التجار الذين لم يعدوا من رعايا الدولة الإسلامية[2]. ويتضح أن الإسلام قد فرض على التاجر المسلم أقل الضرائب مقارنة بالذمي الذي يأتي في المرتبة الثانية ، بينما فرض الضرائب المرتفعة على أهل الحرب الذين لم يعتبروا من رعايا الدولة الإسلامية ، الأمر الذي مكن التاجر المسلم من السيطرة على التجارة والأسواق ، ويليه تاجر أهل الذمة ، في حين أعطيت أقل الامتيازات للتجار من أهل الحرب .

خففت الدولة الضرائب عن بعض المواد التي احتاجتها بعض المناطق ، وذلك لإغراء التجار في جلبها إلى تلك المنطقة ، فقد أخذ السائب بن يزيد وعبد الله بن عتبه ـ عمال عمر ابن الخطاب على المدينة ـ نصف العشر من تجار النبط والقبط وهم من أهل الحرب بهدف تشجيعهم على توريد الحنطة والزيت إلى المدينة المنورة بسبب حاجة سكانها لهذه البضائع[3]. وأكد مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) أنه إذا اكترى نصرانيا إبلا للتجارة إلى المدينة المنورة، فإن على صاحب العشور أن لا يأخذ العشور منه ، وذلك تشجيعا له لجلب البضاعة إلى الحجاز[4].

استمر بنو أمية في سياسة وضع العشور على التجارة ونظموا ذلك بشكل واضح ، وعينوا عمالا لها . فيذكر أن ذكوان ـ مولى عمر بن الخطاب ـ تولى لمعاوية عشور الكوفة[5]، كما كان عاملا على نفس العمل أيام الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) ، ثم عزله وعين الضحاك بن قيس الفهري على عشور منطقة الكوفة[6]. وذكر أن مسروق بن

---

(1) أبو يوسف ، ص ١٣٥ . يحيى بن آدم ، ص ١٧٣ . أبو عبيد ، ص ٨٧ . أبو هلال ، ص ١٢٥ . المقريزي ، ج١ ، ص ١٠٣ ، ج٢ ، ص ١٢٢ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ٥١٢ .
ـ خولة شاكر ص ١٠٨ .

(2) مالك ، الموطأ ، ص ١١٦ ، أبو يوسف ، ص ١٢٠-١٢١ ، ص ١٣٢-١٣٣ ، ص ١٣٥ ، ص ١٣٧ . يحيى بن آدم ، ص ٢٥ ، ص ١٧٣ . ابن سعد ، ج٧ ، ص ٢٠٧ . أبو عبيد ، ص ٥١٦ ، ص ٦٣٠ ، ص ٦٣٦ ، ص ٦٣٨ . ابن قيم الجوزيه ، ج١ ، ص ١٥٣ ، ص ١٥٤ . المقريزي ، ج١ ، ص ١٠٣ ، ص ١٥٣-١٥٤ ، ج٢ ، ص١٢٢ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ٥١٢ .

(3) مالك ، الموطأ ، ص ١١٦ . ابن سعد ، ج٥ ، ص ٥٨ . أبو عبيد ، ص٦٤١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٠ ، ص ١١٧ ، تهذيب ، ج٦ ، ص ٦٤ . المقريزي ، ج٢ ، ص ١٢١ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص ٥١٣ .

(4) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٢٨١ .

(5) ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٤٩١ .

(6) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٥ ، ص٢٥٣ .

الأجدع تولى مهمة تعشير التجار الذين يمرون من نهر الفرات قرب الكوفة في موضع عرف بالسلسلة ، وبقي على عمله طيلة فترة ولاية زياد بن أبيه (٤٥-٥٣هـ)[1]. وممّن عمل عشارا في هذا الموقع حميد بن عبد الرحمن الحميري[2]. وتولى خالد بن مهران عشور البصرة[3]. وتولى زريق بن حيان الفزاري (ت١٠٥هـ) تعشير التجار في مصر أيام الوليد ابن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٦هـ) وأخيه سليمان (٩٦-٩٩هـ) ، وكذلك أيام عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)[4].

وقام بنو أمية ورجال إدارتهم بوضع نقاط التعشير (الجمارك) على طرق التجارة بين المدن وبين الأقاليم ، كما وضعوا أيضاً نقاطا على الأنهار وأقاموا سلاسل حديدية لاعتراض السفن بهدف أخذ الضرائب المستحقة على البضائع ، فيذكر عن زياد بن حدير ـ الذي عمل في نقطة تعشير التجار بالقرب من الكوفة على الفرات أيام عمر بن الخطاب ـ أنه مّد سلسلة أو حبلا على النهر[5]، وقد انتقد مسروق بن الأجدع ، الذي عمل في نفس المكان ، هذا الأسلوب ، فقال: "والله ما عملت عملا أخوف عندي أن يدخلني النار من عملكم هذا ، وما بي أن أكون قد ظلمت فيه مسلما ولا معاهدا دينارا أو درهما ، ولكني لا أدري ما هذا الحبل الذي لم يسنّه الرسول (ص) ولا أبو بكر ولا عمر ، فقالوا له : فما حملك على أن دخلت فيه ؟ قال: لم يدعني زياد ولا شريح ولا الشيطان حتى دخلت فيه"[6]. ويشير قول مسروق بن الأجدع إلى بدايات التنظيم والتشدد في أخذ العشور من التجار في الفترة السفيانية . وقد بُني كذلك ولنفس الغرض المراصد ، سواء في الأنهار مثل مرصد تكريت على نهر دجلة ، أو في البحار . وأقام الأمويون نقاط التّفتيش على طرق التّجارة هنا وهناك[7].

وتشير الروايات إلى الأساليب التي كانت تتّبع لوضع العشور على البضاعة ، فيشار أولا إلى أن العشار كان معه ترجمانا يترجم له عندما يمرّ تجار من أهل الذمة أو أهل الحرب ببضاعتهم وهم لا يجيدون العربية[8]. وكان العشار يقوم بمعاينة البضاعة بنفسه والاطّلاع على

---

(1) أبو يوسف ، ص ١٣٧ . ابن سعد ، ج٨ ، ص ٤٩٦ . أبو عبيد ، ص ٦٣٥-٦٣٦ ، ص٦٣٧ . البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١، ص ١٣٠ .

(2) أبو عبيد ، ص ٦٤٨ .

(3) ابن سعد ، ج٧ ، ص ٢٧ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص ١٩٢ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٣ ، ص ١٢١.

(4) أبو عبيد ، ص ٥١٦ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ١٤٠ ، تهذيب ، ج٣ ، ص ٢٧٤ ، ج٥ ، ص ٣٢٤ . المزي ، ج٩ ، ص ١٨١ . المقريزي ، ج٢ ، ص ١٢٢ .

(5) أبو يوسف ، ص ١٣٦ . أبو عبيد ، ص ٦٣٧ ، ص ٦٤٨ .

(6) أبو عبيد ، ص ٦٣٥ .

(7) خولة شاكر ، ص ١٠٩ .

(8) أبو يوسف ، ص ١٣٧ . ابن سعد ، ج٨ ، ص ٤٩٦ .

كميتها ونوعيتها ، ثم يقوم هو بتقدير سعرها ويفرض كمية الضرائب المستحقة عليها[1].
وتشير بعض الروايات إلى أن العشار لم يطّلع في بعض الأحيان على البضاعة ، وكان يطلب من التاجر الحلف أو اليمين على صحة معلوماته عن بضاعته ، وذلك في حالة أن فتح البضاعة ربما يكون فيه الضرر والتلف لها[2]. فيذكر عن رجل من بني ضبّه قوله : " إنّني مررت على حميد بن عبد الرحمن الحميري وهو على السلسلة بسفينتي التي حبسها حميد ثم استحلفني أنه ما في سفينتي إلاّ ما سمّيت من بضاعة"[3]. ويذكر أن أحدهم مرّ على عبد الله بن معقل وهو على السلسلة ـ أي على عشور التجارة ـ وهو يحلّف الناس ، فقال له : "يا ابن معقل لم تحلف الناس تلقيهم في النار ، هلكت وأهلكت ؟! فقال : إني إن لم أفعل ذلك لم يعطوني شيئاً "[4]. ولعل هذا يفسّر ما قاله عمر بن الخطاب : "لا تفتّشوا على الناس متاعهم"[5]. والأرجح أن التجار استغلوا عدم تفتيش بضائعهم وعملوا على تهريب البضائع التي بالإمكان إخفاءها عن العشارين ، وهذا ما يستدل به من القول عن المسك أنه "إذا قرب من بلد الأبلة ارتفعت رائحته فلا يمكن للتجار أن يستروه من العشارين"[6].

وأدّى تشدد عمال العشور في أخذ مستحقاتهم من التجار . إلى حصول خلافات بينهم وبين التجار في مقدار الدفع ، الأمر الذي دفع العشارين إلى حجز السفن أو بضاعتها[7].

ويبدو أن العشارين قد تجاوزوا في جمع الضرائب من التجارة ، ولعل في التعليمات التي أصدرها عمر بن عبد العزيز إلى عمال العشور ما يؤكد ذلك ، فقد بعث إليهم منشوراً يؤكّد عليهم أن يأخذوا العشر من أهل الحرب ، ونصف العشر من أهل الذمة ، وربع العشر من المسلمين[8]. وجاء في رسالة بعثها إلى عامله على عشور مصر زريق بن حيان ما نصه: "انظر من مرّ عليك من المسلمين ، فخذ مما ظهر من أموالهم العين ومما ظهر من التجارات من كل أربعين ديناراً ديناراً ، وما نقص فبحسبان ذلك حتى يبلغ عشرين ديناراً ، فإن نقصت فدعها ولا تأخذ منها ، وإذا مرّ عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجاراتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً ، فما نقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشر دنانير ثم دعها لا تأخذ منها شيئاً"[9].

---

[1] أبو يوسف ، ص ١٣٦ . يحيى بن آدم ، ص ٧٠ . أبو عبيد ، ص ٦٤٨ . المقريزي ، ج٢ ، ص ١٢٢ .

[2] السرخسي ، ج٢ ، ص ٢٠٠ .

[3] أبو عبيد ، ص ٦٤٨ .

[4] المصدر السابق ، ص ٦٤٩ .

[5] السرخسي ، ج٢ ، ص ٢٠٠ .

[6] اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٦٥ . النويري ، ج١٢ ، ص ١٢.

[7] الأصبهاني ، ج٢ ، ص ٣٧٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص ٢٨١ .

[8] السرخسي ، ج٢ ، ص ١٩٩ .

[9] أبو يوسف ، ص ١٣٧ . أبو عبيد ، ص ٥١٦ ، ص ٦٤١ . السرخسي ، ج٢ ، ص ١٩٩ . المقريزي ، ج٢ ، ص١٢٢ .

ويبدو أن كثيراً من العشارين أيام عمر بن الخطاب أخذوا الضرائب من التجار في كل مرة مروا فيها على نقطة التعشير[1]، وقد استمر ذلك في بعض المناطق أيام بني أمية خاصة مصر ، ويفهم هذا من خلال رسالة بعث بها عمر بن عبد العزيز إلى عامله على مكوس مصر زريق بن حيان ، وجاء فيها : "اكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم إلى مثلها إلى الحول"[2]. وأكّد كثير من العلماء على ضرورة أخذ العشور من التجار مرة واحدة في السنة وعدم جواز أخذها أكثر من مرة ، واعتبروا ذلك شططا وخروجاً عن السنة[3].

وتذكر المصادر أن هناك بضائع معفاة من العشور ، مثل هدايا الخلفاء والأمراء التي تأتي لهم من ملوك دار الحرب أو غيرهم[4]. ويبدو أن البضائع التجارية للأمراء والخلفاء قد أعفيت من المراقبة أو التفتيش ، وبالتالي من خضوعها للضرائب ، ويورد البلاذري (ت٢٩٧هـ) رواية على لسان أحدهم يقول فيها : "كنت مع مسروق بن الأجدع في السلسلة ، فمرت به سفن فيها أصنام صفر تماثيل الرجال ، فسألهم عنها فقالوا : بعث بها معاوية إلى أرض السند والهند تباع له ، فقال مسروق : لو أعلم أنهم يقتلونني لغرّقتها ، ولكنني أخاف أن يعذّبوني ثم يفتنوني ، والله ما أدري أيّ الرجلين معاوية ، أرجل يئس من الآخرة فهو يتمتع من الدنيا ، أم رجل زُيّن له سوء عمله"[5].

وكان الولاة يعفون التجار المقربين لهم من دفع العشور عند دخول الولايات الخاضعة لحكمهم، ويستدل هذا من رواية الواقدي (ت٢٠٧هـ) التي تشير إلى أن أبا كثير مولى أسلم كانت له صلات جيدة مع والي مصر عبد العزيز بن مروان ، وقد سأله عبد العزيز مرة : " ألك حاجة ؟ قال : نعم ، توضع عني العشور إذا دخلت مصر بتجارتي ، فقال : نعم ، ووضعها عنه"[6].

وقد أعفيت الأموال التي لم تكن للتجارة من ضريبة العشور وإن مرت على العاشر[7]، وأعفي كذلك التجار العبيد المكاتبين[8]، ويذكر عمرو بن ميمون عن جدته أنها قالت : "مررت على مسروق بن الأجدع في السلسلة ومعي ستون ثوراً تحمل الجبن والجوز ، فقال لها

---

(1) أبو يوسف ، ص ١٣٦ . يحيى بن آدم ، ص٦٨ . أبو عبيد، ص٦٤٦ . الأصبهاني ، ج٤ ، ص١٩٨. المقريزي ، ج٢ ، ص١٢٢ .

(2) أبو يوسف ، ص ١٣٧. أبو عبيد ، ص ٥١٦ ، ص٦٤١ . السرخسي ،ج٢ ، ص١٩٩ . المقريزي ، ج٢ ، ص ١٢٢ .
ـ إبراهيم حركات ، السياسة والمجتمع في العصر الأموي ، ص٢٥٣ .

(3) أبو عبيد ، ص٦٤٣ ، ص٦٤٦-٦٤٧ . يحيى بن آدم ، ص ٢٥ . ابن قيم الجوزيه ، ج١ ، ص١٦٢ .

(4) أبو يوسف ، ص ١٨٨ .

(5) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص ١٣٠.

(6) المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٢٠٧ .

(7) أبو يوسف ، ص ١٣٣ .

(8) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص ٢٤٩ .

مسروق : ما أنت ؟ فقالت : مكاتبه ، فقال : خلّو سبيلها ، ليس على مال مكاتب أو مملوك زكاة "[1]. ولم يدفع التاجر المسلم ولا الذمي عشوراً ما دام عليه ديون للآخرين ، عكس الحربي الذي يؤخذ منه العشر ولا ينظر إلى حالته إن كان مديوناً أم لا[2].

إضافة إلى الممارسات التي مارسها العشارون وأضرت بالتجار كرفع قيمة العشور ، أو تحصيلها منهم كلما مروا عن نقطة ضريبية جديدة ، أو تقدير أسعار البضاعة كيفما أحبوا ووضع ما يريدون على التجار ، فإنه يبدو أن العشّارين أو كثيراً منهم ، وخاصة ممن أشرفوا على الأسواق ، جمعوا عشور ما باعه التجار في كل يوم ، وهو أمر استشف مما روي عن الحارث بن الحكم بن أبي العاص والذي كان على سوق المدينة المنورة لعثمان بن عفان[3]. وذكرت المصادر هذه المشكلة عند الحديث عن سيرة عمر بن عبد العزيز ، وإجراءاته الإصلاحية اتجاه أمر الضرائب المفروضة على التجارة ، حيث أكّد أوّلاً على ضرورة الالتزام بمقدار العشور على المسلم والذّمي والحربي ، وعدم وضعها حسب أهواء العمّال أو الدولة[4]. وتذكر المصادر موقفه من إلغاء المكوس التي توضع على التجار[5]، ويبدو أن المكوس هذه هي ضرائب إضافية كانت تفرض على التجار إضافة إلى العشور[6].

أوردت المصادر صورة بشعة لجباة الضرائب على اختلاف أنواعها ، وتعود جذور هذه الصورة السّيئة إلى فترة ما قبل الإسلام[7]. وقد لعب التجار والباعة دوراً كبيراً في تشويه شخص العشار أو جباة الضرائب ، ولم تقتصر هذه الصورة على تراث العرب والمسلمين ، بل وجدت لدى جميع الشعوب والأمم ، فقد قيل أن داود نبي الله قد خرج ليلة فقال : "لا يسأل الله أحداً إلاّ استجيب له ، إلاّ أن يكون ساحراً أو عشاراً "[8]. وقد رويت عن الرسول (ص) أحاديث كثيرة في هذا الباب ، منها قوله عليه السلام : "لا يدخل الجنة صاحب مكس ـ يعني

---

[1] أبو يوسف ، ص ١٣٧ . مالك ، المدونة ، ج١ ، ص ٢٨١ . ابن سعد ، ج٨ ، ص ٤٩٦ . السرخسي ، ج٢ ، ص٢٠١ .

[2] مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٢٨٠ . أبو يوسف ، ص١٣٤ . يحيى بن آدم ، ص ٦٩ . أبو عبيد ، ص٦٤٣ ، ص٦٤٨ . السرخسي ، ج٢ ، ص٢٠٠ .

[3] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص ٥٣٧ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٢٨٣ . أبو هلال ، ص١٣١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص ٢٦٨ .

[4] أبو يوسف ، ص ١٣٧ . أبو عبيد ، ص٥١٦ ، ص ٦٤١ . السرخسي ، ج٢ ، ص ١٩٩ . المقريزي ، ج٢ ، ص١٢٢.

[5] مالك المدونة ، ج١ ، ص٢٨٠ . ابن سعد ، ج٥ ، ص ٣٨٣ . أبو عبيد ، ص ٦٣٣ . الأصبهاني ، ج٥ ، ص ٣٠٦ . ابن قيم الجوزيه ، ج١ ، ص١٥٠-١٥١ . المقريزي ، ج١ ، ص١٠٣ .

[6] أنظر أمثلة في : البلاذري ، أنساب ، ج٤ ،ق١، ص٢٢٣ ، ص٥٣٧ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٢٨٣ . أبو هلال ، ص١٣١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٦ ، ص٦٥ ، ج٢٠ ، ص٢٧٠-٢٧١ ، تهذيب ، ج٥ ، ص٤٧ ، ج٦ ، ص١٦٩-١٧٠ . الديار البكري ، ج٢ ، ص ٢٦٨ .

[7] الجاحظ ، الحيوان ، ج٦ ، ص٨٠ ، ص١٤٩. كانوا يزعمون أن الله قد مسخ الجباة إلى كلاب وضباع .

[8] المتقي الهندي ، ج٦ ، ص٧٤٣ .

عشار"[1]. وذكر عنه قوله : "إذا انتصف الليل أمر الله تعالى مناديا ينادي : هل من مستغفر فأغفر له ، هل من داع فأجيبه ، هل من سائل فأعطيه ، فما تـردّ دعـوة داع إلاّ زانيـة أو عشار"[2]. وقيل عنه أنه قال : "إن صاحب المكس لا يُسأل عن شيء يؤخذ كما هو فيرمى في النار"[3]. وذكر عنه (ص) أيضاً قوله : "إن لقيتم عشاراً فاقتلوه"[4].

وانطلاقاً من هذا فقد هاب كثير من العلماء والأتقياء المسلمين العمل في هذا المجال ، فيذكر أن عمر بن الخطاب أراد استعمال أنس بن مالك على العشور ، فقال له : " أتستعملني على المكس من عملك؟ "[5]. والشيء نفسه قاله أنس بن سيرين لمولاه أنس بن مالك عندما طلب منه أن يتولى عشور الأبلة في البصرة ، حيث قال : "أتستعملني على المكس من شرّ عملك"[6]. ويذكر أن كعب الأحبار أوصى خالد بن ثابت الفهمي ، حين خرج مع عمرو ابن العاص (ت٤٣هـ) إلى مصر، بقوله له : "لا تقرب المكس فإن صاحبه بالنار"[7]. ويفهم هذا من قول مالك بن دينار عندما مرّ على عشارين في عملهم وطلبوا منه أن يدعو لهم، فأجابهم : " كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم ، أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف"[8].

٤ـ كانت بلاد العرب ممّراً لطرق التجارة العالمية التي تربط مناطق الانتاج (المنطقة الإستوائية) ومناطق الاستهلاك (بلاد ما بين النهرين ، وبلاد الشام ، وشمال إفريقية وأوروبا)[9]، لذا توزعت في أنحاء الجزيرة العربية أسواق محلية وأسواق عالمية ، مثل : دومة الجندل ، والمشقر ، وصُحار (عمان) ، ودبا (عمان) ، وعدن ، وصنعاء ، والرابية

---

[1] أبو عبيد ، ص٦٣٢ . الدارمي ، ج١ ، ص٣٩٣ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٢٣١. أبو داود ، ج٣ ، ص٣٤٩ . الجوهري ، ج٣ ، ص٩٧٩ . ابن منظور ، ج٦،ص٢٢٠ .

[2] ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣٧٢-٣٧٣ .

[3] أبو عبيد ،ص١٣٣ . ابن قيم الجوزيه ، ج١ ، ص١٥٠ .

[4] أبو عبيد ، ص٦٣٤ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٢٣١ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٢٨٥ . الزبيدي ، ج٣ ، ص٤٠٠ . أنظر أحاديث أخرى في : الجاحظ ، الحيوان ، ج٦ ، ص٨٠ ، ص١٤٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٣٧٤ . المقريزي ج٢ ، ص١٢٣ .

[5] السرخسي ، ج٢ ص١٩٩ .

[6] أبو يوسف ، ص١٣٧ . ابن سعد ، ج٧ ، ص٢٠٧ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٩ ،ص٣٢١ . ابن منظور ، ج٦ ، ص٢٢٠ . المقريزي ، ج٢ ، ص١٢٣ .

[7] أبو عبيد ، ص٦٣٣ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١١٢ ، ص٢٣١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٦ ، ص١٠-١١ . المقريزي ، ج٢ ، ص١٢٣ . السيوطي ، ج١ ، ص١٥١ ، ج٢ ، ص١٣٦ .

[8] الأصبهاني ، ج٢ ، ص ٣٧٤ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٢٨١ .

[9] محمد سعيد طالب ، ص٢٣٨ . نبيله حسن محمد ، ص٣٩ . سعيد الأفغاني ، ص١٥ ، لبيد إبراهيم أحمد ، ص١٢٥. غوستاف لوبون ، ص٦٦٢-٦٧٠ . أنور الرفاعي ، الإنسان العربي ، ص٣٠٤ .

(حضرموت) ، وعكاظ وذي مجاز ومجنة (حول مكة) ، ونطاط (خيبر) ، وحجر (اليمامة)[1].
ولارتباط العرب بمكة من الناحيتين الدينية والتجارية ، فقد كانت أسواقها من أشهر الأسواق التي يجتمع فيها العرب وغيرهم[2]. ويبدو أن الحجاز وموقعه وتوسطه بين الشام واليمن وشرق الجزيرة وساحل البحر الأحمر الغربي جعل له أهمية تجارية كبيرة ، لذا فقد كثرت فيه الأسواق ، وكانت المدن والتجمعات السكنيّة فيه محط أنظار التجار ، فيقول ابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) مبيناً ذلك: "كانت المدينة ومكة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل مجامع أسواق العرب ، لذا سميت بأمهات القرى"[3] وانطلاقا من هذا يمكن القول أن الإسلام نشأ في بيئة ومنطقة على قدر كبير من الأهمية التجارية ، وهي محط أنظار سكان المنطقة من الناحية الاقتصادية[4].

وبعد هجرة الرسول (ص) وأصحابه إلى المدينة المنورة ونشاط المهاجرين التجاري ذكرت المصادر مجموعة من الأسواق الهامة فيها ، ولعل أهم هذه الأسواق هو سوق بني قينقاع ، وقد تركزت فعاليات المسلمين ابتداء في هذا السوق ، فيذكر أن الرسول (ص) وأبا هريرة كانا يترددان عليه[5]. ويقال أن عبد الرحمن بن عوف عندما هاجر إلى المدينة طلب أن يدلّونه على سوق المدينة ، فدلوه على سوق بني قينقاع[6]. وكان عثمان بن عفان يشتري التّمر من سوق بني قينقاع ويجلبه إلى داخل المدينة[7]. وكانت نساء المسلمين يرتدن سوق بني قينقاع مما أثار حفيظة المسلمين اتّجاه تصرّفات اليهود اللاأخلاقية[8]. وإن في مناداة واثلة بن الأسقع بن كعب الليثي (ت ٨٣ هـ) في سوق بني قينقاع أثناء الإعداد لغزوة تبوك : "من

---

[1] ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦٣-٢٦٨ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص ٢٣٩-٢٤٠ . البكري ، ج٣ ، ص٩٥٩ ، ج٤ ، ص ١١٨٥ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٣٥ ، ج٣ ، ص٣٦٤ ، ج٥ ، ص٥٥ . ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص٥١١ .
ـ أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ، ص٤٨-٤٩ ، الإنسان العربي ، ص١٧١-١٧٤ . إبراهيم حركات ، السياسة والمجتمع في العصر النبوي ، ص٢٧١ . سعيد الأفغاني ، ص٢٢٦-٢٢٧.

[2] ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١٠٢ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٤١٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص١١٨ ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٧٢ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٥٩ . المزي ، ج٧ ، ص ١٧٥-١٧٦ . القلقشندي ، ج١ ، ص٤١٠ .

[3] ابن عبد ربه ، ج٦ ، ص٢٧ .

[4] عن ذلك أنظر : ١٦٥-٢٢٧. Lombard , M. P.

[5] ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٣ ، ص١٩٢ .

[6] البخاري ، صحيح ، ج٣ ، ص٦٩ .

[7] ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٢٣٦ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٤١ ، ص١٧٦ .

[8] البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٠٩ . أبو هلال ، ص ٩٠ . النويري ، ج١٧ ، ص ٦٨ .

يحملني وله سهمي" لدليل على أهمية هذا السوق في هذه الفترة[1]. وتتحدث الروايات عن سوق آخر اسمه سوق النبط كان الرسول (ص)[2] وحكيم بن حزام يتردّدان عليه[3].

ويبدو أن الرسول (ص) عمل على إنشاء سوق خاص بالمسلمين ، فأقام سوق المدينة[4] وكان يتفقده بنفسه[5]، وقام بعد ذلك بخطوة جريئة حين قام بإعفاء التجار فيه من الضرائب (الخراج) ، فيذكر عن الرسول (ص) قوله في هذا المجال : "إن سوقكم هذا ، لا يؤخذ منه خراج ولا غلّة"[6]، مما جعل الأنباط من الشام يرتادونه لبيع بضاعتهم ، وخاصة الدّرمك – دقيق الحواري – وشراء التمر منه[7]. وقد نشط سوق المدينة أيام الراشدين ، فلما تولّى عثمان بن عفان الخلافة أقطعه الحارث بن الحكم ، فقام الأخير بالإشراف عليه والتحكم فيه وبمقاعده وبأسعاره ، فيذكر الواقدي (ت٢٠٧هـ) : "وكان عثمان ولّى الحارث السوق فكان يشتري الجلب بحكمه ويبيعه بسوْمه ، ويجبي مقاعد المتسوّقين ويصنع صنيعاً منكراً "[8]. ويذكر المدائني (ت٢٢٥هـ) أن الحارث كان يجبي عشوره إليه[9].

وبعد انتشار العرب واستقرارهم في البلاد المفتوحة ، اتّسعت الأسواق وازدهرت بالشعراء والعلماء ووفود القبائل ، وهو أمر غاب عنها بسبب الفتوحات[10]. وبدأ يظهر في الدولة نوع جديد من الأسواق وهي الأسواق الخاصة ، سواء للخلفاء أو للولاة أو لأقاربهم ، فذكرت المصادر سوق البصرة الذي اشتراه واليها التاجر عبد الله بن عامر بن كريز (٢٩-٣٢هـ) من ماله ووهبه إلى أهله فلا خراج عليهم فيه[11]. وكذلك سوق وردان في مدينة الفسطاط بمصر والخاص بوردان الرومي (ت٥٣هـ) مولى عمرو بن العاص ،

---

[1] أبو داود ، ج٣ ، ص١٢٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٦٥ .

[2] الطبري ، ج٣ ، ص ١٧٥-١٧٦ . المزي ، ج٢٠ ، ص٣٦٩ .

[3] ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ١٠٢ ، تهذيب ، ج٢ ، ص٣٩٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٧٢ . المزي ، ج٧ ، ص١٧٦ . ابن كثير ، ج٦ ، ص٥٤ .

[4] البلاذري ،أنساب،ج٤ ،ق١،ص٥٣٧ ،فتوح ،ص٢٤٠. ابن عبد ربّه ،ج٤ ،ص٢٨٣.أبو هلال،ص١٣١.المزي ،ج٢٠،ص٢٤٠ . ـ أمين سعيد ، ص٣٦-٣٧ .

[5] الدارمي ، ج٢ ، ص٢٤٨ . أبو داود ، ج٣ ، ص٧٣٢ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٨٩ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٥٨ . ـ أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ، ص ١٧٣ .

[6] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٣٧ ، فتوح ، ص٢٤ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٢٨٣ . أبو هلال ، ص١٣١ . المزي ، ج٢٠ ، ص٣٦٩ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

[7] البخاري ، ج٦ ، ص٦-٧ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٧٨ . ابن الأثير ، أسد، ج٤ ،ص٢٦٣ . ابن كثير ، ج٥ ،ص٢٥ .

[8] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥٣٧ .

[9] المصدر السابق ، ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٢٨٣ ، أبو هلال ، ص ١٣١ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٨ .

[10] سعيد الأفغاني ، ص٤١٩ .

[11] ابن سعد ، ج٥ ، ص٤٧ . ابن حبيب ، ص ١٥٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٩ ، ص٢٦١ .

والذي تولى خراج مصر زمن معاوية بن أبي سفيان[1].

وتشير المصادر إلى كثير من الأسواق الخاصة التي أقيمت أيام بني أمية في دمشق مركز الخلافة الأموية ، ومن بينها : سوق الصياقلة الذي أقطعه عبد الملك بن مروان لسفيان ابن الأبرد بن أبي أمامة (ت٨٤هـ) الذي تولى بعض الشام لبني أمية[2]. وسوق الخالديين ـ وهو سوق الطرائف سابقا ـ الذي نسب فيما بعد إلى خالد بن الحجاج بن غلاظ السهمي ، أمير دمشق من قبل بني أمية ، وقد كانت داره في هذا السوق[3]. ووجدت أسواق أخرى لأقارب الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) مثل سوق أم حكيم زوجة هشام[4]، وسوق سعيد بن عبد الملك أخ هشام[5]. ويذكر أن هناك أسواق أقامها عمال بني أمية في مراكز ولاياتهم ، مثل : سوق يوسف بالحيرة ، التابع لوالي العراق يوسف بن عمر بن محمد الثقفي (١٢١-١٢٦هـ)[6]. وسوق أسد بالكوفة ، الخاص بأسد بن عبد الله القسري والي خراسان (١٠٧-١٢٠هـ) وشقيق والي العراق[7]. كما كان للخليفة هشام بن عبد الملك هو الآخر سوق خاص به هو سوق هشام العتيق بالجزيرة[8]، وأيضا رصافة تدعى رصافة هشام أحدثها لتكون ملتقى التجار[9].

وتذكر المصادر ، إضافة إلى الأسواق الخاصة ، أسواقا عامة كثيرة انتشرت في كافة الأمصار والأقطار. وكان من أشهر أسواق مكة : سوق حزورة ، وسوق الأبواء[10]. وكان في المدينة عدة أسواق منها : سوق الخزّامين ، وسوق الرقيق ، وسوق الخيل ، وسوق مهزور[11]. وتوزعت أسواق العراق في الكوفة والبصرة وموقع بغداد ، وكان من أشهرها :

---

(1) ابن سعد ، ج٧ ، ص٥١١ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص ١١٤ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٨٧ .البلاذري ، فتوح ، ص٣٠٤ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٤.

(2) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢١ ، ص٣٤١ ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٨٢ .

(3) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٦٣ ، ج١٢ ، ص١٠١ .

(4) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٥٥ . هي أم حكيم بنت يحيى ، كانت زوجة عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك فطلقها، فتزوجها هشام بن عبد الملك فولدت له يزيد بن هشام .

(5) الصفدي ، ج١٥ ، ص٢٤١ .

(6) البلاذري ، فتوح ، ص٣٩٥ .

ـ لبيد إبراهيم أحمد ، ص١٢٧ .

(7) البلاذري ، فتوح ، ص٤٠٢ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٣ .

(8) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٤٧ .

(9) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٧ .

(10) الأصبهاني ، ج٢ ، ص١٩١ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٥٥ .

(11) وكيع ، ج١ ، ص١٩٥ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٢٨٣ . ابن فارس ، ج٣ ، ص٩٣ . الجوهري ، ج١ ، ص١٤٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص٣٢٤ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٦٧ . ابن عبد الحق ، ج١ ، ص٤٦٤ .

سوق المراضيع ، وسوق الكرابيس ، وسوق الكلاء ، وسوق السلاح ، وسوق الثلاثاء ، وسوق الرقيق[1]. وكان من بين أسواق الموصل سوق القتّابين ، وسوق الحشيش ، وسوق الأربعاء[2]. ويذكر من أسواق اليمن : سوق الذئاب[3]، وسوق عدن الذي عدّ أقدم أسواق العرب[4]. وكان في تهامة سوق حباشة ، وهو أكبر أسواقها[5]، وكان الرسول (ص) يحضره لبيع البز لخديجة بنت خويلد قبل الإسلام[6]. وكان أشهر أسواق البحرين سوق دارين الذي كان يجلب منه العطر إلى مكة وكافة الأنحاء[7]. وكان هناك في الأهواز : سوق الأهواز ، وسوق الأربعاء[8]. ويذكر ابن عساكر (ت٥٧١هـ) عشرات من أسواق دمشق ، ومن بينها : سوق الفاكهة ، وسوق الدّقيق ، وسوق الجبن ، وسوق الطّير ، وسوق الغنم ، وسوق الصّرف ، وسوق الصّقر ، وسوق الغزل ... وغيرها من الأسواق الأخرى[9].

وذكر أن معاوية بن أبي سفيان عندما فتح قيسارية في فلسطين سنة ١٩هـ وجد فيها ثلاثمائة سوق قائمة[10]. أما في مصر فكان هناك : سوق بربر ، وسوق الحمام ، وسوق النحاسين[11]. وكان في المغرب أسواق شهيرة جدا ، منها سوق أكرسيف الذي كان يقام كل خميس[12]. وعدت أسواق القيروان وتونس الغرب من أحسن الأسواق[13]. ويذكر أنه كان في أرمينيا سوق يسمى سوق الكُركيّ يقام كل أحد يأتيه الناس من العراق ، وقد غلب اسمه على يوم إقامته حتى صار يطلق على يوم الأحد الكركيّ[14]. وكان في صقلية أسواق لها شهرة

---

(1) الطبري ، ج٦ ، ص٣٤٠ . الجوهري ، ج٤ ، ص١٤٩١ . الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص١٥٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣١٧ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٣ . ابن عبد الحق ، ج١ ، ص٢٩٨ ، ج٢ ، ص٧٥٦-٧٥٧ .

(2) الأزدي ، ص٢٤ .
ـ لبيد إبراهيم أحمد ، ص١٢٧ .

(3) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٨٣. ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص٧٥٥ .

(4) المصدر السابق ، ج٤ ، ص٨٩ .

(5) البكري ، ج٢ ، ص٤١٨ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢١١ . ابن عبد الحق ، ج١ ، ص٣٧٥ .

(6) البكري ، ج٢ ، ص٤١٨ .

(7) المبرد ، ج١ ، ص١٠٧ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٥ ، ص ٣٦٧ .

(8) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٣ . ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص٧٥٥ ، ج٣ ، ص١٤٥٧ .

(9) ابن عساكر ،تاريخ ،ج٢،ص٢٩٠-٢٩٥،ص ٣١٠،ص٣٥٥ ، ص٣٦٢-٣٦٣ ،ص٣٧٩-٣٨٥ ،تهذيب،ج١،ص ٢٠٢-٢٢٥ .

(10) البلاذري ، فتوح ، ص١٩٢.

(11) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٠٤ ، ص١١١ ، ص١١٣-١١٤ . ياقوت ، البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٣ . ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص٧٥٦ .

(12) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٣٩ .

(13) ابن حوقل ، ق١ ، ص٩٦ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦١ .

(14) ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٨٠ .

واسعة ، منها : سوق الزيّاتين ، وسوق القمح ، وسوق الصيارفة[1].

وساعد وجود الأسواق المتخصصة بسلعة معينة والتجارة بصنف واحد[2] على ظهور التجّمعات المهنيّة التي أشبه ما تكون بالنّقابات ، مما سهّل مجيء الناس إليها وإشراف المحتسب عليها ، كما كان وجودها وتجمعها ضرورياً أحياناً لمواجهة السلطة ، أو لرفع الأسعار[3].

وتشير المصادر إلى أن الأسواق كانت مفتوحة أمام الجميع ، حيث كان يشترك فيها إلى جانب المسلمين كل من أهل الذمة[4]، والموالي[5]، والأعاجم[6]، والمشركون[7]، وأهل الحرب والأعداء[8]. ولم يكن هناك سياسة واضحة اتجاه التجار غير المسلمين في الدولة . ويبدو أن عمر بن الخطاب حاول حماية الاقتصاد الإسلامي من سيطرة غير المسلمين في الحجاز مركز الدولة ، فأصدر أمرا بمنع الأعاجم من التفرد بالتجارة في أسواق المسلمين في الحجاز ، فالتجأ أحد كبار تجار البزّ الأعاجم إلى عثمان بن عفان طالباً منه السماح باستخدام اسمه أثناء تجارته بالبزّ مقابل نسبة معينة من المال ، فوافق عثمان على ذلك[9].

كان الأمر مختلفا خارج الحجاز ، فيذكر أن عامل عمر بن الخطاب على الشام : معاوية بن أبي سفيان طلب من أبي هريرة أن يحث عبادة بن الصامت ـ قاضي فلسطين ـ بعدم التدخل في تجارة أهل الذمة ، وقال : "ألا تمسك عنّا أخاك عبادة ... أما في الغدوات فيغدو إلى السّوق فيفسد على أهل الذّمّة أسواقهم"[10]. ويختلف موقف العلماء المسلمين اتجاه أهل الذمة ، فيقول أبو يوسف (ت١٨٣هـ) : "يترك أهل الذمة يتاجرون في الأسواق بشرط عدم بيع الخمر والخنزير"[11]. أما مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) فكره التّعامل مع الصيارفة النصارى في الأسواق[12].

---

[1] ابن حوقل ، ق١ ، ص ١١٩-١٢٠ .

[2] وكيع ، ج٢ ، ص٣٤٧ .

[3] حول نقابات التجار انظر : رضوان السيد ، ص٨٦-٨٧ .

[4] مالك ، المدونة ، ج٣ ، ص٤٠٣ ، ج٤ ، ص٢٧٠-٢٧١ . أبو يوسف ، ص١٢٧ . وكيع ، ج٢ ، ص٢٠٠ .

[5] المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٢٨ .

[6] مالك ، الموطأ ، ص٢٨٣ .

[7] ابن سعد ، ج٢ ، ص٩٣-٩٤ .

[8] الطبري ، ج٧ ، ص٦٥٣ . الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص٨٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٩٤. ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٤٨ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٢١ ، ابن كثير ، ج١٠ ، ص٩٨ . ابن عبد الحق ، ج٣ ، ص١١٥٦ .

[9] مالك ، الموطأ ، ص٢٨٣ .

[10] أبو هلال ، ص ١٣٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص١٩٨. الذهبي ،سير ، ج٢ ،ص ١٠. الديار البكري ،ج٢ ، ص٢٦٩ .

[11] أبو يوسف ، ص١٢٧ .

[12] مالك ، المدونة ، ج٣ ، ص٤٠٣ ، ج٤ ، ص٢٧٠-٢٧١ .

كانت الأسواق في صدر الإسلام مؤسسة اقتصادية كبيرة اشترك فيها التجار من كافة الأديان والجنسيات ، ولم يقتصر دور السوق في صدر الإسلام على التبادل التجاري فقط ، فتذكر المصادر استخدامات كثيرة له ، فقد شكل مركزا ثقافياً ومجمعاً للعلماء والمعلمين ، فيذكر أن مسيلمة الكذاب دار قبل ادعائه النبوة على أسواق الحيرة والعراق يلتمس تعلّم الحيل[1]. وكان عبادة بن الصامت ـ قاضي فلسطين ـ يروي أحاديث البيع والشراء في الأسواق ويعترض على البيع بأكثر من الوزن ، الأمر الذي ضايق معاوية بن أبي سفيان والي الشام[2]. ويذكر أن عدداً من العلماء كانوا يتجّولون في سوق البصرة ، فيجتمع الناس حولهم يسألونهم في أمور الحديث[3].

وكانت الأسواق أيضاً مراكز إعلام مهمة ، فيذكر أن الرسول (ص) طاف في سوق عكاظ ومجنة وذي مجاز في مكة بعد مبعثه مدة عشر سنوات ، فنشر دعوته بين القبائل المختلفة ورواد الأسواق من كافة الأنحاء[4]. كما إنه اختار بعد هجرته إلى المدينة سوق بني قينقاع ليكون مكانا للاجتماع مع اليهود لموادعتهم[5]. وقال مرة التاجر سفيان بن سعيد الثوري (ت١٦١هـ) لأحدهم : "إذا قدمت الرقّة فاجلس في سوق الأحد واذكر فضائل علي فإن الأباضية فيها كثير"[6]. ويشار إلى أن الأسواق كانت مركزا لتجّمع الجواسيس والأعداء ، فيذكر أن شبيب الخارجي ـ رئيس الخوارج الأزارقة ـ كان يذهب إلى السوق سنة ٧٦هـ ليسأل الناس عن أخبار جيوش الحجاج بن يوسف وليتقصى أخبار تحركاتها[7]. وقد شكّل السوق مركزا هاما للتجسس لفترة طويلة[8]. وقد جعل هذا كلّه الأسواق أنسب الأماكن للقيام بالاغتيالات السّياسيّة ، ويظهر ذلك من قول أبي سفيان بن حرب : "ألا أحد يغتال محمدا ،

---

(1) الجاحظ ، الحيوان ، ج٤ ، ص٣٦٩-٣٧٠ .

(2) أبو هلال ، ص١٣٠ . الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٧-٢٩٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص١٩٨-١٩٩ . ابن قدامه ، ص١٩٠ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص١٠ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٩ .

(3) ابن سعد ، ج٤ ، ص٢٨٩ . المزي ، ج٢٠ ، ص٢٧٤ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٧ ، ص٢٦٦ .

(4) يحيى بن آدم ، ج٢ ، ص١٦٣ ، ص٢٣٨ ، البكري . ج٣ ، ص٩٦٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١٠٢ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٤١٨ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص١١٨ ، المنتظم ، ج٢ ، ص٣٦٥ ، ج٣ ، ص١٦ ، ج٥ ، ص٢٧٢ . ابن قدامة ، ص٢٧ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٣٤ ، ج٥ ، ص٥٩ ، ص٩٠ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ٣٦١-٣٦٢ . المزي ، ج٧ ، ص١٧٦ .

(5) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٠٩ . أبو هلال ، ص٩٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٩٦ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٣ .

(6) المزي ، ج٥ ، ص١٦ .

(7) الطبري ، ج٦ ، ص٢٧٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٨٩ .

(8) الطبري ، ج٧ ، ص٦٥٣ . الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص٨٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٩٤ . ياقوت ،معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٤٨ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٢١ . ابن عبد الحق ، ج٣ ، ١١٥٦ . ابن كثير ، ج١٠ ، ص٩٨ .

فإنه يمشي في الأسواق"[1].

واستخدمت الدولة السوق لتنفيذ عقوباتها فيه نظرا لتجمع الناس فيه ، فخندق الرسول (ص) في سوق المدينة وضرب أعناق اليهود فيه[2]، وفي سنة ٦٠هـ ضربت عنق أحد الخارجين عن الدولة في سوق الغنم[3].

وتشير المصادر إلى أهمية الأسواق الكبيرة بالنسبة للجيش كذلك ، فغالبا ما كانت تتحول إلى معسكرات أيام الحروب ، فيذكر أن الرسول (ص) خرج في ذي القعدة في سنة ٣هـ إلى بدر الصغرى لملاقاة أبي سفيان فيها ، وقد كانت هذه سوقا تجتمع فيها العرب في الأيام الثمانية الأولى من ذي القعدة[4]. كما أنه جهّز مرة بعثا في سوق الخيل[5]. وعندما توجه خالد القسري إلى خراسان فإنه جعل معسكره عند سوق أسد الخاص به[6].

ومن الملاحظ أن المسلمين اهتموا في بداية الفتوحات الإسلامية بفتح العديد من الأسواق الشهيرة بهدف الحصول على الغنائم والخيرات الكثيرة التي تحتويها هذه الأسواق من جهة ، ولبسط سيطرتهم على أهم المرافق الاقتصادية للمدن المختلفة من جهة أخرى ، ومن هذه الأسواق : سوق دبا الذي تم فتحه عنوة أيام أبي بكر الصديق سنة ١١هـ[7]. وسوق الأهواز الذي فتحه المغيرة بن شعبة (ت٥٠هـ) ، ثم غزاه أبو موسى الأشعري مرة أخرى سنة ١٧هـ أثناء توليه البصرة بعد أن نكث دهقان السوق الصلح[8]. وهناك روايات كثيرة حول إغارة المثنى بن حارثة على سوق الخنافس* وسوق بغداد** سنة ١٣ هـ ، وقد كان فيهما الكثير من الخيرات ، ويدلّ على ذلك قول المثنى لأصحابه: "لا تأخذوا

---

[1] ابن سعد ، ج٢ ، ص٩٣-٩٤ .

[2] الطبري ، ج٢ ، ص٥٨٨ -٥٨٩ .

[3] المصدر السابق ، ج٥ ، ص٣٧٨ -٣٧٩ .

[4] الواقدي ، المغازي ،ج١ ، ص٣٨٧ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٥٩ -٦٠ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٣٩ -٣٤٠ .اليعقوبي ، تاريخ ،ج٢،ص٥٥ -٥٦. الطبري ،ج٢ ،ص٥٦٠-٥٦١ . ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٣ ،ص٢٠٥. الديار البكري،ج١،ص٤٦٥ .

[5] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص٣٢٤ .

[6] البلاذري ، فتوح ، ص٤٠٢ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٨٣ .

[7] ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٣٥ .

[8] البلاذري ، فتوح ، ص٥٣١ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٨٥ .

_ محمد ضيف الله بطاينة ، ص٨٠ .

* الخنافس ، : أرض في طرف العراق قرب الأنبار تقام فيه سوق للعرب . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٩١ .

** بغداد : سوق للفرس تقام كل سنة يأتيها تجار مدائن كسرى ، وتجار السواد ، وتجار الصين . ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٥٦ .

إلاّ الذهب والفضة ، ومن المتاع ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابّته"[١]. وعند فتح الشام كان أول ما تطلع إليه أبو عبيدة الجراح هو فتح بصرى أيام الموسم ، لكن محاولته فشلت لكثرة ما كان فيها من الجنود[٢].

ومن الجدير ذكره أنه أقيمت أيام الحرب فقط أسواق مؤقّتة ومتنقّلة ، فقد رافق الجنود مختصون بذلك ، فيذكر أن عمرو بن العاص عندما سار إلى فتح الإسكندرية فإنه أخرج معه جماعة من رؤساء القبط لإصلاح الطرق وإقامة الجسور والأسواق له[٣]. وكان لا يسهم لهؤلاء القائمين على أسواق الجند إلا إذا قاتلوا[٤]، مما يبين أن هؤلاء ليسوا جنودا في الأصل. وتذكر المصادر أمثلة حول هذه الأسواق التي غالبا ما كانت تقام من قبل المسلمين أنفسهم[٥].

وتذكر المصادر كذلك معلومات مفصلة عن الأسواق التي أقامها أهل المدن للجنود أثناء سيرهم للقتال مقابل تأمين أهل المدن ، فيذكر أن شبيب الخارجي قام بإعطاء الأمان لأهل سوق كان يقام في موضع بغداد قبل بنائها ، وذلك مقابل شراء جنوده حاجياتهم[٦]. وتذكر رواية أخرى أنه في سنة ٦٥هـ "سار سليمان بن صرد الخزاعي ... حتى قرقيسيا وبها زفر بن الحَرث الكلابي قد تحصّن منهم فأرسل إليه سليمان أنه لا يريده ... وطلب أن يخرج إليهم سوقا ... ففعل وبعث إليهم بخبز وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق وكفوا اللحم والدقيق والشعير ، إلا أن الرجل كان يشتري سوطا أو ثوبا"[٧]. وعندما سار محمد بن الحنفية إلى مدينة مدين ، فإن عاملها من قبل عبد الملك بن مروان أغلق باب المدينة فناداه أصحاب محمد : "يا أهل مدين لا تخافوا فإنكم آمنون إنما نريد منكم أن تقيموا لنا السوق حتى نتسوق منه ما نريد ، نحن أصحاب محمد بن علي بن أبي طالب لسنا نرزأ أحداً شيئا ولا نأكل شيئا إلا بثمن ، قال : ففتح أهل مدين باب مدينتهم وأخرجوا لهم الأنزال"[٨].

وكان لهذه الأسواق المؤقتة آثار سلبية أحيانا حيث استغلها أعداء المسلمين في الخدع الحربية ، فيروى أنه عندما حاصر مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية سنة ٩٨هـ ،

---

[١] الطبري ، ج٣ ، ص٤٧٣-٤٧٤ ، الدينوري ، ص١١٦ . الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص٢٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص١٤٩ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٥٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٠٦ . النويري ، ج١٩ ، ص١٨٧ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٩٠ .

_ محمد ضيف الله بطاينة ، ص٨٠ .

[٢] الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص٢٧ .

[٣] ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٧٣ .

[٤] أبو يوسف ، ص١٩٨ . السرخسي ، ج٧ ، ص٤٥ .

[٥] الطبري ، ج٦ ، ص٣٢٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢١١-٢١٢ .

[٦] الطبري ، ج٦ ، ص٢٣٦ ، ص٢٣٩ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص٤٧ . النويري ، ج٢١ ، ص١٧٢ .

[٧] الطبري ، ج٥ ، ص٥٩٣ -٥٩٤ . ابن أعثم ، ج٦ ، ص٧٩ . ابن الأثير ، ج٣ ، ص٣٤٢ .

[٨] ابن أعثم ، ج٦ ، ص٢٤٢ .

أظهر له ملك الروم الودّ وأرسل له سوقا اختار هو موقعها ، وذلك بعدما أخبره مسلمة عن حاجة جنوده للميرة ، وذلك "في مرج ضاقت به الجبال ... فلما نزل والي الجيش بعسكره وانتشر الناس وشغلهم البيع خرج الروم عليهم من الجبال وقتلوهم"[1].

تولت الدولة في صدر الإسلام مسؤولية الإشراف على الأسواق ، فيذكر أن الرسول (ص) سار في الأسواق[2] وتفقد التجار وبيعهم في سوق المدينة وحذر من الغش ، حيث أدخل مرة يده في طعام مبلول ، فقال : "من غشّنا فليس منّا"[3]. كما أنه تابع الالتزام بعدم بيع البضائع الممنوعة كالخمر ، وقد شق مرّة زقاق خمر في سوق المدينة[4]. كما أنه عين من أشرف على أمر السوق ، فيذكر أنه عيّن سعيد بن العاص على سوق مكة للإشراف عليها[5]. وأخذ عمر بن الخطاب على عاتقه هو الآخر مراقبة الأسواق ، فقد كان يطوف في أسواق المدينة لينظمها بنفسه وبيده الدرّة يضرب بها التجار إذا اجتمعوا على الطعام بالسوق[6]، كما كان يقوم بكسر الدكاكين التي كانت تُستحدث دون علمه[7]، ويحذر من الحلف والأيمان الكاذبة[8]، وينهى عن الاحتكار[9]. وتشير بعض الروايات أنه قام وعبد الرحمن بن عوف مرة بحراسة بضاعة لتجار نزلوا بسوق المدينة خوفا من سرقتها[10]. واستعمل على سوق المدينة عمالا لمراقبتها ، فيذكر أنه استعمل السائب بن سعيد بن ثمامة ، وسليمان ابن أبي خيثمة ، وعبد الله بن عتبة[11]، وجزء بن معاوية[12]، والشفاء بنت عبد الله بن

---

[1] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٢ ، ص٤٤٣ ، تهذيب ، ج٦ ، ص٢٩٧ . ابن كثير ، ج٩ ، ص١٨٤ .

[2] ابن سعد ، ج٢ ، ص٩٣-٩٤ .

[3] الدارمي ،ج٢ ،ص٢٤٨. أبو داود ، ج٣ ، ص٧٣٢ ،ج٤ ، ص١٥٨ . الترمذي ،ج٢ ،ص٣٨٩. المتقي الهندي،ج٤، ص١٥٨ .
_ علي حسني الخربوطلي ، ص ١٨٦.

[4] الأصبهاني ، ج٦ ، ص١٠٥ .

[5] ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٧ .
_ أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ، ص ١٧٣. إبراهيم حركات ، السياسة والمجتمع في عهد الراشدين ، ص٢٩٨.

[6] الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص٩٣ . ابن سعد ، ج٣ ، ص٣٣٠ ، ج٥ ، ص٦٠ . البلاذري ، أنساب ، ج١٠ ، ص٣٧٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٣٢ . المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٨١٥-٨١٦ .
_ إبراهيم حركات ، السياسة والمجتمع في عهد الراشدين ، ص٢٩٨ .

[7] المتقي الهندي ، ج٥ ، ص٨١٥ .

[8] المصدر السابق ، ج٤، ص١٣٥-١٣٦ .

[9] اليزيدي ، ج٢ ، ص٤٩٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٢٦٣ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٨٠-١٨١ .

[10] الطبري ، ج٤ ، ص٢٠٥ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٢٨٢ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٣٠ .

[11] يحيى بن آدم ، ص ٦٨. أبو عبيد ، ص٦٤٠ . وكيع ، ج٢ ، ص٤٠٦ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٠ ، ص١١٧، تهذيب ، ج٦ ، ص٦٤ ، ص٢٤٩ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص١٣ ، ص١٠١ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص٥١٤ .

[12] أبو عبيد ، ص٣٤٢ . ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٨. البلاذري ، فتوح ، ص٥٤٢ . أبو هلال ، ص١١٨ . ابن منظور ، ج٤ ، ص٤٠٦ .

عبد شمس[1]. وكان علي بن أبي طالب يسير هو الآخر في الأسواق وبيده الـدُرَّة[2]، ويقـول: "أوفوا الكيل والميزان"، ويقول أيضاً : "لا تنفخوا اللحم"[3]، كما أنه كان يحذر مـن الأيمـان الكاذبة[4].

وتابع خلفاء بني أمية سياسة الخلفاء الراشدين في مراقبة الأسواق والإشراف عليـها أحيانا ، فيذكر أن معاوية بن أبي سفيان كان يسير في أسواق دمشق ويسأل عن أحوالـها[5]، وشارك الوليد بن عبد الملك بحل مشاكل التجار في أمور البيع والشراء[6]. وتشـدّد العمـال والولاة كذلك في متابعة أمر الأسواق ومراقبتها ، فعندما بنى الحجاج بن يوسف مدينة واسط ، أمر بتنظيم الأسواق حسب أنواع التجارات والسلع وجعل في كل سوق صيرفيـا[7]. واتبـع زياد بن أبيه والي البصرة والكوفة (٤٥-٥٣هـ) نفس السياسة ، إذ كان يجلس كل يوم جمعة ويسأل رسل عماله أسبوعياً عن الأسعار والأسواق[8]،وقام بقطع يد مولى كتب لـه الخليفـة معاوية بن أبي سفيان منشورا يسمح له بإخلاء سوق الطعام في البصرة لبيع بضاعتـه أولا[9]. وبشكل عام فقد استمر الأمويون على نفس سياسة الراشدين من تعيين ولاة علـى الأسـواق لمراقبتها والإشراف عليها[10].

اهتمت الدولة سواء على مستوى الخلفاء أو العمال بأمور الأسواق وتنظيمـها ومـا يجري فيهـا، وهو اهتمام عرّفه الشرع الإسلامي بالحسـبة ، وقـد عرّفـها ابـن خلـدون (ت٨٠٨هـ) بقوله : "إنها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هـو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له يشرف فيمـا يتعلـق بـالغش والتدليس في المعايش وغيرها في المكاييل والأوزان ، وله أيضـا حمـل المماطلين علـى

---

(1) المزي ، ج٣٥ ، ص٢٠٧ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٣٤١ .

(2) وكيـع ، ج٢ ، ص١٩٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٧٠ .

(3) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص ٧٠ .

(4) ابن كثير ، ج٨ ، ص٤ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٧٥.

(5) ابن كثير ، ج٨ ، ص١٣٤.

(6) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١ ، ص٣٣٢ ، تهذيب ، ج١ ، ص٧١ .

(7) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٠٠ .
_ صالح العلي ، ص ٨٧ .

(8) أبو هلال ، ص٢٠٤ . البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص ٢١٤ .

(9) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١، ص٢٣٩ .

(10) البلاذري ، فتوح ، ص٥٣٢ . وكيـع ، ج١ ، ص٣٥٣ .
_ لبيد إبراهيم أحمد ، ص١٢٦-١٢٧ . رضوان السيد ، ص١٠٧ . صالح العلي ، ص٨٧ ، ص٢٦٧

الإنصاف"[1]. وعليه فقد اهتمت الدولة اهتماما كبيرا بمعايش الناس وأولته عناية فائقة ، وتدخلت في مراقبة ذلك حتى أن هذا العمل اعتبر من الأمور والمهام الدينية كسائر العبادات .

انتشرت المراكز أو المدن التجارية ، سواء الدّاخلية منها أو الساحليّة ، في جميع أنحاء الأقاليم ، ومن أشهر المراكز في شبه الجزيرة العربية جدّة ، وهي مدينة ساحلية تقع بمحاذاة مكة ، كان يأتي إليها تجار مصر واليمن ، وأهلها معظمهم تجار وأغنياء[2]. وتقع قريبا منها مدينة سواكن ، وكان يسكنها تجار الفرس وقوم من ربيعه[3]. وهناك أيضا قرية الجار الواقعة بمحاذاة المدينة ، والتي تأتي بعد مكة شهرة بالتجارة والمال ، وهي مرفأ سفن مصر والحبشة والبحرين والهند والصين ، وتقع بجوارها قرية قراف التي كانت مسكناً للتجار[4]. وكانت مدينة الطائف ـ بالقرب من مكة ـ متحضرة جداً ومشهورة بالفاكهة وصنع الأدم وفيها تجار أغنياء[5]، وكانت قريش تتاجر معها بالزيت والخمر[6].

وأقام في البحرين رؤساء الغواصين الذين استخرجوا اللؤلؤ والمرجان من قاع البحر، وقد كان يقصدهم تجار الأقطار ، ويكترونهم بأجر معلوم للغوص لهم بالبحر[7]. وجلب إلى دارين ـ أشهر موانئها ـ العطر والمسك من الهند واليمن ، ونقل إلى سائر الأنحاء فنسب إليها، حتى صار يسمى صاحب العطر داري نسبة لها[8]. ومن أشهر المدن الساحلية الواقعة عليها . مدينة الخط التي تنسب إليها الرماح الخطية[9]، ومدينة الخرصان التي سميت بذلك لبيع الرماح فيها[10]. وكانت مدينة صحار أقدم مدن عُمان وأعمرها وأكثرها مالا ، فكان يقصدها التجار من الهند والصين واليمن وشرق إفريقيا ، حيث يجلب إليها جميع البضائع

---

(1) ابن خلدون ، ج١ ، ص ١٨٨ .

(2) اليعقوبي ، البلدان ، ص٣١٧ . المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص٧٩ .
حول دور مكة التجاري . أنظر : عبد العزيز الدوري ، ص١٠-١١ .

(3) ابن حوقل ، ص ٤٢ . البلاذري ، أنساب ، ص ٣٨٣ . اليعقوبي ، البلدان ، ص٣١٣ .

(4) ابن حوقل ، ص٣٢ . البكري ، ج٢ ، ص ٣٥٥ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ،ص٩٣ . ابن عبد الحق ، ج١ ، ص٣٠٥ .

(5) المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص٧٩ . الإدريسي ، ج١ ، ص١٤٤ .

(6) ابن سعد ، ج٢ ، ص١٠-١١ . البلاذري ، أنساب ، ج١، ص٢٧٢. اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٥٨ . الطبري ، ج٢ ، ص٤١١- ٤١٢ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٣ . أبو هلال ، ص٨٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٩٣ . ابن الأثير ،أسد ، ج٥ ، ص٧٩-٨٠ ، الكامل ، ج٢ ، ص٧٩ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٤٩ .

(7) الأصبهاني ، ج٢ ، ص٢٩٥ . الإدريسي ، ج١ ، ص٣٨٧ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٤ ، ص٧٧ .

(8) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١، ص٣٣٤ . الطبري ، ج٧ ، ص١٠ . الجوهري ، ج٢ ، ص٦٦٠ ، ج٥ ، ص٢١١٢. البكري ، ج٢ ، ص٥٠٤ ، ص٥٣٨ . ابن منظور ، ج٤ ، ص٢٩٩ . ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص٥٠٩ .
ـ صالح العلي ، ص٢٥٨ . غوستاف لوبون ، ص٦٦١-٦٦٢ .

(9) البكري ، ج٢ ، ص ٥٠٤ .

(10) ابن عبد الحق ، ج١ ، ص٤٦٠ .

والتجارات[1]. وقد أشاد التجار بمرفأ مدينة مرباط الواقع ما بين حضرموت وعمان حيث كان مقصدا لهم[2].

وكانت شهرة اليمن كبيرة جدا ، وكان من أشهر مراكزها التجارية مدينة صنعاء أكبر وأقدم مدنها وقد كانت كثيرة العمارة والتجارة[3]، ومدينة عدن التي ضمت أقدم أسواق العرب وكانت مرفأ لسفن تجار الهند والسند والصين والحجاز والحبشة[4]، ومدينة بيلمان التي نسبت إليها السيوف البيلمانية[5].

ومن أشهر مدن العراق التجارية مدينة الكوفة[6]، ومدينة البصرة التي كان يأتيها التجار في البر من الري والأهواز ومسقط والجزيرة العربية ، ويأتونها في البحر من فارس والهند والسند واليمن[7]، وقد قيل عنها : "البصرة مدينة الدنيا ومعدن تجاراتها وأموالها"[8]. وهناك أيضا مدينة الأبلّة التي وصفها عتبة بن غزوان لعمر بن الخطاب عند فتحها بأنها . "شاطئ دجلة البصرة العظمى ومرفأ سفن عمان والبحرين وفارس والهند والصين"[9]، وذكرها علي بن أبي طالب في إحدى خطبه بقوله : "إن تاجرها أعظم الناس تجارة"[10]، وامتدحها التاجر خالد بن صفوان بقوله : "ما رأينا أرضا مثل الأبلّة أقرب مسافة وأعذب نطفة ... ولا أربح لتاجر"[11].

---

(1) ابن حوقل ، ص ٣٨ . الإدريسي ، ج١ ، ص١٥٦ .

(2) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٩٧ .

(3) الإدريسي ، ج١ ، ص٥٣ .

(4) اليعقوبي ، البلدان ، ص٣١٩ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٩٧ .

ــ إبراهيم حركات ، السياسة والمجتمع في عهد الراشدين ، ص٢١٠ .

(5) الإدريسي ، ج١ ، ص٥٣ .

(6) وكيع ، ج٢ ، ص٢٣٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص٦١ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٤١١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٨٨ . ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٠ ، ص٢٩٠ . المزي ، ج٣ ، ص٣٠ . الذهبي ، سير ، ج٥ ، ص٣٧ . الصفدي ، ج١٣ ، ص١٧٣ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٣ ، ص٢٧ . الزبيدي ، ج١ ، ص٥٤٧ .

(7) أبو عبيد ، ص٥٤٨ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٤٣٤ . الأصبهاني ، ج٥ ، ص٣٢٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٨ ، ص٢٦٣ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٣٧ ، المنتظم ، ج٨ ، ص١٥٢ . المزي ، ج٣٣ ، ص١٩٣ . الذهبي ، سير ، ج٧ ، ص١٤٩ . ابن العماد الحنبلي ، ج٢ ، ص٢٤٥ .

ــ صالح العلي ، ص٢٥٤ ، ص٢٥٥ .

(8) اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٢٣ .

ــ سعيد الأفغاني ، ص٣٩٥ .

(9) البلاذري ، فتوح ، ص٤٧٧ . الدينوري ، ص١١٧ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج١، ص٧٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٣٩ .

(10) ابن قتيبة ، عيون ، ج٢ ، ص٢١٦ .

(11) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٢١-٢٢٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٧ . الزبيدي ، ج٧ ، ص٢٠٠ .

وكانت بغداد ذات موقع تجاري هام ، ويفهم هذا من قول أحد المستشارين لأبي جعفر المنصور عند بنائها : "تجيء الميرة في السفن من المغرب إلى الفرات ، وتجيئك طرائف مصر والشام ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وديار بكر وواسط في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها ، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة"[1].

واعتبرت الموصل الواصلة ما بين الشام والعراق وأرمينية وأذربيجان باب العراق ومفتاح خراسان ، وعدت من بلاد الدنيا الثلاث ، حيث كان يقال : "إن بلاد الدنيا ثلاثة : نيسابور لأنها بلاد الشرق ، ودمشق لأنها بلاد الغرب ، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما يمر منها"[2]. ومن المدن التجارية الأخرى مدينة الأنبار الواقعة على نهر الفرات وتربط ما بين الشام والعراق[3]، ومدينة الأهواز التي كان يقصدها التجار المتهورين لصعوبة مسالكها[4].

أما بلاد الشام فقد ظلت منذ فترة ما قبل الإسلام "متجر العرب وميرتهم"[5]، خاصة مدينة غزة الواقعة إلى الجنوب منها[6]، ومدينة الجفار القريبة منها والواقعة بين فلسطين ومصر ، والتي كانت تضم : رفح ، والقسّ والعريش ، وكانت جميعها "عامرة ويسكنها السوقة ، وفيها دكاكين وفنادق"[7]. وقد اشتهرت بلاد الشام بالعلوم والآداب والتحضر لانفتاحها على العالم بسبب إحاطتها بعدة بحار ، وأكثر ما يبدو ذلك في مدينة أيلة الواقعة على البحر الأحمر والتي اعتبرت الميناء الجنوبي لبلاد الشام ، وقد كان أهلها خليط من الناس ، كما أنها كانت منزلاً لكثير من موالي بني أمية خاصة موالي عثمان بن عفان[8]. وكذلك مدينة بصرى في وسط بلاد الشام ، والتي كانت ملتقى تجار العالم[9].

---

(1) الطبري ، ج٧ ، ص٦١٤-٦١٧ . البلاذري ، أنساب ، ج٣ ، ص٢٦٨ . اليعقوبي ، البلدان ، ص٢٣٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص٧٢ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص١٤ . ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٩٦ .

(2) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٢٣ . ابن عبد الحق ، ج٣ ، ص١٣٣٣ .
ـ عمر فروخ ، ص٤٢ . ص٤٥ .

(3) البكري ، ج١ ، ص١٠٧ .

(4) الجاحظ ، رسائل أدبية ، ص٢١١ . ابن قتيبة ، عيون ، ج٣ ، ص٣٣٣ . ابن الجوزي ، صفة ، ج٣ ، ص٣٣٧ .

(5) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣١٢ . حول التجارة إلى الشام ، أنظر : الباب الأول من الفصل الثالث ، التجارة والدعوة الإسلامية .

(6) الواقدي ، المغازي ، ج١ . ص٢٨ . ابن حبيب ، المحبر ، ص١٠٣ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٥٨ . الطبري ، ج٢، ص٢٥٢ .
ـ سعيد الأفغاني ، ص١٠٥-١٠٦ .

(7) الإدريسي ، ج١ ، ص٣٥ . ابن عبد الحق ، ج١ ، ص٣٣٧ .

(8) اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٤١ . المقريزي ، ج١ ، ص١٨٤ .

(9) الواقدي ، فتوح ، ج١ . ص٢٧ ، ص٢٩ .

واشتهرت بعض المراكز التجارية في إفريقيا ، خاصة على سواحلها ، ومن أشهرها : مدينة الإسكندرية[1] والجيزة[2] ودمياط بمصر[3]، ومدينة القيروان بالمغرب[4]، ومدينة سوسة في تونس[5]، وكذلك مدينة سجلماسة التي كان يسكنها تجار عراقيون من البصرة والكوفة[6].

وهناك مراكز تجارية أخرى في آسيا ، منها : مدينة بيكند أدنى مدائن بخارى والتي كان يُقال لها مدينة التجار[7]. ومدينة برذعه أقصى أذربيجان[8]. ومدينة سرسن في بلاد الترك[9]. ومدينة كوثابة في روسيا[10]. ومدينة دستوا في فارس ، وقيل بالأهواز ، والتي نسبت إليها الثياب الدستوائية[11]. ومدينتي مندل[12] وعوض في الهند[13]. ومرفأ خانتو في الصين الذي رست فيه مراكب تجار المسلمين[14].

هذا إلى جانب جزر البحر الأبيض المتوسط التي كانت من أغنى المراكز التجارية وأكثرها أسواقا ، كجزيرة صقلية[15]، وجزيرة قبرص[16]. وهكذا فقد كان لتجار الدولة الإسلامية صلات مع كافة الأقاليم[17].

٦ــ كان لسيطرة دولة الخلافة على طرق التجارة العالمية آنذاك البرية منها

---

[1] ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٨٢ .

[2] المقريزي ، ج١ ، ص٢٠٥-٢٠٦ ، يروى عن الرسول (ص) قوله : "الجيزة روضة من رياض الجنة ، ومصر خزائن الله في أرضه".

[3] ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٠٥ .

[4] ابن حوقل ، ص ٩٦ .

[5] ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٦١ . القلقشندي ، ج٥ ، ص١٠٣ .

[6] ابن حوقل ، ص٦١ .

[7] الطبري ، ج٦ ، ص٤٣٠ .

[8] المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص٣٨٠ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٨٠ .

[9] ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص٧٠٧ .

[10] ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٨٨ .

[11] المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٥٥ .

[12] المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٠٩.

[13] ابن عبد الحق ، ج٢ ، ص٩٧١ .

[14] اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٤١ . النويري ، ج١٢ ، ص١١ .

[15] ابن حوقل ، ص١١٩-١٢٠ .

[16] أبو عبيد ، ص ١٦٩ .

[17] حول الصلات التجارية مع آسيا وافريقيا وأوروبا بالتفصيل ، أنظر : غوستاف لوبون ، ص٦٦٢-٦٧٠ .أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ، ص٣٠٩-٣١١، الإنسان العربي ، ص٣٠٤ .

والبحرية ، الأثر البالغ في تنشيط الحركة التجارية فيها . وأشارت المصادر إلى البضائع والسلع التجارية التي كانت تُصدّر من مختلف البلدان ، فيذكر أن الشام كانت تصدر مختلف الأطعمة كالزيت ، والحنطة ، والشعير ، والقمح ، والتين ، والزبيب ، والتمور ، والعسل ، والسكر ، والقطن ، والدواب ، والصابون[1]، والثياب[2]، والخمر[3]. وتذكر المصادر صادرات مصر ، ومنها : الثياب بأنواعها من بز وكتان ، وصوف ، وأديم ، وكذلك قصب السكر ، والأرز ، والعسل ، والقراطيس[4]. واشتهرت العراق كذلك بتصدير الثياب ، فقد صدرت البصرة الخز والبز. وكان يصنع بالأبلّة ثياب الكتان الرفيع . وانفردت الكوفة بصنع عمائم الخز. وعرف عن واسط شهرتها بالستور[5].

وتشير المصادر إلى شهرة إقليم الجزيرة العربية بتصدير : التمر ، والأدم ، والرقيق، والعطر ، والثياب ، والزعفران ، والعاج ، واللؤلؤ ، والمعادن[6]. وإلى تعدد صادرات إقليم خراسان ، مثل : الفراء ، والجلود ، والثياب ، والمسك ، والكاغد[7]. وتنوع صادرات

---

(1) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٧ . ابن سعد ، ج٣ ، ص١٣٢ . البخاري ، ج٣ ، ص١١٤ ، ج٦ ، ص٦-٧ . ابن قتيبة ، عيون، ج٣ ، ص٣٣٣ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٧٨ . المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص١٨٠-١٨١ . ابن فارس ، ج٢ ، ص٤٣٢ . الجوهري ، ج١ ، ص١٣٩ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٩٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٤ ، ج٢٧ ، ص٢٨٧ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١٠ ، ج٧ ، ص٣٤٢-٣٤٣ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٥٢ ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢١٦-٢١٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦، ج٤ ، ص٢٦٣ . ابن شاكر الكتبي ، ج٢ ، ص١٣٢ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٢٥ ، ج٧ ، ص١٦٤ . المقريزي ، ج٢ ، ص٩٤ . الديار البكري ، ج٢ ، ص ١٢٢ .

(2) ابن سعد ، ج١ ، ص٤٥٩ ، ج٣ ، ص٣١٥ . البخاري ، ج٥ ، ص٧٧ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٦٦ ، تهذيب،ج٧ ، ص٧٦ -٧٧ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص١٣٢ ، المنتظم ، ج٣ ، ص٥٧ . ابن كثير ، ج٣ ، ص١٨٦ .

(3) أبو هلال ، ص ١٣٠ . الأصبهاني ، ج٦ ، ص١٠٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص١٩٨ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٢٥٨ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص١٠ . الديار البكري ، ج٢ ، ص٢٦٩ . ابن حجر ، ج٣ ، ص٣٠٩ .

(4) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص٢٤٠ . الجاحظ ، الحيوان ، ج٥ ، ص٤٢٩ ، التبصر ، ص٣٥ . الطبري ، ج٤ ، ص٢١٦ . المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص٢٠٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص١٢١ . ابن منظور ، ج٦ ، ص١٧٥ . المقريزي ، ج١ ، ص٣٤٢ .

_ محمد ضيف الله بطاينه ، ص ١٢٥ ، ص١٢٦ .

(5) المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص١٢٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص٦١ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٤٤١ .

صالح العلي ، ص ٢٥١ .

(6) المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص٩٧ . الجاحظ ، التبصر ، ص٣٤ . يضم إقليم الجزيرة : عدن ، والحجاز ، وعمان ، وجدة ، واليمن .

_ إبراهيم حركات ، السياسة والمجتمع في العصر النبوي ، ص٢٧٠ . صالح العلي ، ص٢٤٨-٢٤٩ .

(7) المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٣-٣٢٥ . الجاحظ ، ص٣٦ ، ص ٣٧ . يضم إقليم خراسان : مرو ، وخوارزم ، وسمرقند ، وتركستان .

الأندلس: من معادن ، ورقيق ، وغيره[1].

ومن الأقاليم الأخرى التي اشتهرت بالتصدير لفائض الإنتاج لديها : إقليم فارس الذي اشتهر بتصدير : الثياب ، والبسط ، والصابون ، والأدهان[2]. وبلاد ما وراء النهر التي تُصدّر أجود أنواع الرقيق ، والمعادن ، والذهب ، والأسلحة[3]. وإقليم الجبال الذي تتوعت صادراته ما بين قطن الري ، وزعفران وبز قزوين وهمذان ، وما بين حُلَل وألبان أصفهان ، وجبن الدينور[4].

ويلاحظ أن كثيراً من التجار العالميين تاجروا بأكثر من بضاعة ، مثل : عبد الله بن عمر الذي عمل في تجارة الأمتعة[5]، وتجارة الإبل[6]. وإدريس بن معقل العجلي الذي كان يتاجر بالعطر ، والمواشي[7]. وأبو دكين الذي عمل بتجارة العطر ، والرقيق ، والدواب[8]. وسعيد بن المسيب (ت٩٤هـ) الذي تاجر في الزيت ، والخبط ، والنوى[9]، والبز[10].

وإلى جانب التجارة العالمية ، فقد نشطت التجارة الداخلية في دولة الخلافة ، وذلك نتيجة لاتساع الدولة وضمها أقطاراً متعددة الموارد والمُناخات ، مما أدّى إلى تنوع المواد الخام والبضائع والصناعات . وظهر عدد كبير من التجار المحليين في كل مصر تخصصوا في بيع السلع المختلفة ، وأشهر تلك السلع : الرقيق[11]، والطعام ، والثياب بأنواعها المختلفة[12]. وظهر متخصص لبيع كل نوع منها ، فقد كان من أشهر باعة البز[13]: الكوفي حفص بن سليمان بن المغيرة (ت١٨٠هـ)[14] ، وعبدة بن أبي لبابه[15]، ومحمد بن سيرين

---

(1) ابن حوقل ، ص١١٠ .

(2) المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص٤٤٢-٤٤٣ . يضم إقليم فارس : سينير ، شيراز ، سابور ، كاذرون ،اصطخر ، الروذان .

(3) ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٤٦ .

(4) الجاحظ ، التبصر ، ص٣٨-٣٩ . المقدسي (محمد) ، أحسن التقاسيم ، ص٣٩٦ .

(5) السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٧٥ .

(6) الدارمي ، ج٢ ، ص٢٥٩ . أبو داود ، ج٣ ، ص٦٥١ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٥٦ .

(7) البلاذري ، فتوح ، ص٤٣٩ .

(8) ابن حبيب ، المحبر ، ص٣٤٢ .

(9) الجاحظ ، رسائل أدبية ، ص٢٤٢ . أبو داود ، ج٣ ، ص٧٢٩ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٦٩ . الذهبي ، تذكرة ، ج١ ، ص٥٤ . ابن كثير ، ج٩ ، ص١٠١ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٤ ، ص٨٦ . ابن العماد الحنبلي ، ج١ ، ص٣٧١ .

(10) ابن سعد ، ج٥ ، ص١٣٤ . الذهبي ، سير ، ج٤ ، ص٢٤١ .

(11) وكيع ، ج٢ ، ص٢٣٣ . ابن الأثير ، ج٥ ، ص١٥٩ .

(12) الدارمي ، ج٢ ، ص٢٤٨ . أبو داود ، ج٣ ، ص٧٣٢ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٨٩ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٥٨ .

(13) حول نشاط تجار البز ، أنظر : ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص٦١ ، تهذيب ، ج٤ ، ص٤١١ . ابن كثير ، ج٦ ، ص٣٩ .

(14) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٠ ، ص٢١٦ .

(15) ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٣ ، ص٥٥ ، ص٥٨ ، تهذيب ، ج٤ ، ص١٦٤ . المزي ، ج١٨ ، ص٥٤٣ .

(ت١١٠هـ)[1]. وظهر من تجار الخز: أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ)[2]، والبصري داود بن هند (ت١٤٠هـ)[3]. وذكر من باعة الكرابيس: أبو سعيد[4]، وزاذان أبو عمر (ت٨٢هـ)[5]. واشتهر عثمان بن أبي سليمان البتي بتجارة الطيالسة[6]. وكان هناك العديد من باعة الخُمُر: كأزهر الكوفي[7]، وحماد بن سلمة بن دينار المصري (ت١٦٧هـ)[8]، وإسماعيل ابن عبد الرحمن السدّي (ت١٢٧هـ)[9].

وانتشر كذلك باعة العطر: كإدريس بن معقل العجلي[10]، وأبو دكين[11]، وعبد الله بن كثير الداري المكي[12]. وقد ساهمت النساء أيضا ببيعه وترويجه: كالحولاء بنت تويت العطارة[13]، ومليكه أم السائب بن الأقرع الثقفية[14]، وأسماء بنت المسور بن مخرمه[15]. وهناك من كان يعمل بالخوص ويبيعه: كسلمان الفارسي[16]، والنعمان بن حميد[17]. وانتشرت صناعة الجرار وبيعها، وذاعت شهرة الشاعر أبو العتاهية وعائلته بتجارتها[18]. وقد شارك عمال الدولة أيضا بالتجارة المحلية، فقد كانوا يقومون ببيع القراطيس والصحف[19].

---

(1) ابن سعد، ج٧، ص٢٠٢. الذهبي، سير، ج٤، ص٦٢٠.

(2) ابن قتيبة، المعارف، ص٤٩٥. الخطيب البغدادي، ج١٣، ص٣٦٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص١٢٩. المزي، ج٢٩، ص٤٢٢. الذهبي، تذكرة، ج١، ص١٦٨، سير، ج٦، ص٣٩٤. ابن حجر، تهذيب، ج١٠، ص٤٤٩.

(3) الذهبي، تذكرة، ج١، ص١٤٧.

(4) ابن سعد، ج٣، ص٢٧.

(5) المصدر السابق، ج٦، ص١٧٩. ابن عساكر، تاريخ، ج١٨، ص٢٨٨. ابن الجوزي، صفة، ج٣، ص٥٩، المنتظم، ج٦، ص٢٥٢.

(6) الزبيدي، ج١، ص٥٢٣.

(7) ابن عساكر، تاريخ، ج٨، ص٤٤.

(8) الأصبهاني، ج٦، ص٢٥١.

(9) الجوهري، ج٢، ص٤٨٦. ياقوت، معجم الأدباء، ج٧، ص١٤.

(10) البلاذري، فتوح، ص٤٣٩.

(11) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٤٢.

(12) ابن حجر، تهذيب، ج٥، ص٣٦٧.

(13) الخطيب البغدادي، ج٨، ص٣٣٨. ابن الأثير، أسد، ج٥، ص٤٣٢. ابن حجر، الإصابة، ج٤، ص٢٧٨.

(14) ابن الأثير، أسد، ج٥، ص٥٤٩.

(15) ابن سعد، ج٨، ص٣٠٠-٣٠١. البلاذري، أنساب، ج١، ص٢٩٨-٢٩٩. ابن قدامه، ص٦٧. ابن الأثير، أسد، ج٥، ص٤٥٣. ابن حجر، الإصابة، ج٤، ص٢٣٢.

(16) ابن عساكر، تاريخ، ج٢١، ص٤٣٥، تهذيب، ج٦، ص٢٠٨، ابن الجوزي، صفة، ج١، ص٥٤١.

(17) ابن سعد، ج٤، ص٨٩.

(18) الزبيدي، ج٣، ص٩٧.

(19) يحيى بن معين، ج٢، ص٢١٤.

وكان للتجارة المحلية ونشاطها دور كبير في تربية الإبل وتجارتها في الأمصار الإسلامية ، وقد عاد ذلك بكثير من الفائدة على القبائل البدوية ، فقد عمل كثير من الناس في شراء الإبل وبيعها للتجار ، أو حتى كرائها ، مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب[1]، وأسيفع جهينة أيام عمر بن الخطاب[2]. وعرف كذلك جرير بن عبد الله البجلي في تجارته للإبل وكرائها للتجار وللحجاج[3]. وعرف أيام الوليد بن يزيد تاجر الجمال دحمان الجماني الذي كانت له علاقات حسنة معه[4]. وعمل كذلك القاضي والمحدّث يزيد بن عبد الملك بن وهب الشامي في تجارة الإبل وكرائها بين مصر والشام زمن بني أمية[5]. وكان حنين الحيري - وهو نصراني يسكن الحيرة - يكري الجمال إلى الشام وغيرها[6]. كما أن حكم الوادي كان يكري الجمال لنقل الزيت من الشام إلى المدينة[7].

ومن الملفت للنظر تجارة الخمر ، فقد كانت من التجارات الشائعة والمربحة قبل الإسلام . وكان لعثمان بن أبي العاص الثقفي غلمان يبيعون الخمر ، وكان الدّرهم فيها يربح عشرة دراهم[8]، وكان أبو سفيان بن حرب وولده معاوية يسافران رحلة الصيف للشام ورحلة الشتاء لليمن في تجارة الخمر[9]، وكان لهما أموال وكروم عنب في الطائف[10].

وبعد مجيء الإسلام ، أهدى تميم الداري (ت٤٠هـ) الرسول (ص) راوية خمر كل عام وذلك قبل تحريمه[11]. وبعد تحريمها أمر الرسول (ص) بإهراقها ، فحاول التجار مراجعته بذلك وشكوا إليه الضرر الذي أصابهم إثر ذلك التحريم[12]. وذكر أن كيسان بن عبد الله جاء بخمر يريد بيعه للتجار فرآه الرسول (ص) ، فقال له : "إنّها حُرِّمت بعدك ، فقال كيسان : فأذهب فأبيعها فقال : إنها حُرمت وحرم ثمنها فانطلق فأهرقها"[13]. وروي أن أحد

---

(1) الدارمي ، ج٢ ، ص٢٥٩ . أبو داود ، ج٣ ، ص٦٥١ . الترمذي ، ج٢ ، ص٣٥٦ . السرخسي ، ج١٤ ، ص٣ ، المتقي الهندي ، ج١٢ ، ص٦٥٨-٦٥٩ .

(2) مالك ، المدونة ، ج٥ ، ص٣٣٣ .

(3) ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص١١٤ .

(4) ابن عساكر ، تهذيب ، ج٥ ، ص٢١٩ .

(5) الأصبهاني ، ج٨ ، ص٣٣٢.

(6) الأصفهاني ، ج٢ ، ص٣٠١ . النويري ، ج٤ ، ص٢٩٤ .

(7) النويري ، ج٤ ، ص٣٠٥ .

(8) أبو عبيد ، ص١٣٥-١٣٦ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٢٧٥ .

(9) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٣٢١ .

(10) البلاذري ، فتوح ، ص٧٥ .

(11) المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٦٣ .

(12) الترمذي ، ج٢ ، ص٣٨٠ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٦٣ .

(13) ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٢٥٨ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٣٠٩ .

تجار الخمر جاء إلى الرسول (ص) معترضا على تحريم الخمر ، فخـاطب الرسـول (ص) قائلا : "إنا كنا أصحاب كرم وخمر ، وإن الله قد حرّم الخمر فما نصنـع بـالكرم ؟ قـال : تجعلونه زبيبا . قالوا : وما نصنع بالزبيب ... ؟ "[1].

وعلى الرغم من هذا كله إلا أن بعض المسلمين لم يترك الاتجار بالخمر ، فيذكـر أن أحد تجار الخمر ـ وهو سمرة بن جندب حليف الأنصار ـ استمر ببيع الخمر في الإسـلام[2]. وروي أن ثابت بن زيد الخولاني كان له عم يبيع الخمر ويتاجر فيها ، فلما حج ثابت إلى مكة جاء إلى عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) وسأله عن ذلك ، فقال : "هي حرام وثمنها حـرام"[3]. ويبدو أن المسلمين قد فهموا أن التحريم قد اقتصر على شربها فقط وقاموا بالتجارة فيها ، وفي مقولة عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ) : "لا يجوز للمسلمين أن يبيعوا خمـرا ولا خـنزيرا ولا ميتة"[4] ما يشير إلى استمرار بيع الخمر وشرائه من قبل المسلمين مما دعا الدولة إلى التأكيد على تحريم التجارة فيها كذلك .

وأشارت رواية إلى استمرار معاوية بن أبي سفيان ـ تاجر الخمر فـي مكـة قبـل الإسلام[5] ـ بتجارتها أثناء ولايته على الشام لعثمان بن عفان ، فيذكر أن عبادة بن الصامت ـ قاضي فلسطين لعثمان بن عفان ـ مر بقافلة فسأل عنها ، فقيل له : "خمر يباع لمعاوية فـأخذ شفرة وشق روايا الخمر ، فأرسل معاوية إلى أبي هريرة ، وقال له : ألا تمسك عنّـا أخـاك عبادة ، فدخل عليه أبو هريرة في المسجد ، وقال له : يا عبادة مالك ولمعاويـة ، ذره ومـا حمل، فإن الله يقول : تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، فقال عبـادة : يـا أبـا هريرة لم تكن معنا إذ بايعنا الرسول (ص) على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وألاّ يأخذنا في الله لومة لائم ، فسكت أبو هريرة" ، ونفى معاوية عبادة بن الصـامت إلى المدينة ، ولم يعترض الخليفة عثمان على ذلك[6].

ويبدو أن تجارة الخمر قد استمرت بعد الإسلام ، فيذكر أن عتبة بن فرقد بعث إلـى عمر بن الخطاب أربعين ألف درهم من صدقة بيع الخمر ، فبعث إليه عمـر: "بعثـت إلـيّ بصدقة الخمر، فأنت أحق بها من المهاجرين ، والله لا استعملك على شيء أبداً "[7].

---

[1] أبو عبيد ، ص١٣٨ . الأصبهاني ، ج٦ ، ص١٠٥ . المتقي الهندي ، ج٤ ، ص١٦٢ .

[2] أبو هلال ، ص٢٠٤ .

[3] ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٢٦٤ . الخطيب البغدادي ، ج١٠ ، ص٢٢ .

[4] أبو يوسف ، ص١٩٩ . أبو عبيد ، ص٥٣٤ . ابن قيم ، ج٢ ، ص٧٢٩ .

[5] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٣٢١ .

[6] أبو هلال ، ص١٣٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٦ ، ص١٩٨ . الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص١٠ . الديـار البكـري ، ج٢ ، ص ٢٦٩ .

[7] أبو عبيد ، ص٦٣-٦٤ .

واستمر أهل الذمة بالاتجار بالخمر في البلاد المفتوحة ، فيذكر أن عمر بن الخطاب أحرق حانوتاً تباع فيه الخمور[1]. كما يذكر أن رجلا من أهل السواد أثرى من تجارة الخمر ، فأمر عمر بتشريده ومنعه من بيعها[2]. وقيل إن علي بن أبي طالب أحرق قرية تدعى زرارة لكثرة ما يباع فيها من الخمر[3]. وقد أصدر زياد بن أبيه (٤٥-٥٣هـ) قراراً بمنع الاتجار في الخمر في البصرة ومعاقبة كل من يخالف ذلك[4]. كما منع الحجاج بن يوسف أن تباع الخمر في الكوفة ظاهرةً[5]. وأرسل عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) بمنشور إلى البصرة والكوفة يمنع الاتجار بالخمر وتسويقها في أمصار المسلمين ، وعدم أخذ العشور من تجارها[6].

وأدى استمرار أهل الذمة والمسلمين بالاتجار بالخمر إلى وجود خلاف بين الخلفاء والولاة من جهة وبين العلماء من جهة أخرى ، حول الموقف من التجارة فيها أو أخذ العشور منها[7].

---

[1] أبو عبيد ، ص١٣٤ . ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص٢٨٣ .

[2] أبو عبيد ، ص١٢٥ . ابن قيم الجوزية ، ج٢ ، ص٧٢٨ .

[3] ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص٢٨٣ ، ج٢ ، ص٧٢٨-٧٢٩ .

[4] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١، ص٢١٤ .

[5] المصدر السابق ، ج٧ ، ص٣٦٦ .

[6] أبو عبيد ، ص٦٤ ، ص٥٣٤ . ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص٦٣ ، ج٢ ، ص٧٢٩ .

[7] أبو يوسف ، ص١٢٧ ، ص١٣٣ ، ص١٣٧ . يحيى بن آدم ، ص٦٨-٧٠ . أبو عبيد ، ص٦٣-٦٤ ،ص٥٣٥. ابن قيم الجوزية ، ج١ ، ص٦١ ، ص٦٣-٦٤ ، ج٢ ، ص٧٢٩ . المقريزي ، ج٢ ، ص١٢٢ .


الفصل الخامس
التجارة وحركة الجهاد

١ـ اعتمدت الدعوة الإسلامية في انتشارها على فكرة الجهاد التي فرضها الله على المسلمين بهدف الدفاع عن أنفسهم ، وحماية أمن دولتهم الفتية .

اعتمدت مكة على التجارة حيث انطلقت القوافل التجارية منها وإليها ، وارتبطت القبائل العربية اقتصادياً بهذه القوافل كما يتضح من الإيلافات[١]، وقد جنت مكة أرباحاً طائلة من تجارتها ، حتى إنها كانت تربح للدينار ديناراً[٢]. وقد تنبه الرسول (ص) لأهمية التجارة عند أهل مكة ، لذا فقد **هدفت غزواته وسراياه إلى توجيه ضربة اقتصادية** لمدينتهم وتجارتها ، ولمن ارتبط معها في الإيلافات[٣].

ووجهت في السنة الأولى للهجرة أول سريّة بقيادة حمزة بن عبد المطلب لاعتراض قافلة تجارية مكية قادمة من الشام من جهة ساحل البحر الأحمر[٤]، وانطلقت السّريّة الثانية بقيادة سعد ابن أبي وقاص (ت٥٦هـ) لنفس الهدف[٥]. وفي أواخر السنة الأولى للهجرة ، خرج الرسول (ص) إلى الأبواء في غزوة هدفها اعتراض إحدى القوافل التجارية المكية[٦]. كما خرج مرة أخرى في أوائل السنة الثّانية للهجرة إلى بواط لاعتراض قافلة تجارية مُكوّنة من ألفين وخمسمائة بعير[٧]. وخرج في نفس السنة إلى غزوة ذي العشيرة لاعتراض عير

---

(١) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢٠٠ . ابن حبيب ، المحبر ، ص١٦٣ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٥٩ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٢٥ . الطبري ، ج٢ ، ص٢٥٢ . أبو هلال ، ص١٣ ، ص٢٩٨-٢٩٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢١٢ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٠. ابن كثير ، ج٢ ، ص٢٥٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص١٨٩-١٩٠.
ـ محمد سعيد طالب ، ص١٨٦ . رضوان السيد ، ص٢٧. Kister , Mecca. , P.33-57

(٢) ابن سعد ، ج٢ ، ص٣٧ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣١٢ . النويري ، ج١٧ ، ص٨١ . الديار البكري ، ج١ ، ص٤١٩ .

(٣) Donner , F. , P. 249-66

(٤) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٩ . ابن هشام ، ق١ ، ص٥٩٥ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٦ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٧١ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٨ . الطبري ، ج٢ ، ص٤٠٢ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٠ . أبو هلال ، ص٨٤ . ابن الجوزي ، ص٣ ، ص٨٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٧٨ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٣٤ .

(٥) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١١ . ابن هشام ، ق١ ، ص٦٠٠ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٧ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٧١ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٨ . الطبري ، ج٢ ، ص٤٠٢ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠١. ابن الجوزي ، ص٣ ،ص٨٠ .ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٧٨ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٣٤ .

(٦) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١١-١٢ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٨ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٨٧ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٨٩ .

(٧) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٢ . ابن هشام ، ق١ ، ص٥٩٨ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٨-٩ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ،ص٢٨٧ . الطبري ، ج٢ ، ص٤٠٧ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٨٩ . ابن الأثير ، الكامل ،ج٢ ،ص٧٨ .

قريش[1]. كما أرسل الرســـول (ص) سريّة بقيادة عبد الله بن جحش لاعتراض قافلة تجارية قادمــة من الطائف إلى مكة[2].

وفي العام نفسه شنّ الرسول (ص) حرباً اقتصادية لا هوادة فيها ضد مكة ، وهاجمها فـــي غزوة بدر الكبرى بعد أن حاول اعتراض قافلة لها[3]. وتأثرت مكة من الحصـــار الـــذي فرضــه الرسول (ص) على الطرق التجارية المكّيّة التي تمر من منطقة المدينة المنورة ، مما دعاها إلـــى التّوجّه بقوافلها إلى طريق العراق ، إلا إن الرسول (ص) قطع عليهم هذه الطريق أيضاً[4]، فكـــان لذلك أشد الأثر في خضوع مكة وقبولها لصلح الحديبية سنة ٦هـ ، والذي كان من أهم شـــروطه عدم الاعتراض لتجارة مكة وقوافلها التجارية[5].

واتبع الرسول (ص) سياسة الحصار الاقتصادي على خصومه في معاركه ، فعندما توجــه إلى قتال الطائف اتضح له عدم مقدرته هزيمة أهلها بالقوة وحدها ، فلجأ إلى فرض حصار علـــى تجارتهم[6].

٢ــ انتدب الرسول (ص) صحابته للخروج معه إلى الغزوات والحروب ، خاصة التجار

---

(1) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٢ . ابن هشام ، ق١ ، ص٥٩٨ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٩-١٠ . البلاذري ، أنســاب ، ج١، ص٢٨٧ . الطبري ، ج٢ ، ص٤٠٨ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٢-٢٠٣. ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٩٠. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٧٨.

(2) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١٣ . ابن هشام ، ق١ ، ص٦٠٦ . ابن سعد ، ج٢ ، ص١١ . البلاذري ، أنســـاب ، ج١ ، ص٣٧١-٣٧٢ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٨ . الطبري ، ج٢ ، ص٤١٢ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٢ . أبو هلال ، ص٨٤-٨٥ . ابـــن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٩١ . ابن الأثير ، أسد ، ج٥ ، ص٧٩-٨٠ ، الكامل ، ج٢ ، ص٨١ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٤٩ .

(3) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٢٧ . ابن هشام ، ق١ ، ص٦٠٦ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٩-١٣ ، ص٣٧ . ابن عبـــد الحكـــم (عبـــد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٢٦٩ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٢٨٧-٢٨٨ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٧ . الطـــبري ، ج٢ ، ص٤٠٨ ، ص٢٧ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٢-٢٠٣ ، ص٢٠٥ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٣ ، ص٥٧ . ابن الجوزي ، صفـــة ، ج١ ، ص٣٣٦ ، المنتظم ، ج٣ ، ص٩٠ ، ص٩٧ . ابن الأثير ، أسد ، ج٤ ، ص٢٤٨ ، الكامل ، ج٢ ، ص٧٨ ، ص٨٠ . الذهـــي ، سير ، ج١ ، ص١٣٥-١٣٦ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٢٨٥ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٥٦، ص٢٦١ ، ج٧ ، ص٢٤٧ .الديار البكـري ، ج١ ، ص٤١٩ .

ــ إبراهيم حركات ، ص١١١ .

(4) ابن اسحق ، ص٣١٦ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٣٦ ، ص٨٧ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٧٤، ص٣٧٧ . اليعقوبي ، تـاريخ ، ج٢، ص٥٩ . الطبري ، ج٢ ، ص٤٩٢-٤٩٣ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢١٠ . الأصفهاني ، ج١٧ ، ص٢٤٢ . الديار البكـــري ، ج٣ ، ص١٠١٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص١٦٠ ، ص٢٥٧ . ابن الأثير ، أســـد ، ج٤ ، ص١٧٥ ، الكـــامل ، ج٢ ، ص١٠١ . النويري ، ج١٧ ، ص٨٠ .

(5) أنظر بنود الصلح في : الطبري ، ج٢ ، ص٦٣٤ .

(6) عون الشريف قاسم ، ص١٣٦ .

منهم ، وخرج هؤلاء ببضائعهم للتجارة ، سواء في المعارك أو في الأسواق التي مرّوا عنـــها[1].

وأورد الواقدي (ت٢٠٧هـ) على لسان عثمان بن عفان (ت٣٥هـ) قوله : "فلقد خرجت ببضاعة إلى موسم بدر ، فربحت للدينار ديناراً ، فرجعنا بخير وبفضل من ربنا"[2].

وولّى الرسول (ص) كثيراً من التجار المكيين قيادة السَّرايا المختلفة ، من بينهم : زيد بـن حارثة[3]، وعبـد الرحمن بن عـوف (ت٣٢هـ)[4]، وسعـد بن أبي وقاص (ت٥٦هـ)[5]. كمـا شـارك معظم التجار في الفتوحات الإسلاميـة كنوفـل بـن الحـارث بـن عبـد المطلـب (ت١٥هـ)[6]، وأبـو سفيـان بن حرب (ت٣٢هـ) الذي أصـر علـى الاشتـراك بفتـوح الشام[7]، وكذلك ولديـه يزيد ومعاويـة[8]، والزبيـر بن العوام (ت٣٦هـ)[9]، وطلحـة بن عبـد الله (ت٣٦هـ)[10]، وصفـوان بـن أميـة (ت٣٦هـ)[11]، والعباس بـن عبـد المطلـب[12]، وعبـد الرحمـن بـن أبي بكـر (ت٥٨هـ)[13] ، وعبـد الله وعبيـد الله ابنـا عمـر بـن

---

(1) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٣٨٧ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٥٩-٦٠ . البلاذري ، أنساب ، ج١، ص٣٣٩-٣٤٠ . اليعقوبي، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٥-٥٦ . الطبري ، ج٢ ، ص٥٦٠-٥٦١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٢٠٥ . النويري ، ج١٧ ،ص٥٥ . الديـار البكري ، ج١، ص٤٦٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٨٩ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٧٨ .

(2) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص٣٨٧ .

(3) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٥٣ ، ص٥٦٠-٥٦١ . ابن هشام ، ق٢ ، ص٤٩-٥٠ ، ص١٢ . ابن سعد ،ج٢، ص٨٧ . البـلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٧٧ . الأصفهاني ، ج١٧ ،ص٢٤٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٣، ص٢٠٧. النويري ، ج١٧ ،ص٨٠، ص٢١٠.

(4) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٧٨ . وكيع ، ج١ ، ص١١٧ . ابن عساكر ،تاريخ ،ج٢،ص٤-٥ . المتقي الهندي ،ج١٠ ،ص٥٩٣.

(5) الواقدي ، المغازي ، ج١ ، ص١١ . ابن هشام ، ق٢ ، ص٦٠٠ . ابن سعد ، ج٢ ، ص٧ ، ص٨-٩ . البلاذري ، أنســاب ، ج١ ، ص٢٨٧، ص٣٧١ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٨ . الطبري ، ج٢ ، ص٤٠٣، ص٤٠٧ . المسعودي ، التنبيـه ، ص٢٠١-٢٠٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٨١، ص٨٩ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٧٨ . ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٣٤ .

(6) ابن كثير ، ج٧ ، ص٦٢ .

(7) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص٦٧-٦٨ .

(8) ابن سعد ، ج٢ ، ص١٥٢ . ابن حبيب ، المنمق ، ص٥٣٢ . البلاذري ، فتوح ، ص١٩٢ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٣ . ابـن أعثم ، ج١ ، ص١٤٢ . الطبري ، ج٣ ، ص٩١ . أبو هلال ، ص٥٩ . ابن عسـاكر ، تهذيـب ، ج٦ ،ص٤٠٧ . ابـن الجـوزي ، المنتظم، ج٣ ، ص٣٤٠ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٢٨٥ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٣٦٠ .

(9) البلاذري ، أنساب ، ج٩ ، ص٤٢١ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٤٣ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص١٩٨.

(10) المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٥ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٥ ، ص٦٠ ، تهذيـب ، ج٧ ، ص٧٥، ص٧٧ . الذهـبي ، سـير ، ج١، ص٢٥. ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٤٧ .

(11) ابن سعد ، ج٢ ، ص١٥٢ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٦٢ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٣ . الطبري ، ج٣ ، ص٩١ . أبـو هلال ، ص٥٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٣٤١ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٣٦٠ .

(12) الديار البكري ، ج٢ ، ص١٦٥ .

(13) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص٢٧، ص٢٩ .

الخطاب[1]، والمسور بن مخرمة[2]، وعامر بن أبي ربيعة[3]. وهناك أيضاً قيس بن سعد بن عباده (ت٦٠هـ)[4]، والمسيّب بن حزن[5]، ومروان بن الحكم (ت٦٥هـ)[6]، ونافع بن الحارث بن كلدة الثقفي[7]، وعبد الله بن جعفر (ت٨٠هـ)[8].

وشكّلت كثرة الغنائم ورخصها دافعاً للتجار للمشاركة في الغزوات والحملات العسكرية ، فيذكر أن أحد التجار الذين شاركوا في فتح خيبر أيام الرسول (ص) ربح في تجارته من الغنائم ثلاثمائة أوقية[9]. وإن دراسة صلة تجار مكة بالرسول (ص) وإقراضهم الأموال والأسلحة ودعمهم له في غزوة حنين وما ترتب على ذلك من حصول المسلمين على غنائم كثيرة جداً، تؤكد العلاقة القوية بين الحملات العسكرية ومصالح التجار[10].

وكان للتجار نشاط تجاري كبير في أثناء فتوح مصر وبلاد الشام والعراق وبلاد فارس ، وذلك لكثرة الغنائم التي حازها المسلمون أثناء الفتوحات وبعدها ، حيث تشير الروايات إلى كثرة غنائم معركة القادسية حتى أنه لم يتمكن أحد من حصرها ، وحتى قيل أن الناس نادوا لكثرة الغنائم : "من يقارض بيضاء بصفراء"[11]، وذكر أن الفارس حصل على أكثر من اثني عشر ألف درهم[12]. وقيل إن المسلمين أصابوا بالمدائن بساطاً وقسموه بينهم ، فبلغ سعر القطعة منه عشرين

---

(1) أبو عبيد ، ص٣٣١ . السرخسي ، ج٢٢ ، ص١٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢١٤ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ،ص٧٥ .

(2) السرخسي ، ج١٤ ، ص٦٧ .

(3) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٠٨ .

(4) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣١٦-٣١٧ .

(5) ابن حجر ، تهذيب ، ج١٠ ، ص١٥٢ .

(6) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٥١٥ . ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص١٠٩ . ٢٨٣ . أبو هلال ، ص١٢٧ .

(7) الدينوري ، ص١١٧ .

(8) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٠٨ .

(9) البخاري ، ج٥ ، ص١٧٦ . أبو داود ، ج٣ ، ص٢٢٢ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٢٠٨ .

(10) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٨٦٣ . ابن سعد ، ج٢ ، ص١٥٢ . ابن حبيب ، المنمق ، ص٥٣٣ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥٣. الطبري ، ج٣ ، ص٩١ . أبو هلال ، ص٥٩ . ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص٤٠٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٣٤٠-٣٤١ . الصفدي ، ج١٦ ، ص٢٨٥ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٣٦٠ .

(11) الطبري ، ج٤ ، ص١٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص١٧٨ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٥٩ . النويري ، ج١٩ ، ص٢٢٧ . ابن كثير ، ج٧ ، ص٤٦ .

(12) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٣٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص١٧٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٦٠ .ابن كثير ،ج٧ ، ص٦٧ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١٠٢ .

ألف درهم[1]، كما ذكر أنهم غنموا أحجاراً كريمة بيع الحجر منها بستة آلاف دينار وهو يساوي أكثر من مائة ألف دينار[2]. وروي أن المسلمين غنموا سفطي جواهر في معركة نهاوند سنة ٢١هـ ، وقد تم بيعها بألفي ألف درهم[3]. ويذكر أن سعد بن أبي وقاص أرسل إلى المدينة المنورة خُمس غنائم جلولاء من آنية الذهب والفضة ، فبلغت قيمتها ستة آلاف ألف درهم[4]. وتكثر المصادر الإسلامية الحديث عن كثرة الغنائم هذه ورخصها وشراء التجار لها وبيعها بأثمان غالية .

وعليه استطاع التجار الاستفادة من حركة الفتوحات الأولى من خلال مشاركتهم بها لتنشيط عملياتهم التجارية وتنمية أموالهم أضعافاً مضاعفة ، وتورد إحدى الروايات حادثة تعبر عن هذا بكل وضوح ، فيذكر أن عبد الله بن عمر بن الخطاب اشترى بضاعة من العراق بعد معركة جلولاء بأربعين ألف درهم ، ونقلها إلى الحجاز وباعها هناك بأربعمائة ألف درهم[5]. وتذكر رواية أخرى مماثلة سبب غنى أحد كبار تجار الكوفة ـ وهو عمرو بن حريث(ت٨٥هـ)ـ إذ يذكر أنه عُرض في الكوفة سفطين من الجواهر ، "فاجتمع عليها التجار ، فاشتراها عمرو ابن حريث بألفي ألف درهم ، ثم خرج بهما إلى الحيرة فباعها بأربعة آلاف ألف ، وكان بذلك أول قرشي اعتقد بالكوفة مالا ، وكان أكثر أهل الكوفة ثراء"[6].

وأدّى فتح الحدود بين بلدان الشرق القديم نتيجة الفتوحات الإسلامية إلى تنشيط وتسهيل التجارة بين البلدان ، فيذكر عامر بن أبي ربيعة ما نصه : "أصابني من غنيمة سوق الدَّير أثواب ديباج وحرير فيها صور الروم ، وكان في كل ثوب منها صورة مريم وعيسى ، فحملت الثياب

---

(١) الواقدي ، فتوح ، ج٢ ، ص٣٠٦ . الطبري ، ج٤ ، ص٢٢ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ،ص٣٦٠-٣٦١ . ابن كثير ،ج٧ ،ص ٦٧ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١٠٢ .

(٢) الواقدي ، فتوح ، ج٢ ، ص٣٠٦ .

(٣) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٢٩١ . أبو عبيد ، ص٣٢٢ . البلاذري ، فتوح ، ص٤٢٧-٤٢٨ . الدينوري ، ص١٣٨ . الطبري ،ج٤ ، ص١١٦-١١٧ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٦٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٧٦ . النويري ، ج١٩ ، ص٢٥٩ . ابن كثير، ج٧ ، ص١١١-١١٢ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٧ .

(٤) الطبري ، ج٤ ، ص٢٩ .

(٥) أبو عبيد ، ص٣٣١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢١٤ .

(٦) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٢٩١ . أبو عبيد ، ص٣٢٢ . البلاذري ، فتوح ، ص٤٢٧-٤٢٨ . الدينوري ، ص١٣٨ . الطبري ،ج٤ ، ص١١٦-١١٧ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٦٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٧٦ . النويري ، ج١٩ ، ص٢٥٩ . ابن كثير ،ج٧ ، ص١١١-١١٢ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٧ .

إلى اليمن فبيعت بثمن كبير ، وكتب إليّ عمي وأنا مع أبي عبيدة : يا ابن أخي ابعث لي من هذه الثياب وأكثر منها فإنها تنفق"[1].

وحرص التجار على الخروج مع الحملات العسكرية بهدف شراء البضائع بأسعار رخيصة وتحقيق الأرباح الطائلة وطلباً للغنائم والتجارة[2]. وقد استمر ذلك أيضاً أيام بني أمية[3]، وغنم المسلمون في غزوة قتيبة بن مسلم الباهلي لبيكند سنة ٨٧هـ غنائم كثيرة جداً ، ونشط المقاتلون في تجارة الأسلحة وتنافسوا في حسن الهيئة ، مما درَّ أرباحاً طائلة على التجار المرافقين[4]. فمثلاً أمر قتيبة بن مسلم بإذابة الآنية والأصنام الفضيّة ، وبقي خبث ما أُذيب ، فوهبه إلى عبد الله بن والان العبدي ولإياس بن بيهس الباهلي ، فدفع لهما التجار به أربعين ألف درهم[5].

ومن التجار من استفاد من علاقته بالدولة عند شراء الغنائم ، لا سيما تلك التي يصعب نقلها أو قسمتها ، حيث كان الأمراء والقادة هم المسؤولين عن بيع الغنائم وتحديد أسعارها ، وأشارت المصادر إلى حوادث تم فيها التساهل بأسعار الغنائم من قبل القادة لأسباب خاصة ، أو لوجود صداقة بيهنم وبين هؤلاء التجار[6].

وكان لمشاركة التجار في الفتوحات الإسلامية أثر كبير في المساعدة على فتح الكثير من المدن بسبب معرفتهم السابقة بها ، وتطلّع بعضهم إلى ولايتها بسبب قدرته على التعامل مع أهلها ، فيذكر أن معرفة عمرو بن العاص (ت٤٣هـ) الجيدة بفلسطين ومصر وتجارته إليهما قبل الإسلام أتاحت له أن يلعب دوراً في فتحهما[7]، وقد تجلّت خبرته الاقتصادية في كتابة العهود

---

(1) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٠٨ .

(2) ابن سعد ، ج٤ ، ص٢٧٠ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٧ . المبرد ، ج١ ، ص٢٠٧ . ج٢ ، ص٢٦٦-٢٦٧ . الطبري ، ج٣ ، ص١٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٢ ، ص١٠٢، ص١٠٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص٣٨٣ . الكامل ، ج٢ ، ص١٥١ . ابن أبي الحديد ، ج٤ ، ص١٤٧ .

(3) المبرد ، ج٢ ، ص٢٢٦-٢٢٧ . الطبري ، ج٦ ، ص٤٣٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٧٩ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص٥١ . ابن كثير ، ج٩ ، ص٧٢ .

(4) ابن أعثم ، ج٧ ، ص٢٢١ . الطبري ، ج٦ ، ص٤٣٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٧٩ . ابن كثير ، ج٩ ، ص٧٢ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٤٠ .

(5) الطبري ، ج٦ ، ص٤٣١-٤٣٢ .

(6) صالح العلي ، ص٢١٩ .

(7) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٥٣-٥٥ . ابن أعثم ، ج١ ، ص٤٢ . ابن أبي الحديد ، ج٦ ، ص٣٢٠ . المقريزي ، ج١ ، ص١٥٨-١٥٩ . السيوطي ، ج١ ، ص٩٤-٩٥ .

لأهل مصر ومراعاته الأمور التجارية وحرية التبادل التجاري فيها[1]. ويبدو أن عمرو بن العاص (ت٤٣هـ) استمر في تجارته خلال ولايته عليها[2]. كما ساهم معاوية بن أبي سفيان (ت٦٠هـ) في فتوح الشام[3] مستفيداً من خبرته التي اكتسبها من تجارته إليها[4]، وشكل هذا سبباً في تولية عمر بن الخطاب له عليها[5]. وساهم كذلك عثمان بن أبي العاص الثقفي بفتح العراق وتولّى اليمامه والبحرين سنة ١٧هـ وعشور الأبلة[6]. وشارك عبد الله بن عامر بن كريز بفتح خراسان ومصالحة أهلها[7]، وأصبح فيما بعد والياً لعثمان على البصرة (٢٩-٣٢هـ)[8]. وتولى سعيد بن العاص الكوفة لعثمان سنة ٣٠هـ[9]، وكان قد غزا أرمينيا وجرجان[10].

وجنب القائد التاجر أو المحاط بالتجار قوات المسلمين الأخطار ، وذلك بسبب معرفته بالمواقع العسكرية والأطراف المعادية ، فتذكر إحدى الروايات أن أبا عبيدة بن الجراح وجّه عند فتح الشام شرحبيل بن حسنة إلى بصرى في أربعة الآف فارس دون أن يعلم أن سوقها امتلأت بأكثر من اثني عشر ألف فارس بيزنطي ، ولما جاء مدد المسلمين قال خالد بن الوليد : "يا شرحبيل أما علمت أن هذه مينا الشام والعراق ، وفيها عساكر الروم وبطارقتهم ، فكيف غررّت بنفسك وبمن معك من المسلمين ؟ قال : كلّه بأمر أبي عبيدة ، فقال خالد : أما أبو عبيدة فإنه رجل خالص النيَّة وليس عنده غائلة الحرب ولا يعلم بمواقعها"[11].

يتضح مما سبق أن الإسلام جاء في بيئة تجارية ، وكان الرسول (ص) والخلفاء وأمراء السرايا والغزوات وقادة الفتوح من طبقة التجار العالميين ، الأمر الذي شجَّع المسلمين على ممارسة التجارة أثناء فتوحاتهم للبلاد الأخرى ، واستمروا في التعامل تجارياً مع سكان البلاد

---

[1] ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٧٠ ، ص٧٣ . الطبري ، ج٤ ، ص١٠٩ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٤ .

[2] ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص١٤٦ . البلاذري ، فتوح ، ص٣٠٧-٣٠٨ . ابن عبد ربه ، ج١ ، ص٤٦-٤٧ . أبو هلال ، ص١١٨-١١٩ . المقريزي ، ج١ ، ص٧١ ، ج٢ ، ص١١٣ ، ص١٣٩ .

[3] البلاذري ، فتوح ، ص١٩٢ .

[4] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٣٢١ .

[5] مالك ، الموطأ ، ص٢٩٠ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٢٤٤ .

[6] الذهبي ، سير ، ج٢ ، ص٣٧٤ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣ ، ص٣٧٢-٣٧٣ ، ص٣٧٤ ، ج٤ ، ص٢٥٠ .

[7] البلاذري ، فتوح ، ص٥٧١ .

[8] ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٦١ .

[9] الجاحظ ، البيان ، ج١ ، ص٢١١ . المقدسي (مطهر) ، البدء ، ج٥ ، ص٢٠١ .

[10] ابن عساكر ، تهذيب ، ج٦ ، ص١٤٢ .

[11] الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص٢٧-٢٩ .

المفتوحة أثناء صدامهم العسكري معها مثل جيوش بيزنطة وفارس[1]. وقد روي عن الرسول (ص) في وصيته لقادة جيشه ما نصّه : "لا تقتلوا تجار المشركين"[2]. الأمر الذي يفسّر تعامل المسلمين أيام الرسول (ص) معهم تجارياً حتى أثناء الحروب[3]. وفي غزوة خيبر كان المسلمون يتبايعون مع اليهود حتى في أثناء حصارهم لهم ، فيذكر أحد الصحابة وهو فضالة بن عبيد : "كنّا مع الرسول (ص) يوم خيبر نبايع اليهود الأوقية من الذهب بالدينار ..."[4]. وتم الشيء نفسه في القادسية[5]. كما اشترى المسلمون الميرة من تجار حمص في أثناء حصارهم لها[6]. وجاء في كتاب صلح أبي عبيدة بن الجراح لأهل حلب : "قبلت على أننا إذا نزلنا بساحتكم أعنتمونا بالميرة والعلوفة ، وتبيعون وتشترون في عسكرنا ، ولا تكتموا عنا خبراً تكونوا تعلمونه من أعدائنا .. فرضي أهل حلب"[7]. وورد مثل ذلك في حصار المسلمين للقسطنطينية سنة ٩٨هـ[8].

وعرف عن التجار تقديمهم مصلحتهم غالباً على كل المصالح[9]، وقد انتبه قادة المسلمين أثناء الفتوح لذلك ، فتعاملوا عند حصارهم للمدن مع تجارها أولا واتصلوا بهم وكسبوهم إلى جانبهم ، وقد كانوا الميّالين قبل غيرهم إلى أخذ الأمان من القادة العرب ، فيذكر أنه في أثناء حصار خالد بن الوليد لبهنسيا بالشام جاء تجار المدينة إلى حارس باب المدينة وخدعوه بالمال مقابل السماح لهم بالخروج للعرب لأخذ الأمان منهم ، "فمضى نحو مائتين من تجار البلد وخرجوا من الباب وأتوا إلى خالد ، وصالحوه على أن يفتحوا لهم الباب"[10]. وحصل الشيء نفسه في حصار المسلمين لمدينة حلب بقيادة أبي عبيدة الجراح ، حيث جاءت جماعة منهم إلى أبي عبيدة وسألوه الصلح ، فقال لهم : "من أنتم ؟ فقالوا : نحن سكان حلب من تجارها وسوقتها ورؤسائها ، وقد جئنا نطلب منكم الصلح ، فقال أبو عبيدة : فكيف نصالحكم وقد بلغنا أن بطريقكم قد صمّم على قتالنا ، فقالوا : خرج سحر وخرجنا نحن من بعده وسلكنا طريقاً غير طريقه .. فقال أبو

---

[1] حول التبادل التجاري بين بيزنطة والشام ومصر ، أنظر : هملتون جب ، ص٧٥-٧٨ . صالح ذياب هندي ، ص١٦٧-١٦٨ .

[2] يحيى بن آدم ، ص٥١ . السهمي ، ص٤٠٧ . الذهبي ، تذكرة ، ج٢ ، ص٦٨٤ .

[3] أبو يوسف ، ص٢٠٠ .

[4] أبو داود ، ج٣ ، ص٦٥٠ .

[5] السرخسي ، ج١٤ ، ص٦٧ . ابن كثير ، ج٨ ، ص٢٤٦ .

[6] الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٤٩-١٥٠ .

[7] الواقدي ، ج١ ، ص٢٥٠-٢٥١ .

[8] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٢ ، ص٤٤٣ ، تهذيب ، ج١ ، ص٢٩٧ . ابن كثير ، ج٩ ، ص١٨٤ .

[9] البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٣٣٤ . الطبري ، ج٧ ، ص١٠ .

[10] الواقدي ، فتوح ، ج٢ ، ص٢٩٧ .

عبيدة : قبلت على أننا إذا نزلنا بصاحبكم أعنتمونا بالميرة والعلوفة وتبيعون وتشترون في عسكرنا ولا تكتموا عنا خبراً تكونوا تعلمونه من أعدائنا"[1].

وبناء على ذلك فقد لعب التجار العرب في الجيوش الإسلامية دوراً هاماً في السيطرة على البلاد المفتوحة من خلال علاقاتهم التجارية مع تجار المدن المحاصرة أو تلك التي فتحت ، كما لعبوا دوراً في انتزاع ثقة سكانها بالعرب المسلمين الفاتحين ، ويورد الواقدي (ت٢٠٧هـ) رواية تعبر عن ذلك بشكل واضح ، فقال : "قال حبّان بن تميم الثقفي وأقمنا خارج المدينة (بعلبك) ... لا يدخل إليها أحد منا ، ونحن لم نكن في صلحنا ، وكنا إذا خرجنا في سرية نبيع الغنائم في بعلبك ، ففرح أهلها ببيعنا وشرائنا ووجدونا قوماً ليس فينا كذب ولا خيانة ... فلما نظر البطريق هربيس إلى ما ربح أهل بعلبك منا في تجارتهم ورخص ما يشترونه منا جمعهم ... وقال للتجار والباعة والسوقة : لقد علمتم أني قد اجتهدت في أموركم وقد أصبتم مع هؤلاء العرب خيراً كثيراً في هذه التجارات ... فطلب منهم عشر أموالهم ووضع عليهم الجباة فوافقوه على ذلك وجباهم أربعين يوماً... فلما نظر هربيس إلى كثرة ما قد اجتمع له من مال العُشر ، طلب منهم الربع من أموالهم ، فثاروا عليه وقتلوا جُباته وقتلوه ، وطلبوا من المسلمين دخول مدينتهم فدخلوها" ، وهكذا فقد ضمن هؤلاء أموالهم وحافظوا على مصلحتهم التي ربطها العرب التجار بهم[2]، وحدث مثل ذلك في مناطق أخرى من الفتوح كذلك[3].

تحتاج الدول دائماً إلى من يوافيها بأخبار ما يحدث في كافة أقطارها أو في الدول المجاورة ، ولما كان التجار خير من يقوم بذلك فإنه قد تم إسناد هذه المهمة لهم ، وتشير المصادر إلى مهارتهم بذلك[4]. وقد استخدمهم الرسول (ص) كمخبرين له في الحرب ، إذ أرسل قبل غزوة بدر كل من طلحة بن عبيد الله (ت٣٦هـ) وسعيد بن زيد بن عمرو ليتتبعان خبر قافلة قريش القادمة من الشام ، فلم يشهدا المعركة ، إلاّ أنه ضرب لكل منها سهماً في بدر[5]، وهو إقرار من الرسول (ص) على موازاة دور المخبرين مع دور المقاتلين . وقبيل غزوة تبوك سنة ٩هـ قدمت إلى المدينة قافلة من الشام وذكرت استعدادات هرقل وجموعه لقتال المسلمين ، فأمر

---

(1) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٤٩-٢٥١ .

(2) المصدر السابق ، ص١٤٥-١٤٦ .

(3) ابن الأثير ، ج٤ ، ص١٨٥ .

(4) الهروي ، ص٧٩ .

(5) ابن سعد ، ج٢ ، ص١١ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢٠٥ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٣٦ ، المنتظم ، ج٣ ، ص٩٧ . الذهبي ، سير ، ج١ ، ص١٣٥-١٣٦ . ابن كثير ، ج٧ ، ص٢٤٧ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٤ ، ص٣٤ .

الرسول (ص) بالاستعداد لقتالهم[1].

واستمر تجنيد التجار للعمل كمخبرين ، لا سيما في أثناء الفتوحات الإسلامية ، ويتضح ذلك من قول أبي عبيدة الجراح لخالد بن الوليد : "وهؤلاء جواسيسنا من أنباط الشام قد جاءوا إليّ وخبّروني أن أهل بعلبك في عشرين ألفاً ، فما الرأي عندك"[2]. وعند توجّه عمرو بن العاص إلى فلسطين لفتحها ، فإنه سأل التاجر المسلم عدي بن عامر الذي كان قد قدم من الشام بتجارته عمّن وراءه ، فأخبره بتجمع الروم الكبير بقوله : "المتنصرة وجنودهم مثل النّمل"[3]. واتّهم رستم ـ قائد الجيش الفارسي ـ التجار العرب في المنطقة المحاذية للعراق بالكشف عن عوراته ودعوة أقوامهم بالسير إلى مقاتلته[4].

واستخدم أعداء المسلمين التجار لنفس الغرض ، فقد سأل يهود خيبر أحد حلفائهم التجار بعد عودته بتجارته من المدينة عن المسلمين ، فقال لهم : "تركت محمداً يعبئ أصحابه إليكم"[5]. وعندما قدم تجار الشام إلى المدينة المنورة بتجارتهم ، سمعوا أبا بكر الصديق وهو يقول لعمرو ابن العاص وهو يجهز الجيوش : "عليك بفلسطين وإيليا فساروا بالخبز إلى هرقل ، فلما سمع ذلك جمع أرباب دولته وأعلمهم بالحديث الذي جرى" واستعد لقتال المسلمين[6]. وفي سنة ١٣هـ استخدم بطريق دمشق أحد النصارى للتجسس على المسلمين بسبب معرفته سوق دمشق ، وأرسله لمعرفة أخبار جيشهم القريب من الأردن ومعرفة نواياهم ووجهتهم[7].

ويبدو أنه تّم تجنيد التجار لهذا الغرض بشكل منظم ، فيذكر أنه في سنة ٧٦هـ نقل أحد تجار الأنبار إلى دهقان بابل أخبار الخوارج الأزارقه ونيّة زعيمهم شبيب الخارجي دخول

---

(1) الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩٠ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٤ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١٠ . الديار البكري ، ج٢ ، ص١١٢ .
ـ محمود عواد ، ص١٢٨ . مصطفى أبو حنيف أحمد ، ص٦٣-٦٤ .

(2) ابن أعثم ، ص١٧٥ .
ـ محمود عواد ، ص١٢٨ .

(3) الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٨ .
ـ محمود عواد ، ص١٢٨ .

(4) الطبري ، ج٣ ، ص٥٢٦ .

(5) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٦٤٢ .

(6) المصدر السابق ، فتوح ، ج١ ، ص١٧ .
ـ مصطفى أبو حنيف أحمد ، ص٦٣-٦٤ . سعيد الأفغاني ، ص٢٣ .

(7) ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٩٦ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١٤ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١٥-١٦ .

الكوفة، فأوصل الدهقان ذلك إلى عامل الحجاج بن يوسف على الكوفة[1]. وقد قام رئيس الخوارج الأزارقة شبيب الخارجي كذلك بتقصي أخبار ومكان الجيش الذي أرسله الحجاج بن يوسف (٧٣-٨١هـ) لقتاله ، وذلك من خلال لقائه بطلائع هذا الجيش أثناء تسوقهم وشرائهم الطعام[2].

وتم استخدام التجار كذلك كمخبرين على عمال الدولة ، فيذكر أن المختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٤-٦٧هـ) ، استخدم أحد تجار أنباط سواد العراق ليوافيه بأخبارعامله على السواد[3]. ونقل التجار إلى عمر بن عبد العزيز ـ أثناء ولايته المدينة لسليمان بن عبد الملك ـ أخبار الأمصار الأخرى وعطايا الولاة الجزيلة لجواريهم[4].

وهكذا عمل التجار في صدر الإسلام كمخبرين وعيون للدولة سواء على المستوى المحلي أو العالمي ، وربما كان ذلك لقاء أجر معين أو تسهيلات من قبل الدولة لهم ، وقد ساعدهم على ذلك وجودهم الدائم في الأسواق ، المركز الاعلامي الأول للمجتمع آنذاك ، وأيضاً بسبب سهولة تنقلهم بين الأقطار واختلاطهم بالسكان دون ترك أي ريبة أو شك .

٣ـ **استعانت الدولة الإسلامية بالتجار لتموين الجيوش وتجهيزها** ، وقد حضَّهم الرسول (ص) على النفقة في سبيل الله[5]، ويُروى عنه أنّه قال : "من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف"[6]. وقوله : "من جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا "[7]. ولعله كان يقصد التجار بذلك ، إذ شكّلوا المصدر الأول لتجهيز الجيوش خاصة في الفتوحات الأولى ، فقد استعان الرسول (ص) بأموالهم عند تجهيزه لغزوة حنين ، حيث استقرض من حويطب بن عبد العزى العامري (ت٥٤هـ) أربعين ألفاً[8]، واستقرض مثلها من عبد الله بن

---

(1) الطبري ، ج٦ ، ص٢٤٠ .

(2) المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٧٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٨٩ . ابن أبي الحديد ، ج٤ ، ص٢٧٤ .

(3) الطبري ، ج٦ ، ص٤٣ .

(4) المصدر السابق ، ص٥٢٨-٥٢٩ .

(5) اليعقوبي ، تارخ ، ج٥ ، ص٥٧ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٩٠ .

(6) الترمذي ، ج٣ ، ص٩٠ .

(7) المصدر السابق ، ص٩٢ .

(8) البلاذري ، ج١ ، ص٣٦٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج١٥ ، ص٣٥٩ ، تهذيب ، ج٥ ، ص١٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٢٧٥ . ابن كثير ، ج٨ ، ص٦٩ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٣٦٤ .

ربيعه بن المغيرة واستعار منه أيضاً أسلحة[1]، كما استقرض ثلاثين ألفاً وأسلحة من الحارث بـن ربيعة المخزومي[2]، واستعار ثلاثة آلاف رمح من نوفل بن الحارث (ت١٥هـ)[3]، واستقرض كذلك من صفوان بن أمية (ت٣٦هـ) خمسين ألف درهم[4] ومائة درع[5]، وقيل إنها أربعون درعاً[6]، وكان صفوان آنذاك لا يزال كافراً[7].

وأثناء الإعداد لغزوة تبوك سنة ٩هـ حثّ الرسول (ص) المسلمين على تجهيز الجيش ، فتكفل التجار بذلك وعلى رأسهم عثمان بن عفان[8] الذي جهز ما يزيد على ثلث الجيش[9]، وقيل نصفه[10]، فقد قدّم سبعين ألف درهم[11] وألف دينار[12]، كما أنه قدم عيراً كثيرة اختلف في عددها[13]. وقدم أبو بكر الصديق أربعة آلاف درهم فكانت هي كل ما يملك[14]. وساهم عمر بـن

---

(1) الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٨٦٣ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٦٣ . المتقي الهندي ، ج٦ ، ص٢٥٠ .

(2) الأصبهاني ، ج٨ ، ص٣٧٥ . ابن الأثير ، أسد ، ج١ ، ص٣٢٨ . ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص٢٧٨ .

(3) ابن كثير ، ج٧ ، ص٦٢ .

(4) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٦٣ .

(5) المصدر السابق ، ص٣٦٢ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٥١ . الطبري ، ج٣ ، ص٧٣ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٤ ، ص١١٤ ، تهذيب ، ج٦ ، ص٤٣٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٧٨ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٣٢٤ .

(6) أبو داود ، ج٣ ، ص٨٢٤ .

(7) البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٦٢ . الطبري ، ج٣ ، ص٦٣ .

(8) الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩١ . البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٤٨ ، ص٤٩٤ . الأصبهاني ، ج١ ، ص٥٩ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١١ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٠١-٣٠٢ . ابن الأثير ، أسد ، ج٣، ص٣٨٠ . اليافعي ، ج١ ، ص٩٤ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٤ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٤٩ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٧ ، ص١٤١ . ابن العماد الحنبلي ، ج١ ، ص١٨١ .

(9) الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩١ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٦٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١١ .

(10) ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٠١ .

(11) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٤٩٤ .

(12) الأصبهاني ، ج١ ، ص٥٩ . المزي ، ج١٥ ، ص٤٤٠ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٤ . ابن العماد الحنبلي ، ج١ ، ص١٨١ .

(13) ذكرت بعض المصادر أنها كانت ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها . الأصبهاني ، ج١ ، ص٥٩ . ابن الجوزي ، صفة ، ج١ ، ص٣٠١-٣٠٢ . ابن كثير ، ج٥ ، ص٤ . ابن العماد الحنبلي ، ج١ ، ص١٨١ . وذكر أنها كانت حوالي أربعمائة بعير . اليافعي ، ج١ ، ص٩٤ . وقيل أنه تبرع بألف بعير وسبعين فرساً . المزي ، ج١٩ ، ص٤٥٠ . ابن حجر ، تهذيب ، ج٧ ، ص١٤١ . وذكر أيضاً أنه قدم تسعمائة بعير ومائة فرس . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٤٩ .

(14) الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩١ . البلاذري ، أنساب ، ج١ ، ص٣٦٨ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٥ ، تهذيب ، ج١، ص١١١ .

الخطاب بنصف ماله[1] بتقديمه مائة أوقية[2]. وقدم عبد الرحمن بن عوف (ت٣٢هـ) مائتي أوقية[3]، هذا إلى جانب ما قدمه التجار الآخرون ، مثل : العباس بن عبد المطلب ، وسعد بن عبادة (ت١٤هـ)، وطلحة بن عبيد الله (ت٣٦هـ) ، ومحمد بن مسلمة[4].

واعتبر كبار التجار هم الممولون للفتنة الأولى سنة ٣٦هـ وقاموا بتزعمها مثل طلحة والزبير ، كما قام البعض بتمويلها مثل يعلى بن أميّه وعبد الله بن عامر (ت٥٨هـ) اللذان جهزا معسكر عائشة قبيل الجمل [5].

وعندما تولى المهلب بن أبي صفرة حرب الخوارج ، لم يكن في بيت المال إلا مائتي ألف درهم ، فالتجأ إلى الاقتراض من التجار لتجهيز جيوشه[6].

واستفاد التجار من حدوث المجاعات أحياناً أثناء الحملات العسكرية بسبب زيادة الطلب على الطعام ، الأمر الذي أتاح لهم التحكم بالأسعار . ويذكر أن مجاعة حدثت في معركة تبوك ، فقام عثمان بن عفان بشراء الطعام للعسكر ، "وجهز به عيراً ، فنظر الرسول (ص) إلى سواد مقبل ، فقال : هذا حمل أشقر قد جاءكم بميرة "[7]. وفي سريّة إلى حي جهينة ، حصلت مجاعة بين الجيش ، فنادى قيس بن سعد بن عبادة : "من يشتري مني تمراً بجزور ، يوفيني بالجزور ههنا وأوفيه التمر بالمدينة". فلبّى نداءه تاجر من حي جهينة بعدما سأله عن نسبه ، "وابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسق تمر ، ثم قال : أشهد لي ، فأشهد له نفراً من الأنصار والمهاجرين... فقدم البدوي مع قيس فأوفاه وسقه وحمله وكساه"[8]. ونلاحظ هنا أسلوب التجار في عقد الصفقات التجارية أثناء المعارك ، وشراء كميات كبيرة من الطعام إلى أجل .

---

[1] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١١ .

[2] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٨ ، تهذيب ، ج١ ، ص١٠٦ . المتقي الهندي ، ج١٠ ، ص٥٦٣ .

[3] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٨ ، ص٣٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص١٠٦ ، ص١١١ . المتقي الهندي ، ج١٠ ، ص٥٦٣ .

[4] الواقدي ، المغازي ، ج٣ ، ص٩٩١ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٥ ، تهذيب ، ج١ ، ص١١١ .

[5] ابن سعد ، ج٥ ، ص٤٩ . الطبري ، ج٤ ، ص٤٥٠ ، ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢٩ ، ص٣٦٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٨٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص١٠٦ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٢٧٩ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٦١ .

[6] البلاذري ، أنساب ، ج٧ ، ص٤٢٢ . المبرد ، ج٢ ، ص٢٢٦-٢٢٧ . ابن أبي الحديد ، ج٤ ، ص١٤٦ .
_ صالح العلي ، ص٢٦٥ . س. د. جواتياين ، ص١٣٥-١٣٦ .

[7] ابن عبد ربه ، ج٤ ، ص٢٨٥ .
_ محمود شاكر ، ص٢٢٤ .

[8] ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ ، ص٣١٦-٣١٧ .

والشيء ذاته حدث في زمن سليمان بن عبد الملك ، حيث حصلت مجاعة بين المسلمين وهم في أرض الروم ، فطلب أحد الأثرياء وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي من التجار المساعدة ، قائلاً لهم : "أعطوا الناس وعليّ ما تعطون ... يا معشر التجار من أراد من الغزاة المعدمين شيئاً فأعطوه إيّاه"، فبلغ ذلك عشرون ألف دينار ، فلما تولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة ٩٩هـ قال : "بيت المال أولى بمال هؤلاء التجار من مال العرجي ، فقضى ذلك من بيت المال"[1] .

٤ـ عرف المسلمون أهمية التجارة والاقتصاد في الأمور السياسية ، وظهر هذا جليا في أيام الرسول (ص) حين وجه غزوات وسرايا المسلمين لقطع شريان اقتصاد مكة والقبائل العربية والتعرض لقوافلهم التجارية ومراقبة طرق التجارة ووضعها تحت سيطرة وإشراف المسلمين، مما دعا قادة مكة إلى القول قبيل الحديبية سنة ٦هـ : "كنا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب قد حضرتنا حتى نهكت أموالنا"[2]. ودعاهم ذلك إلى الاعتراف بالدّعوة الإسلامية كندّ سياسي ، مما دفعهم إلى عقد هدنة الحديبية معهم لتسيير تجارتهم وعدم التعرض لها من قبل المسلمين .

استهدف المسلمون في حركة الفتوحات الأسواق العامة ، ووضعوا نصب أعينهم السّيطرة على طرق التجارة وتهديدها ، ويتضح ذلك من مهاجمة تبوك سنة ٩هـ التي كانت تعد أهم المحطات الأمامية لخط التجارة الدولي عبر الحجاز إلى كل من الشام ومصر واليمن[3]. والشيء نفسه نلاحظه في هدف غزوة دومة الجندل التي تمثل كبرى الأسواق في شمال الجزيرة كذلك[4]. ويلاحظ سيطرة الطّلائع الأولى للجيوش الإسلامية في بلاد الشام والعراق على الطرق التجارية وعلى الأسواق الهامة التي تقام بين البادية والريف ، مثل : الأبلة ، وذي قار ، والقادسية ، والحيرة ، وتدمر ، وبصرى ، وبيت جبرين ، وقيامهم بقطع الطرق التجارية في بلاد

---

(1) البلاذري ، أنساب ، ج٤ ، ق١ ، ص٦٠٨ . الأصفهاني ، ج١ ، ص٣٧٢ . الصفدي ، ج١٧ ، ص٣٨٧ .
ـ صالح العلي ، ص٢٦٥ .

(2) أبو عبيد ، ص٣٠ . الطبري ، ج٢ ، ص٦٤٦ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص٩١ ، ج٢٣ ، ص٤٢٤ ، تهذيب ، ج١ ، ص١٤٠، ج٦ ، ص٣٩٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٣ ، ص٢٧٦ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٤٤ . النويري ، ج١٧ ، ص٢٤٧ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٢٦٢ .

(3) محمد سعيد أطلس ، ص١٧١ .

(4) ابن حبيب ، ص١١٤ . المسعودي ، التنبيه ، ص٢١٤-٢١٥ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٣ ، ص٣٩٦ . ابن كثير ، ج٤ ، ص٩٢ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٢٩ .

الشام[1].

إن هذه السياسة التي اتبعها القادة التجار المسلمون أعطت أكلها في وقوف تجار البلاد المستهدفة إلى جانب القوات الإسلامية ، واستجابتهم قبل غيرهم إلى ضرورة استسلام المدن للقوات المسلمة ، فيذكر أنه عند حصار خالد بن الوليد لبهنسيا في الشام كان أول من طالب بالصلح هم التجار ، إذ تسلل إليه مائتا تاجر دون علم بطريقهم وعاهدوه على فتح أبواب مدينتهم أمامه[2]. وهو موقف تشابه مع موقف تجار أهل بعلبك[3]، وحمص[4]، وأهل عين الجوز بالشام[5].

وتجلت حنكة القادة **التجار** وسياستهم بشأن التجارة في **اتفاقيات وعهود الصلح** مع كثير من المدن والمناطق ، فقد جاء في كتاب صلح أهل أيلة ـ ميناء فلسطين على البحر الأحمر ـ سنة ٩هـ ما نصّه : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمنة من الله ومحمد عليه السلام ليوحنة بن رؤبة وأهل أيلة وسفنهم وسيارتهم في البر والبحر ولهم ذمة الله ومحمد النبي لمن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر"[6]. وورد في كتاب صلح أبي عبيده لأهل دمشق : "هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها من الأعاجم ... ولا نشارك أحداً من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة ، وأن نضيّف كل مسلم عابر سبيل من أوسط ما نجد ونطعمه فيها ثلاثة أيام"[7]. وذكر عن صلح العرب لأهل حمص : "ورأى أهل حمص سماحة العرب من بيعهم وشرائهم وربحوا منهم ربحاً وافياً"[8]. وقال قائد الجيش المسلم لأهل حلب حين صالحهم :" قبلت على أننا إذا نزلنا بصاحبكم أعنتمونا بالميرة والعلوفة تبيعون وتشترون في عسكرنا "[9]. وقال أهل

---

[1] الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٣١ . أبو عبيد ، ص٢٥٨ . الدينوري ، ص١١٦ . الطبري ، ج٣ ،ص٤٧٣-٤٧٤ .الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص٢٦ . ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص١٤٩ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٥٧ ، ج٢ ، ص٣٩١ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٠٦ . النويري ، ج١٩ ، ص١٨٧ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص٩٠ .
ـ محمد ضيف الله بطاينة ، ص٨٠ . محمد سعيد أطلس ، ص١٧١ .

[2] الواقدي ، فتوح ، ج٢ ، ص٢٩٧ .

[3] المصدر السابق ، ج١ ، ص١٣١ .

[4] المصدر السابق ، ص١٣٩ .

[5] المصدر السابق ، ص١٥٤ .

[6] ابن هشام ، ق٣ ، ص٥٢٦ . أبو عبيد ، ص٢٤٥ . اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٧٢ .
ـ عون الشريف قاسم ، ص١٢٤ .

[7] ابن عساكر ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٢١ .

[8] الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١١١ .

[9] المصدر السابق ، ص٢٥١ .

بعلبك لأبي عبيده الجراح بعد أن صالحهم : "ونحن نخرج إلى من تخلفه علينا سوقاً يكون فيه من جميع ما في مدينتنا"[1]. وجاء في صلح النوبة جنوب مصر : "إنما عاهدناكم أن توفونا في كل سنة ثلاثماية وستون رأساً ، وتدخلون بلادنا مجتازين تجارا غير مقيمين ، لا تقتلوا مسلماً ولا ذمياً وكذلك ندخل بلادكم"[2]. ومن الملاحظ أن المعاهدات أثناء الفتوحات الإسلامية كانت تضمن إخراج الأسواق للمسلمين وكذلك التبادل التجاري[3].

٥ـ نشطت في **الحروب** تجارة العبيد والسلاح والأطعمة والغنائم الأخرى ، وتفاوتت **أسعارها** حسب الحاجة إليها ، حيث انخفضت أسعار الغنائم نظراً لكثرة عرضها ، فبعد انتهاء معركة القادسية وتقسيم غنائمها بيع الذهب بالفضة ، حيث قيل : "من يقارض بيضاء بصفراء"[4]. وخلال المعركة نفسها وجد أحدهم إبريق ذهب مرصّعابالياقوت دفع له رجل من الفرس فيه عشرة آلاف ، ولم يعطه إيّاه بل باعه بمائة ألف[5]. وقد عرض بيت المال حجارة كريمة بيع الواحد منها بستة آلاف دينار وهو يساوي أكثر من مائة ألف[6]. كما تم عرض سفطي جوهر لبيعهما ولو بنصف عطاء المقاتلة ، لكن تم شراءهما بقيمة العطاء ، أي ألفي ألف ، وبيعهم في الحيرة بأربعة آلاف ألف[7]. وفي إحدى وقعات المسلمين مع الترك تم بيع فص الجواهر بخمسة دراهم وستة دراهم وقيمته عشرون درهماً[8]. وباع عبد الله بن عمر الغنائم التي اشتراها بجلولاء سنة ١٦هـ بعشرة أضعاف سعرها[9]. وفي إحدى معارك المسلمين مع الفرس تم أخذ راية الفرس من أحدهم بثلاثين ألفاً ، وكان سعرها ألف ألف ومائة ألف[10]. كما اشترى المسور

---

(١) الواقدي ، فتوح ، ص١٤٣ .

(٢) ابن عبد الحكم (عبد الرحمن) ، فتوح مصر ، ص٨٩ . أبو عبيد ، ص١٩٣ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٠٩ .

(٣) محمد ضيف الله بطاينة ، ص٨٤ .

(٤) الطبري ، ج٤ ، ص١٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص١٧٨ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٥٩ . النويري ، ج١٩ ، ص٢٢٧ . ابن كثير ، ج٧ ، ص٤٦ .

(٥) ابن كثير ، ج٨ ، ص٢٤٦ .

(٦) الواقدي ، فتوح ، ج٢ ، ص٣٠٦ .

(٧) مالك ، المدونة ، ج١ ، ص٢٩١ . أبو عبيد ، ص٣٢٢ . البلاذري ، فتوح ، ص٤٢٧-٤٢٨ . الطبري ، ج٤ ، ص١١٦-١١٧ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص٦٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢٧٦ . النويري ، ج١٩ ، ص٢٥٩ . ابن كثير ، ج٧ ، ص١١١-١١٢ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١١٧ .

(٨) الطبري ، ج٤ ، ص١٨٨ . ابن الأثير ، ج٣ ، ص٢٥ . ابن خلدون ، ج٢ ، ص١٢٤ .

(٩) أبو عبيد ، ص٣٣١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٤ ، ص٢١٤ .

(١٠) ابن خلدون ، ج٢ ، ص٩٩ .

ابن مخرمة من الغنائم طشتاً بألف درهم[1]، وباعه لتجار الحيرة بـــألفي درهـــم . وفـــي إحـــدى الصوائف التي غزا فيها المسلمون الروم غنموا غنائماً كثيرة حتى بيع الفرس بدرهـــم ، والبغـــل الجيد بعشرة دراهم[2].

اشتد الطلـــب على الأسلحة والطعام في الحـــروب ، وأدى ذلك الى ارتفـــاع أسعارهـــا بشكل كبير ، فعند فتح بيكند بخراسان سنة ١٧هـ "بلغ الرمح سبعين درهما ، وبلغ الدرع سبعمائة درهم ، وبلغت السيوف أثمانها على أقدارها، وجلبت إليهم الدواب من كل بلد"[3]. أما الطَعام فيذكـر أن الجنود في فتوح الشام اشتروا الزاد والعلوفة بما معهم من الغنائم التي غنموها مـــن الـــروم ، فكان "يشتري منهم أهل حمص ما يساوي عشرين ديناراً بدينارين"[4]. وفي أثناء قتال الحجاج بـــن يوسف الثقفي مع عبد الله بن الزبير في الحجاز سنة ٧٢هـ غلت الأسعار بشكل كبير حتى " بلـــغ سعر الدجاجة عشر دراهم ، وسعر المد من الذرة عشرين درهماً "[5]. وفي نفس الوقعة ، قَدِم أحـــد الموالي في عسكر مصعب بن الزبير بسفائن دقيق ، فقال له أحدهم : "فبعني هذا الدقيـــق بتـــأخير ولك فيه مثل ثمنه ربحاً"[6]. وارتفعت أسعار الطعام في وقعـــة الجمـــاجم ســـنة ٨٢ هـــ بنفـــس الشكل[7].

استغل بعض قادة الحروب نقص الطعام بين الجنود ، فعملوا على المتاجرة به ، فيذكـــر أن عبيد الله بن أبي بكره ـ أحد عمال الحجاج على سجستان وخراسان ـ وأثناء قتاله مـــع رُتْبيـــل " كان حين رأى ما الناس فيه من القحط وهم يأكلون دوابهم في بلاد العدو يشتري الطعام ثم يبيعـــه جيشه حساب القفيز بدرهم حتى أصاب الناس ضر شديد ومرض ، وكان يبعـــث إلـــى الحصـــرم فيضعه في أسواقهم ويبيعهم إيّاه بقوله : هذا صالح لمرضاكم ، وباعهتم التبن غربالا بدرهـــم"[8].

---

[1] السرخسي ، ج١٤ ، ص٦٧ .

[2] ابن العماد الحنبلي ، ج٢ ، ص٢٩٢ .

[3] ابن أعثم ، ج٧ ، ص٢٢١ . الطبري ، ج٦ ، ص٤٣٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٧٩ . ابن كثـــير ، ج٩ ، ص٧٢ . ابـــن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٤٠ .

[4] الواقدي ، فتوح ، ج١ ، ص١٥١ .

[5] البلاذري ، أنساب ، ج٧ ، ص١٢١ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص٢٣ . النويري ، ج٢١ ، ص١٣٥ .

[6] الأصفهاني ، ج٢٢ ، ص٣٧٦ .

[7] الطبري ، ج٦ ، ص٨٢ .

[8] البلاذري ، أنساب ، ج٧ ، ص٣٠٧ . يقول أعشى همذان في ذلك :

وليت شأنهم وكنت أميرهم — فأضعتهم والحرب ذات توهج

وتبيعهم فيها القفيز بدرهم — فيظل جيشك بالملامة يتنجي

وفي وقعة بين المسلمين والترك سنة ١٠٨هـ أصاب جيش المسلمين جوع شديد ، فأرسل قائدهم أسد بن عبد الله كبشين مع غلام له ليبعهما للجنود وأوصاه بقوله : " لا تبعهما بأقل من خمسمائة"[١].

واستثنت المواد الغذائية الموجودة في الغنائم من البيع ، ويقول العلماء : "الطعام وعلف الدواب كان صحابة الرسول (ص) يأكلونه إذا أصابوه بالغنائم ولا يبيعون شيئاً من ذلك ، فإن بيع رد إلى المقاسم ، ولا خمس فيما يأكلونه"[٢].

ونشطت تجارة السبي خلال الفتوحات الإسلامية بشكل كبير ، فيذكر أن الرسول (ص) أرسل أحد التجار إلى نجد ليبيع هناك سبايا بني قريظة ويشتري بثمنهم الأسلحة[٣]. وقد تم بيع الكثير من سبي الفتوحات زمن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب[٤]. والملاحظ أن الدّولة كانت تجني أرباحاً كبيرة من تجارة السبي ، وغالباً ما كان يتم دفع الثمن مؤجلاً ، فتشير إحدى الروايات إلى أن عمر بن الخطاب طالب كل من عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن كريز بثمانين ألفاً فضلت عليهم من ثمن سبي اشتروه منه[٥]. كما طالب علي بن طالب أحدهم بتسديد باقي ثمن خمسمائة أسير اشتراهم هذا بخمسمائة ألف درهم ، وكان قد دفع معجلاً مائتي ألف درهم فقط[٦]. كما بلغ سعر سبي آل المهلب سنة ١٠٢هـ مائة ألف ، فاشتراهم الجراح بن عبد الله ولم يؤخذ منه الثّمن[٧].

وقد جنى المسلمون ربحاً وافراً من خلال بيعهم السبي إلى أهله وخاصة أثناء تبادلهم التجاري مع أعدائهم ، فتشير إحدى الروايات إلى أن قتيبة بن مسلم عندما هجم على بيكند بخراسان سنة ٨٧هـ ، كان عامة أهلها في الصين للتجارة ، وتضيف : "فلما رجعوا إلى بيكند ، فطلبوا نساءهم وأولادهم ، فجعلوا يشترونهم من المسلمين بالمال الجزيل ، واشترى أحدهم زوجته

---

[١] الطبري ، ج٧ ، ص٤٥ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص١٩٩ .

[٢] أبو يوسف ، ص١٩٧ .

[٣] الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٥٢٣ . ابن الأثير ، أسد ، ج٢ ، ص٢٨٠ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٢٨ .

[٤] اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٢١ . ابن أعثم ، ج٢ ، ص١٢٠ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٧٣ ، ص٣٠٧ . ابن كثير ، ج٦ ، ص٣٥٢ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٤٠ .

[٥] الأصفهاني ، ج٧ ، ص٥٣ . ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص٤٤ .

[٦] اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص١٨٤ . ابن أعثم ، ج٤ ، ص٧٩ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٣،ص١٨٦ . ابن أبي الحديد ،ج٣ ،ص١٤٤ .

[٧] الطبري ، ج٦ ، ص٦٠٢ . ابن أعثم ، ج٨ ، ص٢٥ . ابن الأثير ، الكامل ، ج٤ ، ص١٧٥ . ابن خلدون ، ج٣ ، ص٧٩ .

وابنيه بعشرة آلاف درهم من أحد المسلمين،وقال له : أيها العربي ، إنك لـــو أبيــت علــى أن لا تبيعني أهلي وابني إلاّ بأربعمائة ألف درهم لأخذتهم وطابت نفسي به"[1].

---

[1] ابن أعثم ، ج٧ ، ص٢٢٢ .

قائمة المصادر والمراجع

أ) قائمة المصادر :

_ القرآن الكريم .

_ **ابن الأثير ، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ) .**

.. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٥ج ،أوفست المكتبة الإسلامية بطهران،طهران ،(ب.ت).

.. الكامل في التاريخ ، ١٣ج ، دار الكتاب العربي ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٧ .

_ **الإدريسي ، محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي (ت٥٦٠هـ) .**

.. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ٢م ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩ .

_ **الأزدي ، يزيد بن محمد بن إياس بن قاسم (ت٣٣٤هـ) .**

.. تاريخ الموصل ، تحقيق : علي حبيبة ، مؤسسة التحرير ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

_ **الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ) .**

.. حلية الأولياء وطبقة الأصفياء ، ١٠ج ، دار الكتاب العربي ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٧ .

_ **الأصطخري ، إبراهيم بن محمد (ت النصف الأول من القرن ٤هـ) .**

.. المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦١ .

_ **الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ) .**

.. الأغاني ، ٢٥ج ، دار الثقافة ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٢ .

_ **ابن أعثم ، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ) .**

.. الفتوح ، تحقيق : محمد بن المعيد خان ، ٨ج ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ١٩٦٨ - ١٩٧٥ .

_ **ابن اسحق ، محمد بن اسحق المطلبي (ت١٥١هـ) .**

.. السير والمغازي ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، (ب.م)،١٩٧٨ .

_ **ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد (ت٧٢٩هـ) .**

.. معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق : محمد محمود شعبان ، وصديق أحمد عيسى المطيعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٧٦ .

_ **البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ) .**

.. صحيح البخاري ، ٩ج ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، (ب. ت).

_ ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله اللواتي (ت٧٧٩هـ) .
.. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق : طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، ط٣ ، بيروت ١٩٩٢ .
_ البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ) .
.. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : مصطفى السقا ، ٤ج ، ط٤ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ .
_ البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ) .
.. أنساب الأشراف .
ج١ : تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
ج٣ : تحقيق : عبد العزيز الدوري ، فرانتس شتايز بقيسبادن ، بيروت ، ١٩٧٩ .
ج٤ ، ق١ : تحقيق : إحسان عباس ، فرانتس شتايز بقيسبادن ، بيروت ، ١٩٧٩ .
ج٢ ، ج٥_ ج١٣ : تحقيق : زكار ، ورياض زركلي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ .
.. فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧ .
_ الترمذي ، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ) .
.. الجامع الصحيح "السنن" ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ٥ج ، دار الفكر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٣ .
_ التنوخي ، المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ) .
.. الفرج بعد الشدة ، ٥ج ، تحقيق : عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨ .
_ الجاحظ ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) .
.. البيان والتبيين ، ٤ج ، دار الفكر للجميع ، ب. م ، ١٩٦٨ .
.. التبصر بالتجارة ، تحقيق : حسن حسين عبد الوهاب ، دار الكتاب الجديد ،ب. م ، ١٩٦٩.
.. الحيوان ، ج٧ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٩ .
.. رسائل الجاحظ "الرسائل الأدبية" ، تحقيق : د. علي أبو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩١ .
.. رسائل الجاحظ "الرسائل الكلامية" ، تحقيق : د. علي أبو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٧ .

_ **ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) .**

.. زاد المسير في علم التفسير ، ٨ج ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤ .

.. صفة الصفوة ، ٤ ج ، تحقيق : محمد فاخوري ، ومحمد رواسي قلعجي ، دار المعرفة ، ط٤ ، بيروت ، ١٩٨٦ .

.. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ .

_ **الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت٣٩٨هـ) .**

.. الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية" ، ٦ج ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ .

_ **ابن حبيب ، محمد حبيب بن أمية (ت٢٤٥هـ) .**

.. المحبر ، تحقيق : ليزة ليختن شتير ، المكتب التجاري ، بيروت ،(ب. ت) .

.. المنمق في أخبار قريش ، تحقيق : خورشيد أحمد فاروق ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ، ١٩٦٤ .

_ **ابن حجر ، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ) .**

.. الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤ج ، دار إحياء التراث ، بيروت ، (ب. ت) .

.. تهذيب التهذيب ، ١٢ج ، دار صادر ، بيروت ، (ب. ت) .

_ **ابن حوقل ، محمد بن علي (ت٣٥٦هـ) .**

.. صورة الأرض ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٣٨ ، أوفست دار صادر ، بيروت ، (ب. ت).

_ **ابن خرداذبة ، عبيد الله بن عبد الله (ت٢٧٢هـ) .**

.. المسالك والممالك ، تحقيق : دي خويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، أوفست مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٨٨٩.

_ **الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ) .**

.. تاريخ بغداد ، ١٤ج ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (ب. ت) .

_ **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الخضرمي (ت٨٠٨ هـ) .**

.. تاريخ ابن خلدون ، ٧ج ، منشورات الأعلمي ، بيروت ، ١٩٧١ .

_ **ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ) .**

.. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٨ج ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣-١٩٧٧ .

_ الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ) .
.. مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، مصر ، (ب. ت) .
_ الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ) .
سنن الدارمي ، ٢ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب. ت .
_ أبو داود ، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ) .
.. سنن أبي داود ، ٥ج ، تحقيق : عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث ، سوريا ، ١٩٧٠-١٩٧٣ .
_ الديار البكري ، حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٦٦هـ) .
.. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، ٢ج ، مؤسسة شعبان ، بيروت ، (ب. ت).
_ الدينوري ، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ) .
.. الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، وجمال الدين الشيال ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
_ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) .
.. تذكرة الحفاظ ، ٤ج ، دار إحياء التراث العربي ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٥٦ .
.. سير أعلام النبلاء ، ٢٥ج ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٠ .
_ ابن رستة ، أحمد بن عمر (ت٢٩٠هـ) .
.. الأعلاق النفيسة ، تحقيق : دي غويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، أوفست مكتبة المثنى، بغداد ١٨٩١.
_ الزبيري ، محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ) .
.. تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٠ج ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦هـ .
_ السرخسي ، أبو بكر محمد بن أبي سهل (ت٤٩٠هـ) .
.. المبسوط ، ٣٠ج ، تحقيق : محمد راضي الحنفي ، دار المعرفة ، ط٢، بيروت ، ب. ت.
_ ابن سعد ، محمد (ت٢٢٠هـ) .
.. الطبقات الكبرى ، ٨ج ، دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠ .
_ السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ) .
.. الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر الباروني ، دار الجنان ، بيروت ، ١٩٨٨ .
_ السهمي ، حمزة بن يوسف (ت٤٢٧هـ) .
.. تاريخ جرجان ، تحقيق : محمد عبد المعين خان ، عالم الكتب ، ط٤ ، بيروت ، ١٩٨٧ .

_ السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) .
.. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ٢ج ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧-١٩٦٨ .
_ ابن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ) .
.. فوات الوفيات والذيل عليها ، ٥ج ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر، بيروت،١٩٧٤.
_ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ) .
.. الوافي بالوفيات ، ٥ج ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩١ .
_ الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) .
.. تاريخ الرسل والأنبياء والملوك ، ١٠ج ، تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٠ .
_ ابن عبد الحق ، عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ) .
.. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ٣ج ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٤ .
_ ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ) .
.. فتوح مصر وأخبارها ، تحيق تشارلز تودي ، مطبعة بريل ، ليدن ، أوفست مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٢٠ .
_ ابن عبد الحكم ، عبد الله (ت٢٦٨هـ) .
.. سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق : أحمد عبيد ، مكتبة وهبة ، ط٢ ، مصر ، ١٩٥٤ .
_ ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ) .
.. العقد الفريد ، ٦ج ، تحقيق : أحمد أمين وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
_ ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ) .
.. تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطوان صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٥٨ .
_ أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) .
.. الأموال ، تحقيق : محمد خليل الهراس ، دار الفكر ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٨ .
_ ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧١هـ) .
.. تاريخ مدينة دمشق ، ٤٠ج ، تحقيق : مجموعة من المؤرخين ، دار الفكر ، ط٢ ، بيروت، ١٩٩٥-١٩٩٦ .

.. تهذيب ابن عساكر ، ٧ج ، تهذيب وترتيب الشيخ عبد القادر بـــدران ، دار المســـيرة ، ط٢، بيروت ، ١٩٧٩ .
_ ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ) .
.. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ١٠ج ، تحقيق : محمد الأرناؤوط ، دار ابن كثـــير ، دمشق وبيروت ، ١٩٨٦-١٩٨٨ .
_ ابن فارس ، أحمد (ت٣٩٥هـ) .
.. معجم مقاييس اللغة ، ٦ج ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفـــى البـــابي الحلبي وأولاده ، ط٢ ، مصر ، ١٩٦٩-١٩٧٢ .
_ الفيروز أبادي ، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ) .
.. القاموس المحيط ، ٤ج ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط٢ ، مصر ، ١٩٥٢ .
_ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) .
.. عيون الأخبار ، ٤ج ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (ب. ت).
.. المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف ، ط٤ ، القاهرة ، ١٩٨١ .
_ قدامة بن جعفر (ت٣٣٨هـ) .
.. نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، منشور بذيل كتاب المسالك والممالك لابن خردادبـة ، تحقيق : دي خويه ، بريل ، ليدن ، أوفست مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٨٩ .
_ ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد بن محمد (ت٦٢٠هـ) .
.. الإستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ، تحقيق : علي نويهض ، دار الفكر ، بـيروت، ١٩٧٢ .
_ القلقشندي ، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) .
.. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ١٤ج ، المؤسسة المصرية العامة للتـــأليف والترجمـــة والطباعة ، مطابع كوستاتسوماس ، مصر ، (ب. ت) .
_ ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ) .
.. أحكام أهل الذمة ، ٢ج ، تحقيق : صبحي صالح ، دار العلـــم للملاييـــن ، ط٢ ، بـيروت ١٩٨١.
_ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ) .
.. البداية والنهاية ، ١٤ج ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ومكتبة النصر ، الرياض ، ١٩٦٦ .
_ الكنـــدي ، محمد بن يوسف (ت٣٥٠هـ) .
.. ولاة مصر ، تحقيق : حسين نصار ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ .

_ مالك بن أنس ، (ت١٧٩هـ) .

.. المدونة الكبرى ، ٦ج ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ ، أوفست دار صادر ، بيروت

.. الموطأ ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة العلمية ، ط٢ ، مصر ، ١٩٧٩ .

_ الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ) .

.. الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٣ ، القاهرة، ١٩٧٣.

_ المُبَرّد ، محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) .

.. الكامل في اللغة والأدب ، ٢ج ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ب. ت .

_ المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين بن عبد الملك (ت٩٧٥هـ) .

.. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ١٦ج ، تحقيق : بكري حيّان وصفوة السّقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

_ المزي ، يوسف (ت٧٤٢هـ) .

.. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ٣٥ج ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة، ط٤ ، بيروت ، ١٩٨٥ .

_ المسعودي ، علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ) .

.. التنبيه والأشراف ، دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ .

.. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ج ، الشركة العالمية للكتاب ، لبنان ، ١٩٨٩ .

_ مصعب الزبيري ، مصعب بن عبد الله (ت٢٣٦هـ) .

.. نسب قريش ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، ط٢ ، مصر ، ١٩٧٦ .

_ المقدسي ، محمد بن أحمد (ت٣٧٥هـ) .

.. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٣ ،١٩٩١ .

_ المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت٣٢٢هـ) .

.. البدء والتاريخ ، منسوب لأبي زيد احمد بن سهل البلخي المتوفي سنة ٣٠٨هـ ، ٦ج ، مكتبة الثقافة الدينية ، ب. ت .

_ المقريزي ، احمد بن علي (ت٨٤٥هـ) .

.. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، ٢ج ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط٢ ، مصر ، ١٩٨٧ .

_ ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) .

.. لسان العرب ، ١٥ج ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٠٠هـ .

ـ النويري ، أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ) .

.. نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : الباز العريني ، نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

ـ ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٨هـ) .

.. السيرة النبوية ، ٤ج ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، ٢ق ، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي ، ط٢ ، مصر ، ١٩٥٥ .

ـ الهروي ، علي بن أبي بكر (ت٦١١هـ) .

.. التذكرة الهرويّة في الحيل الحربية وتليها الخطب الهروية ، تحقيق : مطيع المرابط ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢ .

ـ أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله (ت٣٦٥هـ) .

.. الأوائل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

ـ الواقدي ، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ) .

.. فتوح الشام ، ٢ج ، مكتبة المحتسب ، عمان ، ب. ت .

.. المغازي ، ٣ج ، تحقيق : مارسدن جونس ، عالم الكتب ، بيروت ، ب. ت .

ـ وكيع ، محمد بن خلف بن حيّان (ت٣٠٦هـ) .

.. أخبار القضاة ، ٣ج ، عالم الكتب ، بيروت ، ب. ت .

ـ اليافعي ، عبد الله بن أسعد بن علي (ت٧٦٨هـ) .

.. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ٤ج ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٠ .

ـ ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) .

.. معجم الأدباء ، ٢٠ج ، مطبعة دار المأمون ، مصر ، ب.ت .

.. معجم البلدان ، ٥ج ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٨ .

ـ يحيى بن آدم القرشي (ت٢٠٣هـ) .

.. الخراج ، تحقيق : أحمد شاكر ، دار المعرفة ، بيروت ب. ت .

ـ يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ) .

.. التاريخ تحقيق : د. أحمد محمد نور ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكتبة مكة المكرمة ، ١٩٧٩ .

ـ اليزيدي ، محمد بن العباس بن محمد (ت٣١٠هـ) .

.. الأماني ، عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتنبي - القاهرة ، ب.ت .

ـ **اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ) .**

.. البلدان ، مذيل بكتاب الأعلاق النفسية لابن رستة .

.. تاريخ اليعقوبي ، ٣ج ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٤ .

ـ **أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٣هـ) .**

.. الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

ب – المراجع :

❖ أبيض ، ملكة

.. الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠.

❖ أحمد ، مصطفى أبو حنيف .

.. دراسات في تاريخ العرب منذ ما قبل الإسلام إلى ظهور الأمويين . مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ .

❖ أطلس ، محمد أسعد .

.. تاريخ العرب ، دار الأندلس ، ط٢ ، ب.م ، ١٩٧٩ .

❖ الأفغاني ، سعيد .

.. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٣ ، بيروت – القاهرة ، ١٩٧٤ .

❖ بطاينة ، محمد ضيف الله .

.. دراسات وبحوث في جوانب من التاريخ الإسلامي مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٦ .

❖ بيضون ، إبراهيم .

.. من دولة عمر إلى دولة عبد الملك ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩١ .

❖ جب ، هملتون .

.. دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة : إحسان عباس ومحمد يوسف العظم ومحمود زايد، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ .

❖ جواتياين ، س. د.

.. دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق : عطية القوصي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٠ .

❖ جودة ، جمال .

.. الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي في صدر الإسلام ، دار البشير للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٩٨٩ .

❖ حركات ، إبراهيم .

.. السياسة والمجتمع في العصر الأموي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، ١٩٩٠ .

.. السياسة والمجتمع في العصر النبوي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، ١٩٨٩ .

.. السياسة والمجتمع في عهد الراشدين ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٥ .

❖ الخربوطلـــي ، علي حسين .
.. الحضارة العربية الإسلامية _ حضارة السياسة والإدارة والقضـــاء والحــرب والاجتمــاع والاقتصاد والتربية والتعليم والثقافة والفنون _ مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
❖ الدّجيلـــي ، خولـــة شاكـــر .
.. بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول حتى القرن الرابــــع الـــهجري ، مطبعـــة وزارة الأوقاف ، بغداد ، ١٩٧٦ .
❖ الـــدوري ، عبد العزيز .
.. مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة ، ط٤ ، بيروت ، ١٩٨٢ .
❖ ديورانـــت ، ول .
.. قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمـــة والنشـــر ، ط٢ ، القاهـــرة ، ١٩٦٤ .
الرفاعـــي ، أنـــور .
.. الإسلام في حضارته ونظمه الادارية والسياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنيـــة ، دار الفكر ، سوريا ، ١٩٧٣ .
.. الإنسان العربي والحضارة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٠ .
❖ ريسلر ، جاك س .
.. الحضارة العربية ، ترجمة : غنيم عبدون ، مراجعـــة : أحمـــد فـــؤاد الأهوانـــي ، الـــدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ب.ت .
❖ الزركلـــي ، خير الدين .
.. الأعلام ، ج٨ ، دار العلم للملايين ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٨٠ .
❖ سعيـــد ، أميـــن .
.. نشأة الدولة الإسلامية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ب.ت .
❖ السيـــد ، رضوان .
.. مفاهيم الجماعات في الإسلام ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .
❖ شاكر ، محمود .
.. الخلفاء الراشدون ، المكتب الإسلامي ، ط٣ ، بيروت _ دمشق ، ١٩٨٥ .
❖ شعبان ، محمد عبد الحي .
.. صدر الإسلام والدولة الأموية ٦٠٠-٧٥٠ م ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣ .

❖

❖ طالب ، محمد سعيد .
.. الدولة العربية الإسلامية – الدولة والدين – بحث في التاريخ والمفاهيم ، الأهالي ، دمشق ، ١٩٩٧ .
❖ عطوان ، حسين .
.. الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي ، دار الجيل ، عمان ، ١٩٨٧ .
❖ العلي ، صالح أحمد .
.. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، دار الطليعة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٦٩ .
❖ عواد ، محمود أحمد .
.. الجيش والقتال في صدر الإسلام – دراسة عن المقاتلة في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون – مكتبة المنار ، الأردن ، ١٩٨٧
❖ عودات ، أحمد وآخرون .
.. الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ودار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ١٩٩٠ .
❖ فروخ ، عمر .
.. تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار العلم للملايين ، ط٤ ، بيروت ، ١٩٧٩ .
❖ قاسم ، عون الشريف .
.. نشأة الدولة الإسلامية على عهد الرسول ﷺ – دراسة في وثائق العهد النبوي – دار الكتاب اللبناني ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨١ .
❖ لوبون ، غوستاف .
.. حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، دار إحياء التراث العربي ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٩.
❖ محمد ، نبيلة حسن .
.. في تاريخ الدولة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ١٩٩٧ .
❖ ملحم ، عدنان .
.. المؤرخون العرب والفتنة الكبرى ، دار الطليعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٨ .
❖ هندي ، صالح ذياب .
.. دراسات في الثقافة الإسلامية ، مكتبة النهضة الإسلامية ، ط٢ ، عمان ، ١٩٨١ .

ج – المقالات :

_ أحمد ، لبيد إبراهيم :

.. التجارة في العصر الأموي ، مجلة المؤرخ العربي ، ع : ٤٧ ، بغداد ، ١٩٩٤.

_ بدر ، أحمد :

.. الاقطاع في بلاد الشام خلال القرنين الأول والثاني للهجرة ، بحوث قدمت في المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، تحرير: محمد عدنان البخيث ، عمان ، ١٩٨٩.

_ المعايطة ، زريف :

.. دواوين العطاء في صدر الإسلام ، مجلة المؤرخ العربي ، ع : ٤٧ ، بغداد ، ١٩٩٤.

د ــ المراجع باللغات الأجنبية :

- **Crone, P.** "Meccan Trade and the Rise of Islam", Oxford , 1987.

- **Donner, F.**, "Mecca's Food Supplies and, Mohammed Boycott " in: Journal of the Economic and Social History of the Orient, 20/3/1977.

- **Feldbauer, P.** "Die Islamische Welt (600-1250 N.ch)" Wien , 1995.

- **Kister M. J.** ,
(a) "Mecca and the Tribes of Arabia" in : Moshe Sharon (Ed.), Studies in Islamic History and Givilization in Honour of Professor Ayalon, Jerusalem – Leiden , 1986.
(b) Some Reports Concerning Mecca from Jahiliyyo to Islam , in : Journal of the Economic and social History of the Orient 15/01/1972.

- **Lombard, M.**, Bluetezeit des Islam , Eine Wirtschafts_und Kulturgeschichte (8. — 11. Jarhundert) Frankfurt 1991.

- **Scehacht, J., and Bosworth C.E.** , " Das Vermaechtnis des Islams I", Zuerich Muenchen ,1983.

- **Sergeant, R. B.**, Meccan Trade and the Rise of Islam, in : Journal of the American oriental Society 110/3,1990.

- **Simon, R.**, Meccan Trade and Islam, Problems of Origin and Structure, Bibliothica Orientalis Hungarica 32, Budapest 1989.

ABSTRACT

THE COMMERCE AND THE CALIPH STATE IN EARLY ISLAMIC TIMES

FROM THE MESSAGE TO THE END OF UMMAYES STATE

This study discusses the relationship and role of the commerce in the Caliph State. This project is divides into five sections:

<u>THE FIRST SECTION:</u> The Social And Cultural Conditions Of Merchants:

It is apparent that the majority of merchants in the early Islamic Times were Arabs. In the Ummayes Times, the Arab merchants role weakened and was substituted for the Mawalyes. Further more, women, slaves, and clerks practiced trade activities.

Merchants had good relations with all sectors of the public. That helped them to play administrative and political roles in the state. They also have an important role in the social and cultural life of people. That's is, they were so educated that they were reporters, postmen, and journalists. They carried people's messages, and helped in spreading the Islam in areas never reached before by Muslims. Moreover, they took part in solving many financial problems of their society and worked as liazon between the public and the rulers.

<u>THE SECOND SECTION :</u> The Economical Status Of Merchants:

This section discusses the financial resources and abilities of merchants, and their investments in buying lands and properties. Their wealth had been shown clearly in their levels of living, clothes, and wives jewellery. That good situation gave them an advantage to establish business similar to the bank works, people and government used to borrow from them.

<u>THE THIRD SECTION :</u> The State Officials And Trade:

It has been found out that most of the state men (Officials) and rulers were merchants in the first half of the century of the Islamic appearance. The prophet Mohammed (PBUH) was a merchant. Those merchants supported the Islamic Da'waa (message) and contributed in building the state. Therefore, the state supported them. For example, it chose its ambassadors and messengers from them, also it gave them high positions in the state.

<u>THE FOURTH SECTION :</u> Merchants And The State Economical Institutions:

Merchants, officials, and notables had benefited from Beit-Elmal (the State Save). They could borrow money from it and make business. They sometimes bought debts or goods ,cheaper than their real prices and sell them.

After the spread of Islam, there were many commercial centers for the public and private people. The trade had flourished and made a big progress. There were various types of goods. The government issued a new tax called : the tenth. Dealers were requested to pay such taxes.

<u>THE FIFTH SECTION:</u> Merchants And Jihad:

Merchants have a big role in the Islamic spread and Jihad. They got benefit from that because new markets would be open in front of them, and thus new benefits and activities. The leaders of the armies focused on commercial markets and centers when invading a new area . That situation explained why merchants used to call for peace and (suluh). Also, they contributed much in supporting the armies with food, weapons, and money. Another important role for them was to work as spies for Islamic armies leaders. Merchants also, politically neutral. They dealt with hostile rivals equally concerning selling and buying goods. Thus, they were allowed to enter all countries and war areas without permission. All the varies Islamic treaties supported that.